جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

ولاية الأندلس في عهد يوسف بن عبد الرحمن الفهري
(129-138 هـ/ 747-756م)

عمر زعل المزايدة

رسالة
مقدمة إلى
عماده الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على
درجة الماجستير في التاريخ/قسم التاريخ

جامعة مؤتة، 2004م

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم(13)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب عمر المزايدة والموسومة بـــ:

" ولاية الاندلس في عهد يوسف بن عبد الرحمن الفهري (129-138هـ/747-756م)"

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ.

القسم: التاريخ.

	التوقيع	التاريخ	
د. محمد العمايرة		2004/12/6	مشرفاً ورئيسا
د. صالح ابو دياك		2004/12/6	عضواً
د. محمد المحاسنة		2004/12/6	عضواً
د. عامر ابو جبلة		2004/12/6	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. أحمد القطامين

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤتة – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :99-03/2372380
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهـــداء

إلـــى روح والدي ،رحمه الله تعالى، إلى أمي الغالية،التي كانت خير معين لي على تطويع مصاعب البحث،بتوفير أجواء الدراسة، ونشر الهدوء في أنحاء المنزل، ولتشـــجيعها الدائـــم لي،وإلى شقيقيَّ:عبد الرحمن وعادل وأخواتي الذين أرى فيهم مســـتقبلي وأملي، وإلى كل باحث وباحثة.إليكم جميعاً أهدي هذا الجهد رمزاً للوفاء، والعطاء، والمحبة الدائمة.

عمر زعل محمد المزايدة

الشكر و التقدير

يســعدني أن أتقدم بوافر التقدير والشكر لصاحب الفضل في رؤية هذا البحث الــنور، ووصــوله إلى مستواه،أستاذي الدكتور محمد نايف العمايرة الذي تعهدني بالتوجيه المستمر، منذ أن كان البحث فكرة إلى أن أصبح حقيقة واقعة، فهو لم يبخل علــيَّ بتوجــيه وإرشاد ،فأنار الطريق أمامي، وجنّبني أخطاءً كنت وقعت بها لولا توجــيهه وإرشــاده وعنايته وقراءاته المتأنية للبحث،وأنني مدين لإشرافه على هذه الرســالة،فقد علمني الصبر والالتزام لتواضعه العلمي ودقته وموضوعيته،وصدقه، وقــد نالت رسالتي هذه حظها الوافر من رعايته وإشرافه، فاستحق التقدير والشكر والاحترام، جزاه الله خيراً.

كمــا وأتقــدم بجزيل الشكر إلى جميع الأساتذة الكرام في قسم التاريخ بجامعة مؤتــة وأخــص بالذكر الأستاذ الدكتور أحمد الحسّو ،والدكتور طه الطراونة،اللذين أخــذت عــنهما المــنهج العلمــي السليم، والمثابرة في طلب العلم، والتواضع مع الآخرين.

ويســرني أن أتقــدم بالشكر إلى أسرة مكتبة جامعة مؤتة،وأسرة مكتبة الجامعة الأردنية،وأسرة مكتبة عبد الحميد شومان.

وأخيراً أتوجه بخالص تقديري واحترامي إلى كل من أسهم في إعداد هذا البحث حتى خرج بهذا الشكل المتواضع.

عمر زعل محمد المزايدة

الرموز والمختصرات:

ت :توفي

ج :جزء

د.ت :دون تاريخ

د.ط :دون طبعة

د.ن :دون نشر

ط :طبعة

ع :عدد

ق :قسم

م :ميلادي

مج :مجلد

هـ :هجري

فهرس المحتويات

قائمة الملاحق

الملخص

ولاية الأندلس في عهد يوسف بن عبد الرحمن الفهري
(129-138هـ/747-756م)

عمر زعل محمد المزايدة

جامعة مؤتة،2004م

لقد شهدت الدراسة "ولاية الأندلس في عهد يوسف بن عبد الرحمن الفهري (129-138هـ/747-756م)"الكثير من التغيرات والأحداث التاريخية،كنهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية في المشرق العربي،وقيام الدولة الأموية في الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل.

بدأ البحث بعرض موجز لجغرافية الأندلس،تبعه عوامل ومراحل الفتح الإسلامي للأندلس، وتعرض البحث لدراسة أبرز ملامح عصر الولاة،والتي تمثلت في الصراع بين العرب أنفسهم من قيسية ويمنية، وبين العرب والبربر،واهتم البحث بتسليط الضوء على شخصية يوسف بن عبد الرحمن الفهري ،وذلك من حيث نسبه، ومولده، وصفاته، ونشأته، وأولاده، ثم وفاته، وكيفية وصوله لولاية الأندلس، وأهمية دور الصميل بن حاتم وموقفه من ولاية يوسف الفهري.

تعرض البحث إلى معالم الحياة السياسية في الأندلس، وبين ضعف حركة الجهاد الإسلامي ضد مملكة اشتوريس، بسبب ما شهدته تلك الفترة من استمرار للصراع بين العرب والبربر، وبين العرب أنفسهم، وأن الأندلس أوشكت على الانهيار لولا دخول عبد الرحمن الداخل وقضائه على يوسف الفهري .

وأظهر البحث عناصر السكان المختلفة وطبيعة العلاقة بينهم، كما وأظهر معالم الحياة الاقتصادية من حيث الزراعة والصناعة والتجارة وعوامل انتشار القحط والجفاف خلال فترة الدراسة،وأوضح البحث الحياة العلمية فبين عوامل انتشار الفقه والقضاء،وعوامل انتشار الشعر في الأندلس، وذكر أبرز شعراء فترة الدارسة.

Abstract

Wilayat Al-Andalus in The Era Of Yusuf Ben Abdulrahman Al-Fehri (129-138A.H/747-756 A.C)

Omer Za'al Moammad Al-Mazaideh

Mu'tah University 2004 A.C

This study deals with aperiod in the history in al-andalus, wilayat al-andalus in the regime of yusuf ben abdlrohman Aal-fehri (129-138A.H/747-756A.C).thisperiod witbessed a lot of changes and Historical events such as the decline of the umayyad caliphate and the rise of Abossids coliphate in the arabian orient and the eslablishment of the umuyyad state in al-andalus by abdul-rahman al-dakhel the research started with asynopsis of al-andalus geography followed by the gactors and stuges of the islamis fatteh of al-andalus.The research studied the main features of the conflict between the arabs and barbarians (qaisisrepresent the conflict between the arabs theuselues (qaisis and yememis).

The research shed light on the the character of yusuf ben abdulrahman al-fehri in cluding / birth / chara cteristics / bringing up / sons / how he became awali of al-andalus /his death / and the important of al-somil ben hattem,s role and his attitude towards yusuf al-fehri,s willayat.

The research dealt with the political lige and the study showed the weakness of the islamic gihad movement against the kingdom of ashtorious due to the conflict between Arabs and barbarians and Arabs the mselfes .

That period al-andulus state was about to collapce if abdulrohman al-dakhel hadnt come and put an end to the interal conflict to some extent also he put an end to Yusuf al-Fehri and Somail ben Halten to agrate extent .

The research showed that the community of al-andalus consistans of Islamic such as the arabs and barbarians,al-mawali al-musalemh and al-mowalideen .

الفصل الأول

الفتح وعصر الولاة

1.1المقدمة

في عام 92هـ/711م بدأ الفتح الإسلامي للأندلس بقيادة طارق بن زياد ،ومن ثم تـبعه موسـى بـن نصـير ليتمّم الفتح الإسلامي للأندلس وذلك سنة 93هـ/712م، واسـتمرت فـتوحات طارق بن زياد وموسى بن نصير حتى سنة 95هـ/714م،وقد اصـطلح المؤرخون على تسمية الفترة التي أعقبت فتوحات طارق بن زياد وموسى بـن نصـير بعصر الولاة،وتاريخ هذا العصر يمتد من سنة 95-138هـ/714-756م، وكـان أول ولاة هـذا العصر :عبد العزيز بن موسى بن نصير،وأخرهم يوسف بن عـبد الرحمـن الفهري،وكانت نهاية عصر الولاة تتمثل في قيام الدولة الأموية في الأندلس (138-316هـ/756-928م)،وقد ذكرت ولاة الأندلس عند نهاية هذا البحث .

لقـد كثرت الدراسات التي تناولت تاريخ عصر الولاة في الأندلس، ولكن هذه الدراسات تعرضت لهذه الفترة بشكل سريع ،وهي تتشابه في موضوعاتها،ولم توجد دراسـات شـاملة تـتعلق بالجوانـب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والعلمية لولاية الأندلس في عهد أي من ولاة الأندلس ،وبالتالي من هنا جاء اختيارنا لـ(ولاية الأندلس في عهد يوسف بن عبد الرحمن الفهري(129-138هـ/747-756م)، حيـث شهدت هذه الفترة أحداثاً تاريخيةً هامة تمثلت في نهاية الدولة الأموية، وقيام الدولـة العباسية في المشرق العربي ،ونهاية عصر الولاة، وقيام الدولة الأموية في الأندلـس، بالإضافة إلى ما تميزت به هذه الفترة من ضعف مواصلة حركة الجهاد ضـد المملكة النصرانية(اشتوريس)، بسبب وجود الصراع بين العرب أنفسهم من قيسية ويمنية ،وكذلك بين العرب والبربر.

وهدفـت الدراسـة إلى تسليط الضوء على دور الصميل بن حاتم في وصول يوسف الفهري إلى ولاية الأندلس،وأغراضه السياسية،وعلاقته بالصراع بين القيسية واليمنـية، وموقـف يوسـف الفهري من هذا الصراع.كما وهدفت إلى إبراز أهم مـزروعات الأندلـس ومصـانعها وتجارتهـا الداخلية والخارجية،ووصف الحياة العلمية،والدينـية والأدبـية فـي تلك الفترة.ومن أجل تحقيق هذه الأهداف وإعطاء

صــورة واضــحة عــن هــذه الموضوعات،تم الاطلاع والاستعانة بعدد وافر من المصادر التي تعرضت لموضوع الدراسة من قريب أو من بعيد،إلى جانب المراجع والدوريات المتخصصة،والتي ذكرتها في نهاية البحث.

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد وستة فصول، تضمن التمهيد تسمية مصطلح الأندلس وموقعها وحدودها،أما الفصول فقد جاءت على النحو الآتي:

الفصــل الأول: وتــناول الأوضــاع العامة للأندلس قبيل الفتح الإسلامي،حيث تحــدث حــول الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ،وطبيعة الحكم القوطــي،وكذلك تناول أسباب ودوافع الفتح الإسلامي للأندلس ،والحملة الاستكشافية التي قادها طريف بن مالك المعافري،وكذلك حملة الفتح الأولى بقيادة طارق بن زياد والثانية بقيادة موسى بن نصير، وعالج هذا الفصل موضوعات مختلفة تتعلق بالفتح الإسـلامي للأندلـس، كقصة ابنة يليان وعلاقتها بالفتح الإسلامي للأندلس،وخُطبة طــارق بن زياد على جنوده بعد عبور مضيق جبل طارق،وحسد موسى بن نصير لطــارق بن زياد،وطرق الفتح،وأسباب ترك المنطقة الواقعة في الشمال الغربي التي تسـمى (جليقــية) بدون فتح،وعلاقة الخليفة الأموي (الوليد بن عبد الملك) بذلك.كما وبين هذا الفصل مراحل الصراع بين العرب والبربر ، وكذلك مراحل حركة الجهاد خلال عصر الولاة.

أمــا **الفصــل الثاني:** فقد تحدث حول شخصية يوسف الفهري ووصوله لولاية الأندلــس، فــبدأ بالحديــث عــن نسبه، ومولده، وصفاته، ونشأته،ووفاته،ثم تناول الأوضاع العامة للأندلس قبيل وصول يوسف الفهري لولاية الأندلس، ومن ثم كيفية وصوله لهذه الولاية، والأسباب التي جعلت الصميل يختار يوسف للولاية، وأغراضه السياسية،وموقف أهالي الأندلس من ولاية يوسف الفهري.

وتناول **الفصل الثالث** الحياة السياسية في الأندلس ،مبيناً الثورات الداخلية التي قامــت على الوالي يوسف الفهري، وصاحبه الصميل بن حاتم،وكيف تمكن يوسف الفهــري من القضاء على هذه الثورات كاملة ،وتعرض هذا الفصل لموقف الدولتين الأموية والعباسية في المشرق العربي من ولاية الأندلس، كما ووصف جهاد يوسف الفهري ضد مملكة اشتوريس،موضحاً دور بلاي في تكوين هذه المملكة، وأثر ذلك

علـــى الوجود الإسلامي في الأندلس، كما وناقش موضوع عبد الرحمن بن معاوية الأمـــوي مـــنذ هروبه من مطاردة العباسيين لـــه وللأمويين،ومروره بالمغرب حتى دخوله الأندلس،وتمكنه من القضاء على يوسف الفهري والصميل بن حاتم ،وتأسيسه للدولـــة الأمـــوية،موضـــحـــاً جهـــود مـــوالي بني أمية الكبيرة في دعم فكرة عبد الرحمن بن معاوية ونشـــرها في الأندلس.

أمـــا **الفصـــل الرابع** فقـــد تناول الحياة الاجتماعية في الأندلس، حيث بين أن الأندلـــس خـــلال فـــترة الدراسة، تضم مجموعة مختلفة من السكان كالمسلمين من العـــرب والبربر والموالي والمسالمة والمولدين،وعناصر أخرى غير مسلمة كاليهود والعجـــم أو المســـتعربين من النصارى،وكانت تربط هؤلاء السكان جميعاً علاقات جيدة،وكان اليهود والنصارى يعيشوا بسلام وحرية في المجتمع الأندلسي الإسلامي ،وكانـــت أحوالهـــم أفضـــل مما كانت عليه زمن الحكم القوطي.أما بالنسبة للتنظيم الإداري فقـــد أكدت الدراسة أن الأندلس بقيت مقسمة إلى خمس ولايات، كما كانت فـــي الفـــترة التي سبقت ولاية يوسف الفهري .وقد ذكرت هذه الولايات مع خريطة توضح ذلك نهاية البحث.

لقد خصص **الفصل الخامس** للحديث عن الحياة الاقتصادية،إذ تناول الزراعة مـــن حيـــث العوامـــل التي تؤثر فيها،وأهم نباتات الأندلس ومدنها الزراعية،وسلّط الضوء على موضوعي القحط والجفاف اللذين انتشرا بالأندلس منذ سنة131هـ/ 748م وامتدا حتى سنة 136هـ/753م، وكذلك تحدث عن الصناعة وأهم المواد الأولية التي دخلـــت فيها، وعوامل نشأة الصناعة الغذائية والنسيجية والعسكرية،ومن ثم عَرَضَ موضـــوع العوامـــل التي ساعدت على قيام التجارة في الأندلس،وأهم المواد والسلع التي تاجر بها الأندلسيون، وأهمية استخدام العملة المشرقية في الأندلس وأسبابها.

وتعـــرض **الفصـــل السادس** للحديث عن الحياة العلمية في الأندلس،فبين من خلال مصادر التشريع الإسلامي(القرآن والسنة) أن العلم واجب على كل المسلمين، وأن كـــتمه هـــو حرام ،ولذلك كانت العلوم الإسلامية قد انتشرت في الأندلس خلال فترة الدراسة،كعلوم القرآن وعلم الفقه والقضاء،وذلك عن طريق العناصر الإسلامية التـــي دخلت زمن الفتح الإسلامي وبعده إلى الأندلس،وقد وجد في الأندلس المؤدب

الذي يعلم الصبيان قراءة القرآن وتفسيره وتحفيظه في المسجد. وأوضح هذا الفصل اهـتمام الأندلسـيين بعلـم القضـاء، والفقه،فقد أكدت الدراسة على انتشار مذهب الأوزاعي في الأندلس خلال فترة عصر الولاة.أما بالنسبة للحياة الأدبية فقد تعرض الفصـل لعوامـل انتشار الشعر العربي في الأندلس، وحاجة الأندلسيين إلى الكتابة والخطابة،وبيـن أن العلوم الدنيوية كالطب، والجغرافيا، والتاريخ، والفلك، والفلسفة، والرياضـيات، والهندسـة، والصيدلة، والعمارة لم تنتشر في الأندلس خلال عصر الولاة لمجموعة من العوامل، تمثلت في ندرة المعلومات التي تلقي الضـوء علـى هذه العلوم، وأن عدداً من النصوص والروايات التاريخية لا يمكن الإفادة منها، وذلك لتعذر تحديد تواريخ أحداثها.

وفي النهاية اختتمت هذه الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث.

2.1عرض لأهم مصادر الدراسة

تواجـه مـن يتصـدى لدراسـة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمـية فـي الأندلـس، خـلال عصر الولاة، مشكلة فقدان الكثير من المصادر الأندلسية.

لقـد اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر العربية المتخصصة في التاريخ والجغرافـيا والتراجم والأدب، بعضها قريب لموضوع الدراسة وبعضها متأخر،وقد تـم الاعتماد على عدد من المراجع المتخصصة، بعضها مصنفات عربية ،وبعضها الآخـر معـربة لباحثين معظمهم من الأسبان الذين آثروا المكتبة الأندلسية ببحوثهم القيمة. وفيما يلي عرض لأهم مصادر الدراسة:

1-كـتاب تاريخ افتتاح الأندلس،لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي، المعروف بابن القوطية(ت:376هـ/986م).

ويفهـم من خلال قراءته أن ابن القوطية لم يقم بكتابته،وإنما رواه لأحد تلامذته الـذي قـام بتدوينه بأسلوبه الخاص.ويعتبر ابن القوطية من المولدين، فهو من نسل سارة حفيدة "غيطشة"(Witiza) ،آخر ملوك القوط قبل حكم "لذريق".

وقد أورد هذا الكتاب معلومات هامة عن الفتح الإسلامي للأندلس ،وكذلك عن الصـــراع القبلـــي والعرقي بين المسلمين(العرب والبربر) في الأندلس،فأفادت هذه الدراسة في معظم صفحاتها.

2-كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، لمؤلف مجهول عاش في القرن الرابع الهجري.

ويـــبدأ هذا الكتاب بحروب العرب في بلاد المغرب والأندلس في عهد موسى ابن نصير ، وينتهي بوفاة الخليفة عبد الرحمن الثالث (350هـ/916م) .

ويعتـــبر هذا الكتاب مصدراً أساسياً في تاريخ تلك الفترة،إذ أن مؤلفه قد تتبع أخباره من جميع مصادرها السمعية والكتابية،وتوخى الدقة بشكل جعل لرواياته قيمة تاريخية كبيرة.

ومن أهم رواياته التي لها علاقة بموضوع الدراسة،عبور طارق بن زياد إلى أسبانيا، ودخول القبـــائل الشامية إلى الأندلس بقيادة بلـــج بن بشر ،والصراع بينهم وبيـــن المســـتقرين الأوائـــل (البلديـــن).كما ويوضح أسباب الصراع بين العرب والبربر،ويشـــير إلى أسماء بعض القبائل العربية التي دخلت مع موسى بن نصير . وكذلك يبيّن علاقة الصميل ابن حاتم بوالي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري.

وهو لم يذكر مصادره التي اعتمد عليها،ولكن من الواضح أن المقري ينقل في كـــتابه نفح الطيب فقرات طويلة عـــن ابن حيان وآخرين،وهـــذه الفقرات موجودة تقريباً في أخبار مجموعة.

3-كتاب قضاة قرطبة، لمحمد بن حارث الخشني (ت:361هـ/972م).

وهـــو أحد العلماء الأوائل الذين كتبوا في موضوع التراجم في الأندلس، وقد عـــاش فـــي مدينة القيروان، ثم انتقل إلى الأندلس بدعوة من الخليفة الأموي الحكم المستنصر الذي طلب منه تأليف هذا الكتاب،فقد احتوى الكتاب على معلومات هامة بالنسبة لذكر بعض القضاة، والقبائل العربية في قرطبة. وقد أفاد هذا الكتاب الدراسة من خلال معرفة قضاة تلك الفترة.

4- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، لأبي عبد الله محمد بن محمد الحسني الإدريسي (ت:560هـ/1164م).

وهو من المصادر الجغرافية الهامة التي أفادت الدراسة بشكل كبير في موضوعي: التمهيد الذي تضمن التعريف بجغرافية الأندلس،والفصل الخامس الذي تحدث عن الحياة الاقتصادية في الأندلس.وذلك لغنى هذا المصدر بمادته الجغرافية التي جاءت شاملة لمختلف المناطق والبلدان الأندلسية،فقد تحدث الإدريسي عن كل بلد من حيث الموقع الجغرافي والإنتاج الصناعي والزراعي، وتعرض لذكر بعض مرافق الحياة الاقتصادية مثل الأسواق،وطرق التجارة.

5-بغية الملتمس في تاريخ علماء الأندلس، للعالم المرسي، أحمد الضبي(ت:599 هـ/1202م) .

ويحتوي هذا الكتاب على تراجم ملوك وعلماء الأندلس والوافدين إليها حتى أواخر القرن السادس الهجري،وأشار إلى الفتح الإسلامي في الأندلس.وقد أفاد هذا الكتاب الدراسة في موضوعي: تراجم التابعين الذين دخلوا الأندلس مع طارق بن زياد وموسى بن نصير،وفتح الأندلس.

6-كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لمحي الدين بن محمد بن عبد الواحد المراكشي(647هـ/1249م).

ويعتبر هذا الكتاب من المصادر التاريخية الهامة التي تناولت تاريخ المغرب والأندلس منذ فتح الأندلس إلى أخر عصر الموحدين.وأفاد الدراسة خصوصاً في الفصل الأول(الفتح وعصر الولاة).

7- كتاب الحلة السيراء ،للمؤرخ البلنسي محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الآبار (ت:658هـ/1260م) .

وهذا الكتاب يتناول أخبار المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري،وهو مقسم إلى قرون مستقلة يتناول في القرون الأربعة الأولى حياة عدد كبير من القادة ورجال الحكم والشخصيات البارزة في الاندلس، وعلى الرغم من تركيزه على ما قالوه من شعر ونثر، فإنه يحتوي على معلومات تاريخية في غاية الأهمية تتعلق بترجمة الصميل بن حاتم ،ويوسف الفهري، وأبنائه.

8-كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد بن عذاري المراكشي (ت:695هـ/1296م).

والكـــتاب تاريخ عام للمغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى بداية عصر بنـــي مرين، وهو يعتبر مصدرا أساسياً هاماً في تاريخ هذه الفترة الطويلة، ويقع في عـــدة أجـــزاء: الأول والثاني يتناولان تاريخ المغرب والأندلس إلى سقوط الخلافة الأموية، ويعتبر الجزء الثاني هو الأهم بالنسبة لموضوع الدراسة، لأنه يشتمل على فترة عصر الولاة .

لقـــد أفاد هذا الكتاب الدراسة في عدة موضوعات، تتمثل في جغرافية أسبانيا و تاريخ فتحها، وولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري،ومن ثم علاقة الأخير وصراعه مع عبد الرحمن بن معاوية الأموي.

9-كتاب الإحاطة في أخبـــار غرناطة،للسان الدين بن الخطيب(ت:776هـ/1374م).

وهـــو عبارة عن تراجم لملوك وأمراء وعلماء غرناطة ، وجميع الذين وفدوا مـــن المشرق والمغرب مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم ، وقد نشره محمد عبد الله عـــنان فـــي أربعة أجزاء، أفاد الكتاب الدراسة من خلال بعض المعلومات التي أوردها عندما ترجم للعلماء و الأدباء والوزراء والأمراء ببلاد الأندلس خلال سبعة قـــرون، إذ يقـــدم لكـــل ترجمة ببداية الأسرة وانتقاله من مدينة الأخرى .وأفاد هذا الكتاب الدراسة في الحديث عن عبد الرحمن بن معاوية الأموي.

10-الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبد الله محمد بـــن عبد الله بـــن عبد المنعم الحميري(ت:866هـ/1461م).

يشـــتمل كتاب الروض المعطار على مادة جغرافية وتاريخية في آن واحد ،مما جعل منه مصدراً هاماً لدراسة المدن الأندلسية من الناحية الجغرافية والتاريخية،وقد رتّب المدن ترتيباً هجائياً ،مما يسهل على الباحثين استخراج المدن، وقد أفادت هذه المـــادة الدراســـة في كثير من المدن الأندلسية من حيث موقعها الجغرافي وأنواع محاصيلها الزراعية وإنتاجها الصناعي، وثروتها المعدنية.

11- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب للمقري،أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني(ت:1041هـ/1631م).

يشكل هذا الكتاب موسوعة تاريخية عن الاندلس نصفها الأول يتضمن تعريف الاندلــس بينما يتناول النصف الثاني التعريف بابن الخطيب ،وقد استفادت الدراسة من نصفه الأول.

ويعيب الكتاب أنه غير منظم في سرد معلوماته، إلا أنه يعتبر مصدراً أساسياً لجمــيع الباحثيــن فـــي تاريخ المغرب والأندلس ،وذلك لاعتماد المقري على جميع مؤرخي الأندلس خصوصاً الذين فُقدت كتبهم أو أجزاء منها.

ويعتــبر هــذا الكتاب من المصادر القليلة التي غطّت مختلف جوانب الدراسة التـــي تضمنت جغرافية الأندلس وفتحها ،والحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية فيها.

وقـــد اســتفادت الدراســة من المعلومات التي أوردها المقري عن التعريف بـــالأندلس وجغرافيـــتها ومـــراحل فتحها،والصـــراع بين العرب والبربر،والإنتاج الزراعي والصناعي والحركة التجارية والعلمية في الأندلس.

٦٢٢٤٠٢

أمـــا **المراجع الحديثة**،فقد استفادت الدراسة من عدد منها:وعلى رأسها كتابي الأندلـــس، الـــتاريخ والحضـــارة والمحنة ،وموسوعة الديار الأندلسية، لمحمد عبده حتاملة،حيث يعتبـــر كتاب الأندلس موسوعة تاريخية كبيرة،أفادت الدراسة في كثير من جوانبها كالتعريف بالأندلس وفتحها وعصر الولاة ،والصراع بين العرب(القيسية واليمنية)،وبين العرب والبربر،أما موسوعة الديار،فقد أفـــادت الدراسة في الحديث عـــن بعـــض مـــدن الأندلس وموقعها الجغرافي،وأفادت الدراسة من كتابي الفتح والاســـتقرار العربـــي الإســـلامي فـــي شـــمال إفريقيا والأندلس،لعبد لواحد ذنون طه،خصوصـــاً في الفصل الأول والرابع الدراسيان اللذان تحثا عن الفتح الإسلامي للأندلس،والحياة الاجتماعية في الأندلس،كما وأفادت من كتابي فجر الأندلس ومعالم تاريخ المغرب والأندلس، لحسين مؤنس ،وذلك في معظم صفحات الدراسة.

إضـــافة إلـــى ذلك فقد استفادت الدراسة من العديد من المراجع والمقالات التي ورد ذكرها في نهاية البحث.

3.1 التمهيد:-

يتـــناول هذا البحث فترة من فترات التاريخ الإسلامي في الأندلس، وهي ولاية الأندلـــس في عهد يوسف بن عبد الرحمن الفهري(129-138هـ/747-756م)،والتي شهدت الكثير من الأحداث،والتغيرات التاريخية،كنهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباســـية في المشرق العربي،وقيام الدولة الأموية في الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل [1]،وكان لا بدّ من تمهيد يستعرض بإيجاز الموضوعات الآتية:

1.3.1مفهوم مصطلح الأندلس

الأندلس كلمة أطلقها المسلمون على معظم أنحاء شبة الجزيرة الإيبيرية الواقعة في الجزء الجنوبي من قارة أوروبا ، وقـــد سميت الأندلس بعدة تسميات قبل الفتح

---

(1)هـــو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العـــاص بـــن أمية، يكنى بأبي المطرّف،أمه بربرية من سبى المغرب، تسمى راحاَ، ولـــد بالشـــام ســـنة 113هـ/731م، وهرب منها لما ظهرت دولة بني العباس،ودخل الأندلـــس سنة 138هـ/755م، وهزم الفهري، واستولى على قرطبة،واستمر بالولاية حتى سنة 172هـ/788م، وكان من أهل العلم،وعلى سيرة جميلة من العدل،وله أدب وشعر،ولقبه الخليفة العباسي(أبو جعفر المنصور)بصقر قريش.انظر:ابن عذاري،أبو العـــباس أحمـــد بـــن محمـــد(ت:695هـ/1296م)،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تحقيق ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال،دار الثقافة،ط3،بيروت 1983م،ج2، ص47؛(وسيشـــار إليه فيما بعد:ابن عذاري،البيان المغرب)؛ الحميدي، أبو عبد الله محمـــد بـــن أبـــى نصـــر (ت:488هـــ/1095م)،جـــذوة المقتبس من تاريخ علماء الأندلس،حققـــه ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري،دار الكتب الإسلامية،ط2، بيروت 1983م،ق1،ص38.(وسيشـــار إليه فيما بعد :الحميدي، جذوة المقتبس)؛ المراكشي ، محي الدين بن محمد بن عبد الواحد(ت:647هـــ/1249م)،المعجب في تلخيص أخبار المغـــرب مـــن لـــدن فـــتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين،تحقيق محمد سعيد العريان،إشراف محمد توفيق عويضة،الجمهورية العربية المتحدة،لجنة إحياء التراث الإسلامي،د.ط،د.ت،ص40-41.وسيشار إليه فيما بعد:المراكشي،المعجب.

الإسلامي لها[1]، منها:شبة الجزيرة الإيبيرية(PeninsulaBoric)وشبة الجزيرة الإسبانية (PeninsulaEspanola)، واوفيوسا (Ophiousa)وبلد الحيات (Pais de serpienhle) ،وقد أطلق الرومان على الأندلس اسم سبانيا أو أسبانيا وهي تسمية فنيقية أصلها أصفانيم(I-Schephanh-Im) التي تعني بلغتهم "شاطئ الأرانب"[2].

و تسمى الأندلس باليونانية أشبانيا [3]،وأما بالنسبة للأصل التاريخي لمصطلح الأندلس فيرى كل من:ابن عذاري، والقلقشندي، والحميري، والمقري[4] أنها مشتقة من اسم قوم عرفوا بالأندلِش، وهم جماعات سكنوا تلك البلاد ،فعُرفت بهم ،ثم عُرّب

---

(1)القلقشندي،أبو العباس أحمد بن علي (ت:821هـ/1418م)،صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة ،د.ط،القاهرة ،د.ت ،ج5،ص211-212. (وسيشار إليه فيما بعد:القلقشندي، صبح الأعشى)؛الحميري،أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت:866هـ/1461م)،صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار،نشر إ.ليفي بروفنسال،دار الجيل ، ط2، بيروت 1988م ، ص4-5 .وسيشار إليه فيما بعد :الحميري ،صفة جزيرة الأندلس.

(2)حتاملة، محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة،مطابع الدستور التجارية، د.ط،عمان 2000م، ص1021.وسيشار إليه فيما بعد:حتاملة ،الأندلس.

(3)الإدريسي،أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد بن عبد الله(ت:560هـ/1164م)نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،عالم الكتب،ط1، 1989م ،ج2،ص525 . وسيشار إليه فيما بعد،الإدريسي،نزهة المشتاق.

(4)ابن عذاري، البيان المغرب،ج2،ص1-2 ؛القلقشندي،صبح الأعشى،ج5،ص211؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ،تحقيق إحسان عباس ،مكتبة لبنان ،ط2،بيروت 1984م ، ص 32.(وسيشار إليه فيما بعد :الحميري،الروض المعطار)؛المقري،شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(ت:1041هـ/1631م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،تحقيق إحسان عباس،دار صادر،د.ط، بيروت 1988م،مج1،ص133.وسيشار إليه فيما بعد،المقري،نفح الطيب.

الاسم فيما بعد وأصبح "الأندلس".

وقد أخذ العرب هذه التسمية من اسم قبائل الوندال[1](Vandals) الجرمانية الأصل الذين حكموا جنوب أسبانيا فسميت المنطقة فندلسيا نسبة لهم، وحرفها العرب إلى الأندلس[2].وبالتالي فإن مصطلح الأندلس ارتبط تاريخياً في العهود الإسلامية،وإن العرب لم يعرفوا تسمية الأندلس قبل هذه العهود .

وظل اسم الأندلس يُطلق على ما كان العرب يملكونه من شبة الجزيرة الإيبيرية (أسبانيا و البرتغال)حتى أقتصر في النهاية على مملكة غرناطة[3](Granada) في

---

(1)الوندال:هم من الشعوب الذين سكنوا نهر "الاودور "(Oder) ونهر "الفيستولي" (Vistale) في شرقي ألمانيا،ثم زحفوا من الشمال إلى الجنوب حتى بلغوا مضيق جبل طارق، واحتلوا شبة الجزيرة الإيبيرية في القرن الثالث الميلادي.أنظر:ابن عذاري ،البيان المغرب ،ج1،ص1-3؛ المقري،نفح الطيب،مج 1،ص127-139؛ الحجي،عبد الرحمن علي،التاريخ الأندلسي،دار القلم، ط1، الرياض 1976م،ص37. (وسيشار إليه فيما بعد :الحجي، التاريخ الأندلسي)؛حلاق،حسان،العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ،الأندلس،الدار الجامعية،بيروت 1986م ، ص15-16. وسيشار إليه فيما بعد:حلاق، العلاقات الحضارية.

(2)حتاملة ،الأندلس ، ص1022؛ العمايرة، محمد نايف، مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان، ط1، عمان 1999م،ص30.وسيشار إليه فيما بعد:العمايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية.

(3)غرناطة(Granada) :مدينة أندلسية بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً وهي من مدن البيرة. وغرناطة بفتح العين المعجمة، وسكون الراء المهملة، وألف وطاء مهملة وهاء في الآخر،ويقال :أغرناطة بهمزة مفتوحة في أولها.وهي آخر مناطق المسلمين في الأندلس، حيث سقطت بيد فرديناند وأيسابيلا ملكي قشتالة وأرغون سنة 897هـ/1492م.أنظر :الحميري، الروض المعطار، ص45؛ القلقشندي، صبح الأعشى،ج5، ص213؛ العمايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص283.

الركـن الجنوبـي الشرقي من أسبانيا،وهو يمثل ثمن مساحتها ومع ذلك ظل يسمى الأندلس،وفـي الـنهاية عـندما لـم يبقى في يد المسلمين إلا غرناطة كـانت هي الأندلس[1]

2.3.1موقع الأندلس وحدودها:

تقع الأندلس في الجنوب الغربي من القارة الأوروبية وتبلغ مساحتها الكلية نحو سـتمائة ألف كيلو متر مربع، وتشكل أسبانيا الحالية خمسة أسداسها في حين تشكل البرتغال سدسها الباقي[2] .

ويحدهـا مـن الشمال الشرقي جبال البرت التي تفصلها عن الأرض الكبيرة (فرنسـا)، ويحدها من الشمال الغربي خليج بسقاية(Vizcaya)،ومن الجنوب مضيق جـبل طارق،ومن الشرق والجنوب الشرقي البحر لأبيض المتوسط، ومـن الغرب والجنـوب الغربي المحيط الأطلسي [3] .

---

(1)مؤنس،حسـين، معالم تاريخ المغرب والأندلس،دار مطابع المستقبل ،ط1،القاهرة 1980 م ص229. وسيشار إليه فيما بعد:مؤنس،معالم تاريخ المغرب.

(2)حـتاملة، الأندلـس،ص1024 ؛حميدة،عبد الرحمن ،جغرافية أوروبا الغربية،دار الفكر ،ط1،دمشق1985،ص395.سيشار إليه فيما بعد:حميدة ،جغرافية أوروبا.

(3) ابـن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص1؛المقري، نفح الطيب، مج2، ص131؛ الحمـيدي، جـذوة المقتـبس، ق1،ص36؛الحميري، الروض المعطار، ص32–33؛ الأصطخري،ابن إسحاق، إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي(ت:النصف الأول مـن القرن الرابع الهجري)،المسالك والممالك،تحقيق محمد جابر عبد العال، راجعـه محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،د.ط ،1961م، ص35. (وسيشـار إلـيه فيما بعد:الأصطخري،المسالك والممالك)؛ العمري،ابن فضل الله، شـهاب الديـن أبو العباس أحمد بن يحيى (ت:749هـ/1348م)،مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،تحقيق أحمد زكي،مطبعة دار الكتب المصرية ،د.ط،القاهرة 1924م، ج1، ص56–57. (وسيشـار إليه فيما بـعد:العمري،مسالك الأبصار)؛أبو الفداء ==

وتعتـــبر الأندلـــس شبه جزيرة ،لأن المياه تحيط بها من جهاتها الثلاث :الشرق والغرب والجنوب والشمال الغربي ،وتبقى الجهة الشمالية الشرقية يابسة وهي جبال البرت [1].

4.1الأوضاع العامة للأندلس قُبيل الفتح:

كانـــت الأندلـــس قبيل دخول المسلمين إليها تحت الحكم القوطي ،الذين غلبوا الأندلس واقتطعوها مـــن الروم ، واتخذوا مـــدينة طليطلة[2]دار سلطانهم ،وتكـــونت مملكـــتهم فـــي شبه جزيرة إيبيريا، وتولى ملـــوكهم العرش ،ومنهم الملك "وامبا": آخـــر مـــلوك القوط الأقوياء وبموته بـــدأ عصر الضعف والخلافات على العرش الملكي[3].

ومن ملوك القوط أيضاً "غيطشة"الذي وصل إلى العرش،وأراد أن يقضي على

=عمـــاد الديـــن إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة(ت:733هـ/1332م)،تقويم البلدان،اعتـــنى بتصـــحيحه :ريـــنود والـــبارون ماك كوكين ديسلان،دار الطباعة السلطانية،د.ط،باريس 1860م،ص144.وسيشار إليه فيما بعد:أبو الفداء،تقويم البلدان.

(1)ابـــن عـــذاري، البيان المغرب، ج2، ص1؛المقري، نفح الطيب،مج 2،ص131-132؛الحميري، الروض المعطار،ص32؛ البكري، أبي عبيد،عبد الله بن عبد العزيز الـــبكري الأندلســـي(ت:487هـ/1094)،جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة، ط1، 1968م،ص 84.وسيشار إليه فيما بعد: البكري،جغرافية الأندلس .

(2)طلـــيطلة(Toledo):مدينة أندلسية ،بينها وبين وادي الحجارة خمسة وستون ميلاً وهـــي مركـــز لجمـــيع بـــلاد الأندلس،ودار الملك بالأندلس عندما دخلها طارق بن زياد.أنظر:الحميري، الروض المعطار، ص393.

(3)الحميري،صفة جزيرة الأندلس، ص6؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص3؛ حتاملة،الأندلس،ص52-54.

الخلافـــات الداخلـــية،وأن يتمكـــن من حكم بلاده،فأتخذ عدة إجراءات للحد من قيام الـــثورات والخلافات،فمنع استعمال الأسلحة في البلاد حتى لا يثور عليه أحد،و أمر بإزالـــة الأســـوار عن المدن ليكشف عما بداخلها،لكن هذه الإجراءات أدت إلى قيام تآمـــر عليه تزعمه شخص يسمي"لذريق"[1]الذي قام بثورة ضد الملك غيطشة،حيث تعـــاون لذريق مع رجال الدين وفئات أخرى من المجتمع المعارضين لسياسة الملك غيطشـــة،وانتهت الثورة بخلع الملك غيطشة وانتخاب لذريق ملكاً على البلاد،ونتيجة لذلـــك قام أبناء غيطشة(وقِلة والمُند و أرطباش)بثورة على"لذريق" فتمكن الأخير من إخماد ثورتهم،فـــاضطرَّ الأبناء الاستغاثة بوالي طنجة[2] "طارق بن زياد"[3] للانتقام

---

(1)لذريق(رُدريك)(ت:92هـ/711م):كان شجاعاً وفارساً وقائداً ويقضاً وصاحب فكر وشديد البأس والغالب كما ذكرت بعض المصادر أنه ليس من أبناء ملوك القوط، فقد انـــتزع الحكـــم مـــن الملـــك القوطـــي غيطشة ،وكان ملكاً للبلاد أثناء دخول الفتح الإســـلامي.أنظـــر:ابـــن عذاري،البيان المغرب،ج2 ص3؛ الحميري،صفة جزيرة الأندلـــس ،ص6؛ المقري،نفح الطيب،مج1،ص232؛ابن الأثير،عز الدين أبي الحسن علـــي بـــن أبـــي الكرم،(ت:630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ،دار صادر، د.ط، بـــيروت 1979م، مـــج4، ص 561. وسيشار إليه فيما بعد: ابـــن الأثير،الكامل في التاريخ.

(2)طـــنجة:مدينة قديمة بالمغرب،تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط بينها وبين ســـبته ثلاثون ميلاً من جهة البر،وهي آخر حدود إفريقية من المغرب،افتتحها القائد عقبة بن نافع.أنظر:الحميري، الروض المعطار،ص395-396.

(3)طارق بن زياد:قيل ابن عمرو،وقيل أنه فارسي،والغالب أنه بربري من نـــفزة ، ومولى موسى بن نصير ،من سبي البربر،كان والياً على طنجة قبيل دخوله الأندلس للفتح الإسلامي من قبل مولاه موسى بن نصير.أنظر:ابن عذاري،البيان المغرب،ج2 ص5؛الحمـــيدي،جذوة المقتـــبس،ق1،ص31؛ المراكشـــي، المعجـــب ، ص32؛ الترمانيني،عبد السلام، أحداث التاريخ الإسلامي،خلاص للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، 1995م،مج1، ص675. وسيشار إليه فيما بعد،الترمانيني،أحداث التاريخ .

من لذريق [1]،وكذلك تعاون الأبناء مع حاكم سبتة[2] الذي يعرف بيليان[3].

ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل استمرت البلاد تحت الحكم القوطي المستبد، وكـــان البشكنس الذين يسكنون شمال البلاد يرفضون الخضوع للقوطيين ،بل قادوا ثـــورات ضدهم بسبب سوء الأحوال الاقتصادية [4]،وربما قدموا مساعدات للعرب القادمين للبلاد للانتقام من القوطيين والتخلص من حكمهم المستبد.

وهـــنا انقسم الرأي العام إلى قسمين :الأول يوالي الملك الجديد وهو لذريق ، والثانـــي يوالـــي الملك المخلوع وهو غيطشة،وبالتالي أصبحت البلاد في حالة نزاع وفوضى سياسية.

وكـــان المجـــتمع القوطـــي يتألف من ثلاث طبقات:وهم كبار ملاك الأرضي والنـــبلاء، والعبيد، ثم الأغلبية الساحقة من السكان الذين لم يكونوا من النبلاء أومن العبيد ،وكانوا يسكنون المدن والأرياف،وينتمون لأصول رومانية وقوطية ،وهم

---

(1)ابـــن القوطية، أبو بكر محمد القرطبي(ت:376هـ/986م)،تاريخ افتتاح الأندلس، تحقـــيق إبراهـــيم الأبـــياري، دار الكتاب اللبناني، ط2،بيروت 1989م،ص29-33. (وسيشـــار إلـــيه فـــيما بعد:ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس)؛ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص2-3؛المقري،نفح الطيب،مج1،ص249.

(2)سبته: بفتح السين،وهي مدينة تقع على الخليج الرومي المعروف بالزقاق وهـــو أول الـــبحر الأبـــيض المتوسط ، وهـــذه المدينة تقابل الجزيرة الخضراء، ويحيطها البحر مـــن جميع جهاتها إلا الجهة الغربية.أنظـــر: الحميري، الروض المعطار،ص 303.

(3)يلـــيان:علـــج، وقـــيل نصراني،شـــجاع هجوم ،شديد البأس ،كان يقبض مفتاح أسبانيا،لأنه كان يحكم سبتة والجزيرة الخضراء عند دخول المسلمين الفاتحين،وهو مـــن أنصار الحكم القديم ومن خصوم الحكم الجديد الذي تزعمه لذريق،فقدم الطاعة للمســـلمين ضد لذريق.نظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص5، المقري،نفح الطيب،مج1،ص231؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج4،ص561.

(4)المقري،نفح الطيب، مج1،ص231؛حتاملة ،الأندلس،ص54.

محرومون من الانتظام في سلك رجال الدين[1].

وكانـت غالبية سكان البلاد يعيشون في ظروف اقتصادية صعبة ،فقد اضطر الكثـير من سكان المناطق الريفية لتسليم ممتلكاتهم للنبلاء الكبار،لقاء تمتعهم بحماية هـؤلاء النبلاء ،حـتى أنهم تحولوا أخيراً إلى ما يشبه الأقنان.وأما بالنسبة للجانب الديني، فكانت المسيحية هي ديانة الغالبية العظمى من السكان ،وكانت غالبية السكان يدينون بالمذهب الكاثوليكي [2].

وكـان الـيهود يشكلون عنصراً مهماً من عناصر السكان في مملكة القوط ، وكانوا يتمركزون في المناطق الحضرية المتقدمة [3]مثل طليطلة،غرناطة، وطركونة [4]، وكـانوا يعملـون بالتجارة،وقد عوملوا معاملة قاسية من قبل القوط ،حيث اشتد نفوذ الكنيسة في أسبانيا فوجهت جهودها لتنصير اليهود مستخدمة بذلك وسائل القهر والشـدة،ومن ثـم صار اضطهاد اليهود سياسة ثابتة لكل طبقات الشعب الأسباني، وبالتالي ازداد حقد اليهود على الديانة الكاثوليكية [5].

---

(1)ذنـون طه،عـبد الواحد،الفـتح والاستقرار العربي والإسلامي في شمال أفريقيا والأندلـس،دار الرشيد،منشـورات وزارة الـثقافة والإعـلام،د.ط،1982م ،ص81. وسيشار إليه فيما بعد:ذنون طه،الفتح والاستقرار العربي.

(2)ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي،ص81-86؛حسن،إبراهيم حسن،تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،مكتبة النهضة المصرية،ط7،القاهرة 1964،ج 1،ص309.وسيشار إليه فيما بعد:حسن،تاريخ الإسلام.

(3)أخبار مجموعة،ص56.

(4)طركونة (Tarragona):مدينة أندلسية بالقرب من مدينة لاردة، وتقع طركونة في الجهـة الشـرقية وعلـى سـاحل البحر الأبيض المتوسط.أنظر:الحميري،الروض المعطار،ص392.

(5)صـقر،محمد عـبد الحميد عيسى ،الفتح الإسلامي للأندلس ،مكتبة سعيد رأفت ، عيـن شـمس،د.ط، 1985م،ص90.(وسيشـار إليه فيما بعد:صقر،الفتح الإسلامي)؛ حتاملة، الأندلس،ص54؛حسن، تاريخ الإسلام،ج1،ص309.

ويتضح مما تقدم أن أسبانيا فقدت وحدتها السياسية ،كما فسدت سيادتها الاجتماعية وتلك هي الصورة التي كانت عليها البلاد قُبيل الفتح الإسلامي لها ، مما مهد الطريق للفتوحات الإسلامية القادمة[1].

5.1أسباب ودوافع الفتح :

يُعدُّ الفتح الإسلامي للأندلس من أعظم الفتوحات الإسلامية،إذ نتج عنها قيام أول دولة عربية إسلامية في القارة الأوروبية،وهي دولة استمرت قائمة ثمانية قرون.

إن طبيعة الفتوحات الإسلامية لم تكن غزوات ، إنما كانت فتوحاً بالمعنى اللفظي لهذا المصطلح ،أي فتح أبواب البلاد للإسلام ،وإدخال أهلها في الدين الإسلامي ،وتحويلها لبلاد إسلامية،عقيدة وحضارة عربية إذا تيسر،وكانت هذه الفتوحات بطبيعتها من أكبر أسباب متاعب العرب، لأن الشعب من الشعوب إذا دخل في دولة الإسلام ،وأصبح شعبا مسلماً أو في ذمة الإسلام،طالب الدولة بما يفرضه الإسلام نفسه من العدالة ،وحكم الشرع الإسلامي،

وبالتالي كان فتح الأندلس استجابة لدواعي الدين الإسلامي الذي حث على الجهاد ،لقوله تعالى:"يا أيها الذين أمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله أثّاقلتم إلى الأرض"[2]. ولقد أصبحت الجبهة الغربية في عهد موسى بن نصير[3] مهيأة

---

(1)مؤنس ،معالم تاريخ الأندلس،ص58.

(2)التوبة،آيه38.

(3)هو موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن يزيد اللخمي اليماني ،أبو عبد الرحمن،كان أبوه على حرس معاوية بن أبي سفيان ،نشأ موسى بدمشق، وأصله من الحجاز ،وولاه الوليد بن عبد الملك على إفريقية وما وراءها سنة 88هـ/707م،وبها صالح حسان بن النعمان ،واستعمل مولاه طارق بن زياد علىطنجة ،و أكمل فتح الأندلس زمن الوليد بن عبد الملك.أنظر:ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين أحمد (ت:681هـ/1282م)،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق إحسان عباس، دار صادر، د.ط،بيروت د.ت،مج5،ص320.(وسيشار إليه فيما بعد:ابن خلكان،وفيات الأعيان)؛الترمانيني،أحداث التاريخ ،مج1، ص651.

لتكون منطلقاً لفتح جديد،لا سيما أن الشمال الأفريقي أصبح إسلامياً، فمن الطبيعي أن تجتذب الأندلس أنظار المسلمين بحكم معرفتهم السابقة بها،وخاصة أنها قريبة منهم في جوار أبدي،فقد انصهر البربر والعرب معاً في بوتقة الإسلام(1)

ويعتبر فتح الأندلس امتدادا طبيعياً لحركة الفتوحات في الجهة الغربية ،بعد أن أرسيت قواعد الإسلام على يد موسى بن نصير، وخاصة في طنجة التي كان طارق بن زياد قائداً لحاميتها الإسلامية، والتي كانت مؤهلة لفتح الأندلس بسبب قربها من المجاز أو بحر الزقاق الذي سمي فيما بعد مضيق جبل طارق(2).

وردت في المصادر العربية قصة ملخصها:أن يليان كان قد أرسل ابنته إلى قصر لذريق لتتأدب وتنشأ فيه أسوةً بغيرها من بنات القوط في ذلك الزمان،وأن لذريق طمع بالفتاة ونال منها،فكتبت لأبيها بخبرها،ودفعه ذلك للانتقام من لذريق ، فاتصل يليان بطارق بن زياد،وأخذ يزين له فتح الأندلس،وجعل لنفسه وأتباعه أدلاء للعرب في الأندلس(3).

---

(1) حتاملة،الأندلس،ص56-57.

(2)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص7؛حتاملة،الأندلس،ص56-58.

(3)ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس ،ص34؛مجهول ،(عاش في القرن الرابع الهجري)،أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع،ط 1، 1994م، ص 52 .(وسيشار إليه فيما بعد،أخبار مجموعة)؛ الحميري، الروض المعطار،ص34؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص232-233؛ ابن خلدون،عبد الرحمن بن خلدون المغربي(ت:808هـ/1406م)،تاريخ ابن خلدون ،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم،ضبطه خليل شحادة وراجعه سهيل زكار،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ط2،بيروت 1988م،مج4،ص150. (وسيشار إليه فيما بعد:ابن خلدون،تاريخ)؛مؤنس،حسين،فجر الأندلس(711-756م)، الدار السعودية للنشر والتوزيع،ط2،جدة 1985،ص59.وسيشار إليه فيما بعد: مؤنس، فجر الأندلس.

وربما تكون هذه القصة حقيقية،إذا ما اعتبرنا أن تربية الأبناء وخاصة الإناث فـــي قصـــر ملوك القوط عادة اجتماعية سائدة عند القوطيين في الفترة التي سبقت دخول المسلمين إلى الأندلس لفتحها،ثم أن هذا المجتمع فقد وحدته السياسية وروابطه الاجتماعية، وعقائده الدينية ،مما يجعله عرضةً لمثل هذه القصص،وبالتالي ليس لنا أن نستنكر حدوث هذه القصة في هذا المجتمع المفكك.

أمـــا بالنســـبة لعلاقة هذه القصة بفتح الأندلس فعلى ما يبدو أن الظروف كلها مواتية فتح الأندلس،وبالتالي يتم الفتح بغض النظر عن حدوث تلك الواقعة المتعلقة بابنة يليان وذلك التهديد الذي أطلقه متوعداً لذريق:"لأوردن عليه طيراً لم يسمع قط بمثلها"[1]،وربما يقصد بذلك جيش المسلمين،فقد تلقف موسى بن نصير دعوة يليان، ووجدها فرصة جاءت في الوقت المناسب،فأغتنمها بما عرف من ذكاء وحسن تدبير

وكذلـــك لـــيس من شك في أن حقد أولاد غيطشة على لذريق الذي نال المُلك بالقوة،واعتداءه على ابنة يليان،وسوء الأحوال الاجتماعية التي تمثلت بسخط اليهود علـــى ملوك أسبانيا،وانتشار الثورات،قد ساعد ذلك في تمهيد الطريق أمام المسلمين لفتح الأندلس[2] .

ذكر بعض المؤرخين أن يليان تعهد لطارق بن زياد بإدخاله الأندلس مع جنوده على سفن من عنده، وأنه حمل جنود طارق في مـــراكب التجار دون أن يشعر أهل الأندلس[3]، وكذلك وصف الأندلس لطارق بأن أهلها ليسوا أهل شجاعة[4].

---

(1)ابن عذاري ،البيان المغرب،ج2،ص7؛حتاملة ،الأندلس ،ص57.

(2)ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص29-30؛حتاملة،الأندلس،ص54.

(3)ابن عذاري،البيان المغرب، ج2، ص6-7؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص248-249؛ الرقيق، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم(عاش في القرن الخامس الهجري)،تاريخ إفريقية والمغرب،تحقيق،بد الله العلي وعز الدين عمر موسى،دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1990م،ص42.وسيشار إليه فيما بعد:الرقيق،تاريخ إفريقية .

(4)ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، ص34.

إن فكــرة تقديم يليان المساعدة للعرب لفتح الأندلس والقضاء على حكم لذريق ربمــا تكــون قــد جــاءت لحســن العلاقــة التي كانت تجمع يوليان بأولاد الملك المخلوع(غيطشة)،وقيل أن أولاد غيطشه كتبوا ليليان يطلبون مساعدته ضد لذريق ، وربما أوحوا إليه فكرة إدخال العرب بعد أن علموا أن هؤلاء العرب قد أشرفوا على البحر عند طنجة[1]، وكذلك لا ننسى أن يليان يريد الانتقام من لذريق لاعتداء الأخير علــى ابنة يليان، فدعاه ذلك إلى أن يستدعي المسلمين من المغرب ويحثهم على فتح الأندلس انتقاماً من لذريق.

وبدأ الاستعداد للفتح بعد أن توفرت لموسى مجموعة من الشروط الأساسية:

1-موافقة القيادة العليا ممثلة في الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ،والذي لم يضع علــى موسى أي قيد، اللهم عدم التغرير بالمسلمين ،حيث كتب لموسى بأن يختــبر الــبلاد بالسرايا ،وأن يحرص على أرواح المسلمين في بحر شديد الأهــوال ، وقد طمأنه موسى بأنه ليس ببحر،وإنما هو "خليج يصف صفة من خلفه للناظر"[2].

2-وجــود بعض الأعوان والأدلاء من أمثال حاكم سبته"يليان"،وأبناء الملك غيطشة وأعوانهم وغيرهم ممن أمكن ليليان تجنيدهم [3] .

---

(1)ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص29/ 31؛ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص6؛المقــري، نفــح الطيب،مج1،ص248-249؛ابن خلدون،تاريخ،مج4، ص150؛ الشطشــاط،علي حســين، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة،دار قباء ، د.ط، القاهرة 2001م، ص23. وسيشار إليه فيما بعد: الشطشاط، تاريخ الإسلام.

(2)أخبار مجموعة،ص52؛ابن عذاري ،البيان المغرب،ج2،ص5؛ الحميري، الروض المعطار ،ص35.

(3)ابــن عــذاري، البــيان المغــرب،ج2،ص4-5؛محمود،حسن أحمد،ومنى حسن محمــود، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة 1999م،ص30. وسيشار إليه فيما بعد:محمود،تاريخ المغرب.

3-إقبال البربر إلى حد كبير على اعتناق الدين الإسلامي،وحماسهم للجهاد [1].

عمد موسى بن نصير إلى إعداد حملة تتكون من مائة فارس وأربعمائة راجل مهمـــتها استكشافية فقط، وعهد بقيادتها إلى طريف بن مالك المعافري[2]سنة91 هــ/ 710م حيــث نزلــت حملــته الجزيــرة الخضــراء[3]التـــي عُرفت باسمه (جزيرة طــريف)،فأقـــام بها أياماً حتى عبر جميع أصحابه ، ثم أغار على ما يجاورها من الــبلاد ،فاكتشــف ضعف مقاومة القوط ، وقلة جندهم ،وحاز من إغارته هذه سبياً كثيراً لم يرى المسلمون مثله من قبل[4]،وقد نجحت هذه الحملة الاستكشافية،وعادت للمســلمين بالنصر ، ولذلك ارتفعت معنويات المسلمين للجهاد في سبيل الله،مما أقنع موسى بن نصير باتخاذه قرار عبور الأندلس .

6.1حملات الفتح:

أ-حملة طارق بن زياد:

ندب موسى بــن نصير لهذا العمل رجلاً من خيرة جنده،هو طارق بن زياد

---

(1)ابــن عــذاري، البــيان المغرب، ج2،ص5؛ المقري،نفح الطيب،مج1،ص231؛ صقر،الفتح الإسلامي، ص107.

(2)هو طريف بن مالك المعافري،يكنى أبا زرعة ،بربري الأصل،ومولى موسى بن نصير ،وإليه تنسب جزيرة طريف التي على المجاز ،وهو أول مــن دخل الأندلس برسم الجهاد .أنظر:المقري،نفح الطيب،مج1، ص229.

(3)الجزيــرة الخضــراء(Algeciras): مديــنة تقع في جنوب الأندلس على ضفاف الــبحــر الأبيض المتوسط ، ويقال لها جزيرة أم حكيم. أنظر: الحميري، الروض المعطار،ص223.

(4)ابــن عــذاري، البيان المغرب، ج2، ص5؛ابن خلدون،تاريخ، مج4، ص150؛ حــتاملة، الأندلس، ص60؛ محمود، تاريخ المغرب، ص30؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص67.

"والـــي طـــنجة"، وكان من المخلصين لموسى بن نصير، حيث أختاره من بين كبار القـــادة الذين كانوا يقودون الجند في أيامه، ويبدو أن موسى بن نصير يثق بـــه، فقد وكّـــل إليته قيادة الحملة الأولى الكبيرة، وأرسل معه كبار الجند من العرب كمغيث الرومي(1).

هـــذا وقد كان عبور المسلمين للأندلس على شكل دفعات متتالية وذلك اعتباراً مـــن يـــوم الاثنين الخامس من رجب سنة 92هـــ/711م (2) ،حيث بلغ عددهم سبعة آلاف من البربر والموالي والعرب (3) .

ولـــم يكـــن اختيار البربر في الحملة الأولى التي قادها طارق بن زياد من باب المغامـــرة بهم، أو المحافظة على الوجود العربي، لأن إرسال جيشاً جُلَّهُ من البربر لـــيس غريباً، وأن الدين الإسلامي لا يميز بين عربي وبربري، فلماذا إذن لا يكون جيش طارق بن زياد أو على الأقل غالبيته من البربر؟ وكما أن الجهاد فريضة على كل مسلم سواء أكان عربي أم غير عربي، وبالتالي ليس لنا القول بأن حماس البربر

---

(1)مغيث الرومي:هو مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني ، سُـــبي مـــن الـــروم بالمشـــرق وهـــو صغير ،فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد،فنشـــأ بدمشـــق ودخل الأندلس مع طارق بن زياد،وصار منه بنو غيث الذين اســـتقروا فـــي قرطبة وسادوا وعظـــم بيتهم. أنظر: المقري، نفح الطيب،مـــج 3، ص12.

(2)الحمـــيدي،جذوة المقتـــبس،ق1،ص31؛المقـــري،نفخ الطيـــب،مج1،ص231؛ابن خلكان،وفيات الأعيان،مج5،ص320؛العمايرة،مراحل سقوط الثغور الأندلسية،ص32؛ مؤنس،فجر الأندلس،ص67-68.

(3) الـــبلاذري،أبو الحســـن(ت:279هـــ/ 892م)،فتوح البلدان،إشراف لجنة تحقيق التراث،مكتبة الهلال،ط1،بيروت 1983م، ص228.(وسيشار إليه فيما بعد: البلاذري، فتـــوح البلدان)؛ أخبار مجموعة،ص54؛ ابـــن عذاري، البيان المغرب،ج2، ص6؛ الحميري، الـــروض المعطار، ص35؛ المقـــري، نفح الطيب، مـــج1، ص231.

أشـــد من العرب[1]،لأن العرب حملوا راية الجهاد في مشارق الأرض ومغاربها منذ زمن الرسول-عليه السلام-وبالإضافة إلى ما سبق فقد كانت غالبية حملة موسى بن نصـــير مـــن العرب،وبالتالي ربما يكون السبب في جعل الحملة الأولى غالبيتها من البربر لأن قائدها بربري وهو طارق بن زياد ، ولذلك جعلت الحملة الثانية غالبيتها من العرب لأن قائدها عربي وهو موسى بن نصير.

تشـــير بعـــض الروايات أن أول فتوحات طارق بن زياد هو جبل الفتح الذي سمي فيما بعد:جبل طارق، ومـــن ثـــم حصن قرطاجنة الذي يقع عند جبل طارق ، بكـــورة الجزيرة الخضراء[2]، وكان لذريق عندئذٍ في شمال البلاد مشغولاً في غزو البشـــكنس الذيـــن يرفضون الخضوع للقوط ويطالبون بالاستقلال،فوصلت إليه أنباء قـــدوم طارق بن زياد ومن معه من المسلمين"أنه قد وقع بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء نزلوا أم من الأرض نبعوا"[3]،فلما بلغ لذريق ذلك أقبل راجعاً بجيشه لملاقاة طـــارق بـــن زيـــاد،ولذلك انتشـــرت خُطـــبة طارق أمام جنده:" أيـــها الناس،أين المفر،الـــبحر مـــن ورائكم،والعـــدو مـــن أمامـــكم، فليس لكـــم والله إلا الصـــدق والصـــبر، فإنهمـــا لا يُغلبان"[4].ولهذا جاءت خُطبة طارق بن زياد عندما علم بقدوم لذريـــق وجيشـــه على سبيل تشجيع جنده فأمرهم بالصدق والصبر على الجهاد في سبيل الله ،لأن ساحة القتال بحاجة لمثل هذه الصفات.

كانت أعداد الجيش القوطي الذي قدم مع لذريق تزيد عن جيش المسلمين أضعافاً

---

(1)حتاملة ،الأندلس ،ص63-64.

(2)ابن عذاري،البيان المغرب، ج2، ص9؛ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس، ص33؛ الحميري، الروض المعطار،ص462.

(3) المقري، نفح الطيب،مج 1،ص231.

(4)أنظـــر:ابـــن قتيـــبة ،أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ،(ت:276هـ/889م)، الإمامـــة والسياسة،تاريخ الخلفاء،بع ونشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي،ط. أخيرة، مصـــر1969م،ج1،ص74؛(وسيشار إليه فيما بعد:ابن قتيبة،الإمامة والسياسة) ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان،مـــج5، ص321-322؛وذكـــر صاحب قلائد الذهب الخُطبة=

كبيرة[1] ولهذا طلب طارق الإمداد من موسى بن نصير الذي أمده بخمسة آلاف من المسلمين [2]،ثم التقى جيش طارق وجيش لذريق في وادي لُكة(Lugo) من كورة شذونة، الواقعة على نهر برباط[3]، وذلك في رمضان سنة 92هـ/711م،واستمرت المعركة بينهما حوالي ثمانية أيام وكان النصر حليف المسلمين[4]،ولم يُعرف للذريق موضع ،فقيل غُرق، وقيل قُتل[5].

وهكذا أحرز المسلمون نصراً عظيماً في هذا اللقاء الأول ،"وانهزم القوط أعظم هزيمة وغلبت العرب على الأندلس"[6]، وترك هذا النصر أثراً كبيراً في رفع

باسلوب آخر هو:"العدو أمامنا،والبحر وراءنا فأختاروا أيهما شئتم". أنظر: البالوي، مصطفى حميدي بن أحمد الكردي الدمشقي(من مؤلفي القرن الرابع عشر الهجري)، قلائد الذهب في معرفة أنساب قبائل العرب،تقديم وتعليق وشرح كامل سلمان الجبّوري ،دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ط1،بيروت 2000م، ص142. وسيشار إليه فيما بعد: البالوي، قلائد الذهب.

(1)ابن قتيبة، الإمامة والسياسة،ج1،ص72؛ ابن عذاري،البيان المغرب، ج2، ص8؛ المقري، نفح الطيب، مج 1،ص233؛ ابن خلدون، تاريخ، مج4، ص150.

(2) المقري، نفح الطيب، مج1، ص232؛ مؤنس ،فجر الأندلس،ص72.

(3)الحميري،الروض المعطار،ص605/511.

(4)ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس،ص33؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص8؛ المقري، نفح الطيب،مج 1، ص249؛ابن خلدون، تاريخ، مج4، ص150؛ العمايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ، ص32.

(5)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص8؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله السلماني (ت:776هـ/1374م)،شرح رقم الحلل في نظم الدول ،قدّمهُ وعلّق عليه عدنان درويش،منشورات وزارة الثقافة ، د.ط ،دمشق 1990،ص90-91.وسيشار إليه فيما بعد:ابن الخطيب،شرح رقم الحلل.

(6)المقري، نفح الطيب، مج1، ص249؛ابن الأثير، الكامل،مج4، ص563.

معنويات المسلمين زادهم رغبة في الفتح واستبسالاً في النضال .

ثـــم توجـــه طـــارق فـــي ســـبعمائة فارس إلى مدينة استجة[1]من مدن القوط العظيمة،حيث قاتل أهلها حتى هرب أكثرهم،ثم أشار يليان على طارق بتفريق جيشه فقـــال لطارق:"قد فتحت الأندلس،فخذ من أصحابي أدلاء ففرق معه جيوشك ،وسر أنـــت إلى طليطلة" [2]، وكذلك تعهد يليان بحراسة المناطق التي فتحت من أي هجوم منـــتظر[3]، ويبدو أن سبب تفريق جيش المسلمين هو زيادة حجمه وضخامته،حيث بلغ عدده اثني عشر الف[4]،وربما وجد طارق بن زياد أن تفريقه للجيش الكبير الذي يقوده على شكل حملات أو سرايا يساعد في سرعة الفتح واستغلاله حماس المسلمين بعد انتصارهم في وادي لُكّة ،فبعث حملة يقودها مغيث الرومي ،تتكون من سبعمائة فـــارس ،بقصـــد الاستيلاء على قرطبة[5] التي كانت محصنة بسور منيع،فوجد فيه ثغـــراً،وقد هـــرب عـــنها عظماء أهلها،وتحصن من بقي منهم في كنيسة تقع غرب المدينة،فحاصرهم مغيث الرومي ثلاثة أشهر حتى خرج صاحبها فلحقه مغيث فقتله،

---

(1)اســـتجّة(Ectjia):مديـــنة أندلسية قديمة تقع في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة قرطبة. أنظر: الحميري،الروض المعطار،ص53.

(2) أخـــبار مجموعـــة،ص54؛ ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص109؛ابن الأثير، الكامل،مج4،ص563؛ النويري،شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت:733هــ/1333م)،نهاية الأرب في فنون الأدب،تحقيق حسين نصار،عبد العزيز الأهواني، المجلس الأعلـــى للثقافة، د.ط،القاهرة 1983م، ج24، ص48.وسيشار إليه فيما بعد: النويري، نهاية الأرب.

(3)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص6؛ مؤنس ،فجر الأندلس ،ص68.

(4)مؤنس ،فجر الأندلس،ص77.

(5)قرطـــبة(Cordoba):قـــاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين، وهي مديـــنة عظـــيمة ،تقع في جنوب الأندلس على نهر الوادي الكبير.أنظر: الحميري، الروض المعطار،ص456-458.

ثم أخبر طارق بفتح قرطبة [1].

وكذلــك أرســل طارق حملةً إلى مدينة مالقة[2]،وجعل عليها قائداً ومعه أدلاء مـــن رجال يليان فاستفتحها ،وهرب منها علوجها إلى جبالها المنيعة، كمـا وبعث حملةً أخرى إلى غرناطة ففتحت بعد حصار طويل[3].

واسـتمر طــارق بالفتوحات ،فأرسل جيشاً إلى تدمير[4]،فوضع المسلمون في أهلهــا السلاح حتى هزموهم ، وكان تدمير (صاحبها) عندما رأى قلة من حوله من الرجال أمر النساء بالخروج فنشرن شعورهن ،وأعطاهن القصب،ثم خرج إلى جيش المســلمين ،فطلــب الأمن ، وانعقد الصلح لـــه ولأهل بلدته ، فافتتحت مدينة تدمير صلحاً،ثم أبرز تدمير نفسه للمسلمين وقال:"أنا تدمير صاحب المدينة"ثم أدخلهم البلد ، وكتب المسلمون لطارق بخبر الفتح [5].

وقد أبقى المسلمون حامية عسكرية بتدمير وبكل المناطق المفتوحة ،ثم التحقت جيوش المسلمين بطارق بن زياد الذي مضى مباشرة ليقتطف ثمرة النصر العاجلة، فدخــل طلــيطلة عاصمة القوط، ومركز الديانة الكاثوليكية،وليس فيها إلا القليل من اليهود،وفرّ علجها مع أصحابه،فلحقهم طارق ،ومضى حتى بلغ مدينة المائدة[6]

---

(1)أخـــبار مجموعـــة،ص54؛ ابـــن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص10؛محمود ، تاريخ المغرب، ص32.

(2)مالقـــة(Malaga):مديـــنة أندلســـية،على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ،حسنة ، عامرة، آهلة بالسكان، كثيرة الديار.أنظر:الحميري،الروض المعطار،ص517.

(3)أخبار مجموعة،ص55،ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص11.

(4)تدمير:من كور الأندلس،سميت باسم ملكها تدمير، ومرسية قاعدة تدمير. أنظر : الحميري،الروض المعطار،ص539/131؛ابن عذاري،البيان المغرب، ج2، ص11.

(5)أخـــبار مجموعة،ص 54-57؛ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص11؛ صقر ، الفتح الإسلامي ، ص 127.

(6)المائدة:مدينة في أحواز طليطلة،سميت بهذا الاسم لأنه وجد فيها المائدة المنسوبة لسليمان بن داود عليهما السلام.أنظر:الحميري،الروض المعطار،ص530.

ففتحها [1] في أوائل سنة 93هـ/712م.

أمــا بالنسبة لأولاد غيطشة فبعد أن تمكن المسلمون من فتح عاصمة الأندلس والقضــاء علــى قوات لذريق وعلى كل أمل لأنصاره في العودة للحكم ،تقدم أبناء غيطشــة إلى طارق يطلبون منه الوفاء بما وعدهم من حسن الجزاء ،وعلى ما يبدو أنهم يُؤَملون أن ينسحب طارق وجند المسلمين معه من البلاد مكتفين بما أصابوا من الغــنائم ، فيعود أبناء غيطشة إلى ما كانوا فيه من المُلك والسلطان ، فخيّب طارق رجــاءهم وأظهر أنه أقبل إلى البلاد للفتح الثابت المستقر ،ونشر الدين الإسلامي ، فاستأذنوه في المسير إلى موسى في إفريقية ،فعندما وصلوا موسى،سألوه عن شأنهم فأحــالهم إلى الخليفة الأمتوي (الوليد بن عبد الملك) الــذي أقرّ لهم عهد طارق بن زيــاد ، وعقــد لكل واحدٍ منهم بذلك سجلاً وكانت هذه السجلات: "ألا يقوموا إلى داخل عليهم ولا إلى خارج منهم" ،وعادوا إلى الأندلس قانعين [2].

ب-حملة موسى بن نصير :

وقُــدر لحــركة الفتح أن تستمد القوة من ينبوع آخر يكفل لها أن تمضي إلى غايــتها المرســومة، ذلــك أن طــارق أوغل في سرعة صوب الشمال متجهاً إلى طليطلة،وبقيــت أقاليم كثيرة في الشرق والغرب بحاجة إلى جهود إضافية خصوصاً بعد أن تبين لأنصار غيطشة أن العرب يريدون البقاء والاستمرار في الفتح [3].

كــان طارق بن زياد على صلة بقائده موسى بن نصير ، يفتح الفتوحات باسمه وبتعليماته،ويستشيره فيما يحتاج إليه ،وقد رأينا كيف يطلب المدد قبل معركة وادي

---

(1)أخــبار مجموعــة،ص57؛ابــن عذاري،البيان المغرب، ج2،ص12؛المقري،نفح الطيــب،مج2،ص135؛النويري،فنون الأدب،ج24،ص48؛الضبي،أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة(ت:599هـ/1202م)،بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي،د.ط،1967م،ص9.وسيشار إليه فيما بعد:الضبي،بغية الملتمس.

(2)ابن عذاري، البيان المغرب،ج2،ص12؛مؤنس، فجر الأندلس، ص79.

(3)ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، ص30-31.

لُكة ، وكان موسى على علم تام بأخبار الفتح ،فبعد سنة تقريباً –من عبور طارق بن زيـــاد إلى الأندلس وتفرقه جيشه وتوزيعه على المناطق والمدن التي فتحت –خاف طـــارق ن يُغلب وإن يستغل القوط قلة الجيش ،فأرسل الى موسى :"ان الامم تداعت علينـــا مـــن كـــل ناحية فالغوث الغوث". فلما وصل الكتاب لموسى نادى في الناس وعســـكر وذلك في صفر سنة 93هـ/712م ، ثم استخلف ابنه "عبد الله بن موسى بن نصير" على إفريقية وطنجة، وخرج موسى بن نصير والناس معه للأندلس (1).

وبخصـــوص هـــذا الموضوع أشارت روايات عربية إلى أن موسى بن نصير حيـــنما بلغـــه أخبار الفتح العظيم الذي أحرزه طارق بن زياد،قد أخذته الغيرة،وأكله الحســـد لما حازه مولاه من شرف الفتح ، وأنه أسرع بالعبور لكي ينال نصيبهُ من الشرف ،ويأخذ من عظمة المشاركة في الفتح(2).

إن رمـــي موسى بالحسد وعزمه على عبور الأندلس للانتقام من طارق قول لا يستقيم،لأن طارقاً جندي من جنود موسى ومولاه على طنجة و إن الانتصارات التي حققها طارق تعتبر إنجازات تُكتب في صفحة موسى القيادية،وبالإضافة إلى ذلك فقد دخل موسى البلاد متمماً للفتوحات الإسلامية في رمضان سنة 93هـ/712 (3)،وأقام

---

(1) ابـــن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص35؛ابن عذاري ،البيان المغرب ،ج2، ص4–5؛المقري، نفح الطيب، مج1،ص233؛محمود ،تاريخ المغرب ،ص32.

(2)ابن قتيبة،الإمامة والسياسة،ج1،ص74–75؛المقري، نفح الطيب،مج 1،ص233؛ ابن خلدون،تاريخ، مج4، ص150.

(3)يذكر ابن القوطية:أنه لما بلغ موسى بن نصير ما تيسر لطارق حسده على ذلك ، وقدم للبلاد في حشد كبير ،ص35؛وإلى ذلك يمضي كاتب أخبار مجموعة ، ص60؛ أمـــا ابـــن عذاري : فقد أورد عدة روايات، فيقول :"وكان السبب في جواز موسى للأندلـــس أنه أُغري بطارق عبده،وذكر لـــه ما أفاء الله عليه ،فكتب له موسى بأقبح الســـبب ،وأمـــره ألا يـــتجاوز قرطبة حتى يقدم عليه "،وقال ابن القطان:"إنما جاز باستدعاء طارق إياه ".البيان المغرب،ج2،ص13؛وذكر ابن خلدون:أن طارقاً عندما كتب لموسى بخبر الفتح، حركته غيرته، وكتب لطارق يتوعده بأنه يتوغل بغير==

موسى في الأندلس مجاهداً وجامعاً للأموال ومرتباً للأمور،حتى سنة95هـ714م [1] وأمـا نية موسى بقتل طارق ،فلا يعقل أن يتقدم موسى لطارق بهذه العقوبة بعد أن أحرز هذا الفتح العظيم[2].

ولعل السبب في خروج موسى بن نصير لبلاد الأندلس، بالإضافة إلى ما قدمناه سـابقاً خوفـه على أن يتقدم المسلمون في تلك البلاد مسافات طويلة ،فتمتد خطوط قـتالهم ويسـهل على العدو مهاجمتهم ،وبالتالي تضيع ثمرات انتصارهم وفتوحاتهم الأولـى، كمـا وتعتبر الانتصارات التي أحرزها المسلمون والثروات التي غنموها شـجعت موسى بن نصير في أن يكون لـه نصيب في تلك الانتصارات والفتوحات والغنائم [3].

ذكر صاحب أخبار مجموعة أن عدد جيش موسى بن نصير عندما دخل بلاد

==إذنه،ويأمـره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به.ابن خلدون،تاريخ،مج4، ص150. وقـيل أن سبب الحسد أنه عندما وصل خبر الفتح لموسى، كتب للوليد يبشره بالفتح وينسـبه لنفسه ،ثم سار إليه بجيوشه وأخذ يقتل الرجال ويأسر النساء والأطفال،حتى غـنم شيئاً لا يعد،وفتح مدناً كثيرة.ابن كثير،عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشـقي (ت:774هـ1372م)،البداية والنهاية،تحقيق محمد بيومي وآخرون ،مكتبة الإيمـان، د.ط،المنصورة د.ت،ج9،ص86.وسيشار إليه فيما بعد:ابن كثير ،البداية والـنهاية.وذكـر اليعقوبي:" ثم خرج موسى بن نصير إلى البلد(الأندلس)،وكان قد غضـب علـى طارق بن زياد مولاه في أمور بلغته عنه ،فلقيه طارق، فترضاه ، فرضـي عـنه". اليعقوبي،أحمد بن أبي يعقوب الكاتب العباسي(ت:284هـ/897م)، تـاريخ اليعقوبي، دارصادر،د.ط،بيروت د.ت، ج2،ص285. وسيشار إليه فيما بعد: اليعقوبي، تاريخ.

(1)الحميدي ،جذوة المقتبس ،ق1،ص33؛الرقيق،تاريخ إفريقية ،ص44.

(2)الحميدي،جذوة المقتبس ،ق1،ص33.

(3)بطايـنة،محمد ضـيف الله،دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين،دار الفرقان للنشر والتوزيع،ط1،عمان 1999م،ص302.وسيشار إليه فيما بعد،بطاينة،تاريخ الخلفاء .

الأندلس سنة 93هـ/712م نحو ثمانية عشر ألفاً[1] حيث تكوّن هذا الجيش من خيرة جـند العرب القيسية واليمنية، التي تسمى: طالعة موسى بن نصير (البلديين)، فنزل عـند جبل طارق، وتقدم إلى الجزيرة الخضراء ،وكان عبوره متطرقاً إلى المواقع التـي لـم يدخلها المسلمون ، فقد سلك طريقاً آخر غير الطريق الذي سلكه طارق كمـا أشـار عليه الأدلاء:"نحن ندلك على طريق لم تُفتح، يفتحها الله على يديك"،ثم سـاروا به إلى مدينة شذونة[2]فافتتحها عنوةً،ومضى بعد ذلك إلى قلعة "رعواق" أو قلعة "حامو" فافتتحها [3]،ثم توجه موسى بـن نصير بـ فقة هؤلاء الأدلاء إلى مدينة قـرمونة[4] وكانـت محاصرة ،فدخلها موسى ليلاً من باب قرطبة ، ومنها سار إلى أشبيلية[5] وكانت أعظم مدائن الأندلس ،فحاصرها موسى حصاراً

---

(1)أخبار مجموعة ،ص58.

(2)شـذونة(Sidonia):مدينة من الكور المجندة والتي نزلها جند فلسطين من العرب، وهـي كـورة متصـلة بكورة مورور ،وقد لجأ إليها عامة أهل الأندلس سنة ست وثلاثيـن ،عـندما عمّ القحط بلاد الأندلس لمدة ستة أعوام.أنظر: الحميري،الروض المعطار،ص339.

(3)أخـبار مجموعـة،ص58؛ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص13؛النويري،نهاية الأرب، ج24، ص49؛ مؤنس،فجـر الأندلس،ص90؛صقر،الفتح الإسلامي ،ص132؛ محمود،تاريخ المغرب ، ص32.

(4)قرمونة(carmona): مدينـة أندلسية قديمة في الشرق مـن اشبيلية، بينها وبيـن اسـتجة خمسة وأربعون ميلاً،وهي باللسان اللطيني (كارب مويه).أنظر: الحميري، الروض المعطار،ص461.

(5)اشـبيلية :(Sevilla)مديـنة أندلسية قديمة ،وتعني هذه الكلمة الأرض المنبسطة ، بيـنها وبيـن قرطبة مسيرة ثمانية أيام، وتقع جنوب الأندلس في الجهة الغربية من مدينة قرطبة .أنظر : الحميري، الروض المعطار ،ص58؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص175.

شديداً ،فهرب منها علوجها إلى مدينة باجة [1]، ثم افتتحها،ومضى موسى بجيشه إلى ماردة [2]،ماراً بلقنت[3] ،فوجد ماردة أحصن وأقوى مما كان يتصور ،فقد تجمع فيها أنصار لذريق والهاربون من فلول القوط،فحاصرها موسى،وقاتل أهلها قتالاً ذريعاً ، واستمر حصارها طويلاً ،حتى مستهل شوال 94هـ فدخلها صلحاً على أن تكون أموالها للمسلمين[4].

لما انشغل موسى بحصار ماردة قامت ثورة عجم اشبيلية على المسلمين بمساعدة أهالي لبلة[5]،فوصل هذا الخبر لموسى فبعث ابنه عبد العزيز بجيش إليها فأعاد فتحهامن جديد،وأراد بعد ذلك أن يعاقب أهالي لبله على فعلتهم، فسار إليها وحاصرها وتمكن من فتحها عنوة،وكذلك تمكن عبد العزيز من فتح مدينة باجة[6].

---

(1)باجة(Beja):مدينة أندلسية وسبب تسميتها باجة الإفريقية،بينها وبين قرطبة مائة فرسخ وهي من الكور المجندة حيث نزلها جند مصر.أنظر:الحميري،الروض المعطار،ص 75.

(2)ماردة(Merida):مدينة بجوفي قرطبة منحرفة إلى المغرب قليلاً، كان ينزلها الأوائل،فكثرت بها آثارهم،وتفسيرها باللطيني (مسكن الأشراف).أنظر:الحميري، الروض المعطار،ص518؛أبو الفداء،تقويم البلدان،ص173.

(3)لقنت(Alicante):من بلاد الأندلس،بينها وبين دانية على الساحل سبعون ميلاً،وهي مدينة صغيرة عامرة،ومنها إلى ألش في البر مرحلة.أنظر: الحميري، الروض المعطار، ص511.

(4)أخبار مجموعة،ص60؛ ابن عذاري،البيان المغرب ،ج2،ص13-15؛ النويري، نهاية الأرب،ج24، ص50؛ مؤنس،فجر الأندلس،ص92.

(5)لبلة(Niebla):مدينة قديمة، تقع في غرب الأندلس وتعرف بالحمراء وهي مدينة حسنة متوسطة القدر بينها وبين المحيط الأطلسي ستة أميال.أنظر: الحميري، الروض المعطار،ص507-508.

(6)ابن عذاري، البيان المغرب،ج2،ص15؛النويري،نهاية الأرب، ج24، ص51.

وكـــان موسى بن نصير قد سار بجيشه إلى طليطلة للقاء طارق بن زياد،وذلك في بداية ذي القعدة سنة 94هـ/713م فاتجه نحو طليطلة،فتلقاه طارق معظماً له،ومبادراً لطاعـــته، واتبعه[1]،وذكرت بعض الروايات أن اللقاء كـــان عند مدينة طلبيرة[2]ثم ســـارا معاً إلى مدينة طليطلة[3] .

وبعد انتهاء فصل الشتاء ،وحلول فصل الربيع وضع طارق بن زياد و موسى ابـــن نصير خطة لاتمام فتح ما بقي من البلاد ،فزحفا نحو الشمال الشرقي واخترقا أراضـــي الثغر الأعلى(أراجون) فافتتحا سرقسطة [4]ومناطقيا ،وشقة[5] ولاردة[6]، وبرشلونة[7]، ثم افترق القائدان فسار طارق غرباً ليغزو جليقية [8] وليتم القضاء على

---

(1)ابـــن عـــذاري، البيان المغرب، ج2، ص16؛ابن خلدون،تاريخ،مج4، ص150؛ مؤنس،فجر الأندلس، ص97-104.

(2)طلبـــيرة(Talavera):مـــن بـــلاد الأندلس القديمة ،بينها وبين وادي الرمل خمسة وثلاثـــون ميلاً،وهـــي في أقصى ثغور المسلمين،تقع على نهر تاجه،مبنية على جبل عظيم. أنظر:الحميري،الروض المعطار،ص395.

(3)ابن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص16؛المقري،نفح الطيب، مج1،ص271.

(4)سرقســـطة(Zaragoza):تقـــع فـــي شـــرق الأندلـــس على ساحل البحر الأبيض المتوسط،وهي قاعدة من قواعد الأندلس.أنظر:الحميري،الروض المعطار،ص317.

(5)وشـــقة(Huesca):مديـــنة حصـــينة بـــالأندلس لها سوران من حجر ،تقع شرق سرقسطة حيث تبعد عنها خمسون ميلاً.أنظر :الحميري،الروض المعطار،ص612.

(6)لاردة(Lerida):وهـــي مديـــنة قديمة،تقع في ثغر الأندلس الشرقي بشرقي مدينة وشقة.أنظر:الحميري،الروض المعطار،ص507؛ أبو الفداء، تقويم البلدان،ص181.

(7)برشـــلونة(Barcelona):مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلاً وتقع على الـــبحر الأبيض المتوسط،كانت دار ملك الفرنجة.أنظر:الحميري،الروض المعطار، ص86-87.

(8)جليقـــية(Galicia):ناحية قرب ساحل المحيط الأطلسي في الجهة الشمالية الغربية وضبطها: بكسرتين واللام مشددة وياء ساكنة وقاف مكسورة وياء مشددة (جِلِّيقِيَّة)=

القــوط ،وسار موسى شمالاً فغزا ولاية لانجدوك (سبتمانيا) التي كانت عندئذ تابعة لملوك القوط،واستولى موسى على أربونة[1]،وغزا وادي الرون حتى مدينة ليون[2]، وأسترقة[3]،ووصلت فتوحاته إلى جبال البرت، واستولى على مرتــفعات قشتالة [4]، وصــلت طلائـــع المســلمين إلـــى مــدينة خيخون(Gijon) التي تقع في الشمال الشــرقي،على خلــيج بســكاية(بســقاية)،وعلى ما يبدو أن موسى بن نصير يريد الاستمرار في الفتح خلف جبال البرت.وذكرت بعض الروايات[5] أنه في هذه الأثناء

==الحمــيري، الروض المعطار ، ص169؛ الحموي،شهاب الدين ياقوت الحميري الــبغدادي(ت:226هـ/1228م)،معجم البلدان،دار صادر،د.ط،بيروت 1979م، مج2، ص157.وسيشار إليه فيما بعد:الحموي،معجم البلدان.

(1)أربونة(Narbonne): مدينة يُلفظ اسمها بفتح أوله ،ويضم ،ثم السكون وضم الباء وســكون الــواو ونــون وهاء(أَرْبُونَة)،بينها وبين قرطبة ألف ميل وهي في أقصى جنوب شرق فرنسا.أنظر:الحموي،معجم البلدان،مج1،ص 140.

(2)ليون(Leon):قاعدة من قواعد قشتالة،وهي مدينة عامرة.أنظر:الحميري،الروض المعطار،ص514.

(3)أسترقة(Astorga):وهي مدينة قديمة عرفت في العهد الروماني باسم (Astorica) ووردت فــي المصـــادر العربية باسم أسترقة وهو اسمها الحالي،وتقع على أبواب طلـيطلة فــي الشــمال الغربــي مــن الأندلس،إلــى الغــرب مــن مملكة ليون. أنظــر:المقري،نفح الطيب،مج1،ص271/265؛حتاملة،موسوعة الديار الأندلسية،ط1، عمان 1999م،ج1،ص63.وسيشار إليه فيما بعد:حتاملة،موسوعة الديار .

(4)قشــتالة(Castilla):عمــل مــن الأعمــال الأندلسية،قاعدته قشتالة،سمي العمل بها،وقالوا:ما خلف جبل الشارات في جهة الجنوب يسمى أشبانيا،وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة. أنظر: الحميري، الروض المعطار،ص483.

(5)أنظر:ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص16؛ أخبار مجموعة،ص60-61؛ ابن خلدون، تاريخ، مج4، ص151؛ القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تعليق==

جاء خبر الخليفة الأموي "الوليد بن عبد الملك" مع مغيث الرومي ليطلب من موسى ابـــن نصير وطارق بن زياد الانصراف والعودة إلى دمشق ،وبهذا ترك المسلمون المنطقة الواقعة في أقصى الشمال الغربي ، والتي تمتاز بوعورتها وصعوبة الدخول إلـــيها ، فاكتفى موسى بن نصير بعقد الصلح مع أهلها [1]. وقد ذكر ابن عذاري خـــبر الصـــلح فقـــال:"إن موسى بن نصير عندما وصل بفتوحاته إلى جليقية وأراد دخولها جاءه أهلها يطلبون الصلح فصالحهم" [2].

ويـــبدو أن موسى بن نصير قد استجاب لطلبهم ،لأن الخليفة طلب من مغيث الرومـــي بأن يُبلِّغ موسى بن نصير بعدم الاستمرار بالفتوحات ،مما جعل موسى بن نصـــير يوافق على الصلح بالرغم من معرفته بخطورة الموقف الذي سيحصل فيما بعد،لأن تلك المناطق ذات موقع استراتيجي وتحتوي على حصون وقلاع منيعة [3].

وقـــبل أن يعود موسى إلى الشرق نظم شؤون الحكم في البلاد[4]،فعين ابنه عبد

==وتقديـــم شوقي أبو خليل ،دار الفكر،ط2، دمشق،1997م،ص151-152. (وسيشار إلـــيه فـــيما بعـــد:القلقشـــندي ،مآثـــر الإنافة)؛النويري،نهاية الأرب،ج24، ص51؛ مؤنس،فجـــر الأندلـــس ،ص104-105؛الجندي،أنور ،الإسلام وحركة التاريخ، رؤيا جديـــدة في فلسفة تاريخ الإسلام، دار الكتاب اللبناني، ط2،بيروت 1986م،ص311-312.(وسيشـــار إليه فيما بعد:الجندي،الإسلام وحركة التاريخ)؛عنان،تراجم إسلامية شـــرقية وأندلسية،مكتبة الخانجي،ط2،القاهرة 1970م،ص134.وسيشار إليه فيما بعد: عنان، تراجم إسلامية .

(1)المقري،نفح الطيب،مج 1،ص 233؛الجندي ،الإسلام وحركة التاريخ ،ص311 ؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس،مكتبة الخانجي، ط3،مطبعة المدني، القاهرة 1988م، ق1،ص137-138.وسيشار إليه فيما بعد: عنان، دولة الإسلام .

(2)ابن عذاري ، البيان المغرب،ج2، ص16.

(3)العمايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية ،ص47.

(4)أخـــبار مجموعة،ص62؛المراكشي،المعجب ،ص34-35؛ابـــن خلدون، تـــاريخ، مج4، ص151؛ النويري،نهاية الأرب،ج24، ص52.

العزيـــز والياً على الأندلس،وجعل مقره اشبيلية،ثم عاد مع طارق ومغيث إلى الشام ومعهـــم الغـــنائم سنة 95 هـ/714م ،وبذلك تكون الأندلس قد دخلت مرحلة تاريخية جديدة وهي عصر الولاة.

7.1عصر الولاة

تعـــرف الفترة الأولى للحكم الإسلامي في الأندلس بعصر الولاة(95-138هـ/ 714-756م)،وهـــي فترة لم يشهدها الاستقرار بسبب الهجمات الخارجية التي شنها ولاة الأندلـــس على جنوب فرنسا،وتميزت هذه الفترة بكثرة الثورات التي قامت بين العـــرب أنفســـهم،وبين العـــرب والبربر،وشهدت هذه الفترة تواصل لحركة الجهاد الإســـلامي،في حيـــن كانـــت الأندلـــس فـــي ذلك الوقت ولاية غير وراثية،وغير مستقلة،وتتبع الخلافة الأموية بدمشق .

تعاقـــب علـــى حكم الأندلس من بداية عصر الولاة حتى سقوط دولة بني أمية وبدايـــة عصـــر الإمـــارة،إحدى وعشرون والياً على مدى نحو أربعين سنة،أي أن متوســـط حكـــم الوالي كان لا يزيد على سنتين،وهذا يعود إلى التغيير السريع للولاة نتـــيجة عدم الاستقرار داخل الأندلس،وزيادة حجم الثورات بين العرب أنفسهم،وبين العرب والبربر،وربما أيضاً لخوف خلفاء بني أمية من أن يستقل الوالي بالحكم،سيما أن الـــبعد الشاســـع عن مركز الخلافة لم يكن يسمح بسيطرة الخليفة السريعة على الأمور،وكان الوالي يُعين أحياناً من قبل الخليفة مباشرة وأحياناً من قبل العامل على إفريقية،وأحياناً ثالثة كان أهل البلاد ينتخبون واليهم من بينهم[1].

كان لبعض ولاة الأندلس مواقف هامة في الإصلاح والجهاد،أولهم عبد العزيز ابن موسى بـــن نصير (95-97هـ/714-716م)، وكـــان خيراً فاضلاً، افتتح مدائن

---

(1)الجيوسي،سلمى خضر، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحـــدة العربية، نشر محمود مكي ،ط1، بيروت 1998م، ،ج1،ص63.وسيشار إليه فيما بعد:الجيوسي،الحضارة العربية .

كثيرة أثناء ولايته[1]، التي لـم تدم إلا مدة قصيرة، فقد أدت كراهية الخليفة الأموي سـليمان بن عبد الملك لعبد العزيز ولأبيه ولأسرته ،أن دبر سليمان مقتله، فـأوعز لـبعض رجالـه وهم: حبيب بن أبي عبيدة الفهري،وزياد بن النابغة التميمي،**وسعد** ابـن عـثمان بن ياسر، وعمرو بـن زياد اليحصبي، وطلب منهـم اغتيال عبد العزيـز،وتـم ذلـك بعـد مضي سنتين مـن ولايته[2] ،وولي بعده أيوب بن حبيب اللخمـي(97هـ/716م)،وهو ابن أخت موسى بن نصير، ويعتبر أهم ما قام به هذا الوالي هو نقل الإمارة من اشبيلية إلى قرطبة، التي سكنها عدد كبير من جنود الفتح فـي جـيش طارق وموسى[3]،وقد استمرت ولايته نحو سنة واحدة ،ويبدو أنه كان متورطاً في مقتل عبد العزيز ، بالرغم من صلة القربى بينهما[4] .

بعث عامل إفريقية(محمد بن يزيد)الحر بن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي(97-100هـ/716-719م)والـياً علـى الأندلس فوصلها ومعه أربعمائة راجل من وجوه إفريقـية، ومـن أعماله إنشاء دار الإمارة في قرطبة،والتي أصبحت فيما بعد قصر يسكنه بني أمية[5].

هـذا وقد اختار الخليفة "عمر بن عبد العزيز" السمح بن مالك الخولاني(100-102هـ/719-721م) ،والـياً على الأندلس فكان من خيرة الولاة ،حيث أمـره أن يحمل الناس على طريق الحـق ، وأن يُخمّس الأراضي ويكتب إليه بصفة الأندلس

---

(1)المقـري ،نفح الطيب ،مج1،ص234؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،مج5،ص489؛ الترمانيني، أحداث التاريخ،مج1،ص647.

(2) الحميدي ،جذوة المقتبس ،ق1،ص33؛ابن قتيبة،الامامة والسياسة،ج1،ص95.

(3) ابـن عـذاري، البيان المغرب،ج2،ص25؛ابن خلدون،تاريخ، مج4، ص152؛ عبد،يوسف، ويوسف فرحات ، معجم الحضارة الأندلسية ، دار الفكر العربي، ط1، بيروت 2000م،ص9.وسيشار إليه فيما بعد:عبد، معجم الحضارة.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب،ج2،ص25.

(5)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص25؛الجيوسي،الحضارة العربية ،نشر محمود مكي ،ج1،ص64.

وأنهارهـــا[1]،وقـــد قام بأعمال عمرانية كثيرة وبنى قنطرة قرطبة المشهورة[2]،وبعد استشــــهاد السمح بن مالك الخولاني في أرض الفرنجة،قدّم أهل الأندلس على أنفسهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (102هـــ/721م)[3]الذي يعود نسبه إلى إحدى القبائل اليمنـــية، وتعتـــبر ولاية الغافقي الأولى قصيرة، ولذلك لم يستطع الوالي القيام بأي عمل[4].

ثـــم ولي عنبسة بن سحيم الكلبي من قبل يزيد بن مسلم (عامل إفريقية) ما بين (103-107هـــــ/722-726م) [5]،وعمـــد عنبسة الكلبي على إخماد الثورات،واستقرت لذلـــك أحوال الأندلس داخلياً واستتب فيها الأمن والنظام والعدل،وقد قضي في سبيل ذلك عامين[6].

ومن ولاة الأندلس المشهورين،عبد الملك بن قطن الفهري(114-116هـــ/732-734م)، حيـــث أرســـله والي إفريقية (عبيدة بن عبد الرحمن)والياً على الأندلس في جيش مـــن جند إفريقية، وأمـــره بحماية الأندلس واسترجاع هيبة المسلمين، وكانت

---

(1)ابـــن عـــذاري، البـــيان المغرب،ج2،ص25؛ المقري،نفح الطيب،مج1،ص235؛ الترمانيني، أحداث التاريخ، مج1، ص674.

(2)ابـــن عـــذاري ، البـــيان المغرب،ج2،ص26؛المقري،نفح الطيب،مج1،ص235؛ الترمانيني، أحداث التاريخ، مج1، ص675.

S.M.IMAMUDDIN،Political History Of Muslim Spain ،Published by:S.M, Pakistan 1969،Page 34 (Which I Will Refer To Later): S.M ,Political History Of Muslim Spain.

(3)ابن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص26؛ابن خلدون، تاريخ، مج4، ص152.

(4)ابن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص27؛ابن خلدون،تاريخ،مج4، ص152.

(5)ارســـلان،الأمير شـــكيب،تاريخ غـــزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائـــر البحر المتوسط،دار الكتب العلمية،د.ط،بيروت د.ت، ص85-86.وسيشار إليه فيما بعد :ارسلان، تاريخ غزوات العرب.

(6)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص33.

مدة ولايته للمرة الأولى هي سنتان[1]، وفي المرة الثانية (123هـ/741م).

8.1الصراع بين العرب والبربر

شـــهد عصــــر الولاة صراعاً عربياً بربرياً،حيث اندلعت ثورات البربر[2]ضد الحكـــم العربـــي.ففي إفريقية ثارت البربر على العرب سنة (123هـــــ/741م)فضاق الأمر واشتد على الوالي"بلج بن بشر القشيري" فأرسل إلى والي الأندلس"عبد الملك بـــن قطـــن"يطلب منه أن يرسل إليه مراكب يجوز فيها هو ومن معه إلى الأندلس ، فأمتـــنع عبد الملك من إدخالهم الأندلس،لكنه وعدهم بإرسال المدد إليهم[3]،وفي تلك الأثـــناء قامـــت أول المواجهـــات فـــي الأندلـــس بيـــن العرب والبربر في منطقة "شذونة"،حيث ثار البربر بقيادة رجل من قبيلة زناتة البربرية، ولمـــا رأى عبد الملك بـــــن قطن ازدياد نفوذ البربر في الأندلس اضطـــر السماح لبلج بن بشر وأصحابه بالعـــبور للأندلس بعد أن تحصن هؤلاء بمدينة سبتة [4]فوافق ابن قطن على دخولهم الأندلـــس لمـــدة عـــام فقط،فدخل بلج ومن معه من الشاميين البلاد وانضموا لجيش الأندلس وقاتلوا البربر في وادي الفتح الواقع في مدينة شذونة وانتصروا عليهم [5].

هـــذا و لم يكن القضاء على فتنة البربر بالأندلس بشيراً باستقرار الأمور،وإنما أعقـــب ذلك فتنة بين العرب أنفسهم،فقد طلب ابن قطن من بلج الرحيل عن الأندلس حسب الشرط، فرد عليه بلج بقوله:"أحملنا إلى ساحل البيرة أو تدمير فقال لـــه ابن قطن:"ليس لنا مراكب إلا بالجزيرة ،فقالوا لـــه إنما تريد أن تردنا إلى البربر ليقتلونا

---

(1)ابن عذاري، البيان المغرب،ج2،ص28.

(2)ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج5،ص 250-251.

(3)ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص31؛ زبيب،نجيب،الموسوعة العامة لتاريخ المغـــرب والأندلـــس، تقديم أحمد بن سودة ،دار الأمير للثقافة والعلوم،ط1، بيروت 1995م، ج2، ص81.وسيشار إليه فيما بعد:زبيب،الموسوعة العامة.

(4)ابـــن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص30؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج5، ص251.

(5)ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص30.

في بلادهم ،فلما ألحّ عليهم بالخروج نهضوا إليه وأخرجوه من قصر قرطبة إلى داره بالمديـــنة، ودخل بلج القصر والياً على الأندلس سنة 123هـ/741م ،ثم أمر فيما بعد بقتل عبد الملك بن قطن[1].

ولم تهدأ ثورات البربر بعد وصول بلج لولاية الأندلس،فقد جمع البربر قواتهم وعـــبروا نهـــر تاجـــه متجهين نحو قرطبة للقضاء على الحكم العربي،وقد واجههم الجـــيش العربـــي ،والتقى الفريقان سنة 124هـ/742م في حوز طليطلة على وادي سليط[2].وكان النصر أيضاً للعرب،حيث قتلوا منهم الكثير[3].

وفـــي نفس العام (124هـ/742م) استنجد أبناء عبد الملك (قطن وأمية) بأهل الـــبلاد والبربر،وعندما علم بلج بهما سار إليهما "والتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً وجرح بلج ثم ظفر بابني عبد الملك والبربر ومن معهم "[4]،وتوفي بلج بسبب الجروح التي أصـــابته ، وتحولت الفتنة ما بين العرب والبربر لتصبح بين عرب الأندلس أنفسهم مـــن بلديين (وهم عرب طالعة موسى بن نصير)والشاميين(وهم العرب الذين قدموا مع بلج بن بشر القشيري) .

تولـــى ثعلبة بن سلامة العاملي حكم الأندلس سنة 124هـ/742م ،بموجب عهد من الخليفة "هشام بن عبد الملك "[5]، فحاول ثعلبة إصلاح البلاد ونشر العدل، ولكن

---

(1)أخـــبار مجموعـــة، ص72-73؛ ابـــن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص31؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،مج5،ص251-252؛زبيب،الموسوعة العامة،ج2، ص81.

(2)ارسلان،الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،نشر محمد مهدي الجبالي ، المكتبة التجارية الكبرى،المطبعة الرحمانية،ط1،مصر 1936م،ج1،ص 454(وسيشار إليه فيما بعد:ارسلان،الحلل السندسية)؛مؤنس،فجر الأندلس،ص203-204.

(3)ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص31.

(4)ابـــن القوطـــية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص41-43؛أخبار مجموعة،ص74-75؛ ابن عذاري،البيان المغرب، ج2، ص32؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،مج5،ص 259.

(5)ابـــن عذاري،البـــيان المغرب،ج2،ص32-33؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،مج5، ص259.

مــا لبــث أن مالت به العصبية اليمنية ففسد أمره وهاجت الفتنة،وثار أهل البلد من العرب والبربر ، ووقع قتال شديد ،وسقط الكثير من القتلى[1].

وأمـــام هــذه الأفعـــال، استغاث أهل الأندلس بوالي شمال إفريقية "حنظلة بن صــفوان"الــذي أشار عليه الخليفة "هشام بن عبد الملك" بأن يرسل إلى الأندلس أبا الخطـــار –الحسام بن ضرار الكلبي–،فدخلها والياً ومعه ثلاثون رجلاً من الشاميين ســنة 125هـــ/743م،وكان أول عمل قام به أبو الخطار هو إطلاق الأسرى والسبي الذيــن كــان بريد"ثعلبة بن سلامة " قتلهم ،ثم عمل أبو الخطار على إحلال السلام فصارت الكلمة جامعة [2].

لقــد حاول أبو الخطار أن يعيد الأمن والسكينة إلى البلاد،وأن يرضي البلديين والشـــاميين،وقد اجــتمع أهل الشام وعرب الأندلس على أبي الخطار وكان من أهم أعمالـــه التي قام بها تفريقه للجند الشامي على عدة مدن حيث كانوا متمركزين في العاصمة "قرطبة"فربما أحب تفريقهم ليأمن ثوراتهم ،ولأن تمركزهم في قرطبة يهدد أمـــن الأندلـــس، ولذلك أنزلهم في مدن مختلفة تشبه بلدهم الأصلي، وهي بـــلا شك خطوة جيدة فكان توزيعهم على النحو الآتي:

أنزل أهل دمشق بالبيرة[3] Elvira

---

(1)ابـــن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص33؛ المقري، نفح الطيب،مج1، ص221؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج5، ص259.

(2)أخبار مجموعة،ص75؛ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص33؛ابن الأثير، الكامل فـــي الـــتاريخ،مج5، ص273؛ ابن خلدون،تاريخ،مج4، ص152؛فيلالي،عبد العزيز، المظاهـــر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، دار المعارف للطباعة والنشـــر، د.ط، تونـــس 1991م، ص140.وسيشـــار إليه فيما بعد: فيلالي، المظاهر الكبرى.

(3)البـــيرة(Elvira):مديـــنة رومانـــية قديمة تسمى في عهد الرومانIllbaris .أنظر: حتاملة، موسوعة الديار،ج1،ص113.

وأهل الأردن بريَّة[1] Reyyo

وأهل فلسطين بشذونةSidoniaوالجزيرةAlgeciras

وأهل حمص بإشبيلية SevillaولبلةNieble

وأهل قنسرين بجيان[2] Jean

وأهل مصر بباجةBejeوبعضهم بتدميرTudmir

وكان إنزالهم على أموال العجم من أرض ونعم ،وأبقى البلديين على أرزاقهم وأراضـــيهم لـــم ينقصهم شيء [3]،وبالتالي فقد أرضى أبو الخطار كل من الشاميين والبلديين.

لم يستمر أبو الخطار على هذه السياسة العادلة ،فقد انحرف ومال إلى عصبيته الكلبـــية اليمنية،حيث نشب نزاع بين شخصين أحدهما مضري ،والآخر يمني،واشتد خلافهما،فذهـــبا إلـــى أبـــي الخطـــار ليحكم بينهما،ويبدو أنه تحيز لليمني،مما جعل المضري يشتكي إلى زعيم المضرية وهو عندئذٍ الصميل بـــن حاتم بن شمر بن ذي الجوشـــن الكلابـــي الضـــبابي،ويلقب بـــذي الجوشن ليشكو لـــه ما أصابه ،فمضى الصميل إلى مقـــر أبي الخطار لتقصي الحقائق ،ولتفهم الأمر، وقـــد تطور النقاش بيـــنهما ،"فأســـتغلظ لـــه أبو الخطار"وتسبب في إهانة الصميل بن حاتم ، وكان أبو الخطار قد انتهز الفرصة فلكـــز الصميل وشتمه وأمـــر جنده أن يضربوه، فضربوه

---

(1)ريـــة(Reyyo): كـــورة من كور الأندلس في قبلة قرطبة، نزلها جند الأردن من الغرب.أنظر:الحميري،الروض المعطار،ص279-280.

(2)جـــيان(Jaen):مديـــنة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلاً.أنظر: الحميري، الروض المعطار،ص183-184.

(3)ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس،ص44؛ ابن عذاري ،البيان المغرب،ج2،ص 33-34؛ ابن الأثير،الكامل في التاريخ،مج5،ص491؛ابن خلدون،تاريخ،مج4،ص153؛ ابـــن الآبـــار،أبو عـــبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، (ت:658هـ/1260م)، الحُلة السـيراء، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر،ط1، القاهرة 1963 م،ج1،ص63. وسيشار إليه فيما بعد:ابن الآبار ،الحلة السيراء .

أخــرج أبــا الخطــار مــن الأندلــس"[1]،فثاروا معه ،وكان يحس قلة القيسية أمام اليمنية،فتقرب من لخم وجذام من اليمنية ،وعرض الرئاسة عليهم مقابل معاونته في حرب أبي الخطار،حيث اتفقوا على ثوابة بن جذام ليكون والياً بعد القضاء على أبي الخطار، ثم اتجهوا نحو قرطبة فخرج إليهم أبو الخطار،وهو لا يشك في الظفر، ولم يكــن يدري بما دبره الصميل من استمالة لخم وجذام ، وكان اللقاء عند وادي لُكَّة، وقد تقاعست معظم الكلبية عن قتال بنو عمومتهم جذام ولخم،فتركوا أبا الخطار في قلــة ، فهــزموه وأســروه ،وأتجه ثوابة ومن معه نحو قرطبة ،فدخل قصر الإمارة وحســب اتفاقهما أُعلن اختيار ثوابة والياً على الأندلس سنة 127هــ/745م،بدلاً من أبــي الخطــار ،ووافق على ذلك والي إفريقية "عبد الرحمن بن حبيب الفهري" سنة 129هـــ/747م الــذي انــتزع ولاية إفريقية من "حنظلة بن صفوان "، وقــام ثوابة بضبط الأمــور في الأندلس ويعاونه على ذلك الصميل بن حاتم[2] .

وهكــذا فقــد تميز عصر الولاة بكثرة النزاعات القبلية بين القيسية واليمانية ، ويرجع ذلك إلى سياسة الدولة الأموية حيث كان الخليفة يقرب قيسياً أو يمنياً ،وكذلك النزاع على الغنائم والسلطات في الولايات ،كما أن سياسة الولاة بعيدة عن العدل ، بــل وتــتحكم فيه العصبية القبلية حتى أصبحت الفتن والثورات من أكبر مزايا هذه الفترة،وبالتالــي ضــعف أمــر العرب والإسلام في الأندلس،وظهرت المصطلحات الطائفية،كالبلديين والشاميين[3].

وكذلك امتاز عصر الولاة بالتنافس على امتلاك الضياع، والأراضي الخصبة، بين الحيّين العربيين العريقين، اليمني و المضري،فانغمس هؤلاء جميعاً في المشاكل الدنيوية، فضعف حماسهم للجهاد،ونقص الوازع الديني لهذه المهمة النبيلة، وكــذلك

---

(1)ابــن عذاري، البيان المغرب،ج2،ص34-35؛المقري،نفح الطيب،مج1،ص237-238.

(2)أخــبار مجموعــة، ص80-81؛ابــن خلدون،تــاريخ،مج4، ص153،مؤنس ،فجر الأندلس ،ص213-215.

(3)فيلالي، المظاهر الكبرى، ص 121.

ضعفت معها الروح القتالية للجند(1).

9.1حركة الجهاد في عصر الولاة

لقد نشط عدد من ولاة الأندلس في مواصلة حركة الجهاد الإسلامي فيما وراء جبال البرت وكان أولهم عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي افتتح مدائن وحصون لم تكن داخلة في الفتوحات الإسلامية ،وقد جمع كلمة المسلمين من مختلف الجنسيات،وكان يرسل الغنائم إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك(2).

وعندما تولى السمح بن مالك الخولاني ولاية الأندلس باشر نشاطاً عظيماً في ميدان الجهاد،فاجتاز أربونة مخترقاً بلاد الغال(فرنسا)،وجاهد في سبيل الله حتى أستشهد بأرض الفرنجة سنة 102هـ/721م، وتجددت حركة الجهاد في ولاية عبد الرحمن الغافقي(3) الذي قاد جيشاً كبيراً والتقى مع شارل مارتل وجيشه في موقعة بواتيية(4) (Poitiers)، وذلك في شهر رمضان سنة 114 هـ/ تشرين أول 732م

---

(1)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص24؛ المقري،نفح الطيب،مج1،ص281؛ الترمانيني،أحداث التاريخ ، مج1، ص647؛ باشا،ضيا،الأندلس الذاهبة، الفتوحات الإسلامية في إفريقيا والأندلس، الدولة الأموية في الأندلس، تعريب عبد الرحمن ارشيدات ،تحقيق صلاح ارشيدات ،منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ط1، عمان 1989م ، ج1، ص54. وسيشار إليه فيما بعد: باشا، الأندلس الذاهبة .

(2)ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج5، ص338.

(3)المقري،نفح الطيب،مج1،ص236؛ ابن خلدون،تاريخ ،مج4، ص152؛ الجيوسي، الحضارة العربية، نشر محمود مكي،ج1،ص67؛

M.S,Political History Of Muslim Spain، Page 36.

(4)بواتيه(Poitiers):مدينة إلى الجنوب الغربي من باريس،وهي عاصمة قديمة بيكتاف(Dictaves)، أوقف بها شارل مارتل العرب سنة114هـ 732م في الجهة الغربية.أنظر:المزروع،وفاء عبد الله سليمان،جهاد المسلمين خلف جبال البرت من القرن الأول إلى الخامس الهجري،مكتبة دار القاهرة،ط1، القاهرة 2003م،ص334. وسيشار إليه فيما بعد:المزروع،جهاد المسلمين .

والتـــي انتهت بهزيمة ساحقة للمسلمين،أُستشهد فيهاعبد الرحمن الغافقي،ولكثرة قتلى المســلمين سُميت هذه المعركة بــ"بلاط الشهداء"[1]،وكانت مرارة هذه المعركة سبباً في فتور حركة الجهاد وراء جبال البرت.

وبعد معركة بلاط الشهداء أضطربت شؤون الأندلس الإسلامية، وأنشغل الولاة بمهمة مقاومة جيوش الفرنج عن الأراضي الإسلامية،وكثرت غارات العصابات من جليقية على المسلمين لأخذ الثأر،وكــانت هجمات الفــرنج من تلك المنطقة التي تقع في أقصى الشمال الغربي من أسبانيا،وقد أهملها المسلمون ولم تشمل فتوحاتهم ولذلك تشــكلت فــيها نــواة المملكة النصرانية الشمالية، والتي غــدت خطراً على الدولة الإسلامية في أسبانيا[2].

---

(1)المقري،نفح الطيب، مج1،ص236؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،مج5، ص174

(2)فيلالي، المظاهر الكبرى،ص119-121.

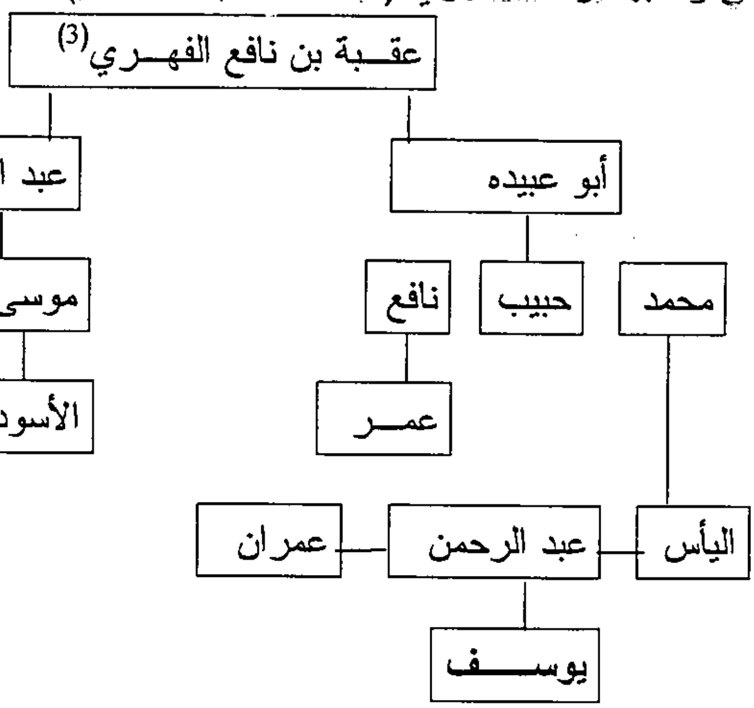
الفصل الثاني

يوسف الفهري ووصوله لولاية الأندلس

1.2التعريف بيوسف الفهري

أ-نسبَهُ ومولدَهُ:

هـــو يوســـف بـــن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيده ، حفيد عقبة بن نافع الفهـــري القرشي،القائد العربي،صاحب الفتوحات العظيمة،وباني مدينة القيروان[1]، التي وُلد بها يوسف الفهري (72-142هـ/691-759م)[2].



---

(1)ابـــن القوطـــية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص44؛المقري،نفح الطيب،مج1،ص294؛ الزبيدي،أبو عـــبد الله المصـــعب،(ت:236هـــــ/850م)،نســـب قريش،تعلـــيق إ. ليفي بروفيسال، دار المعارف،د.ط،1953م،ص444؛وسيشار إليه:الزبيدي،نسب قريش. S.M ،Political History Of Muslim Spain ،P 46.

(2)المقـــري،نفح الطيـــب،مج3،ص25؛الزركلي،خير الدين،الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،دار العلم للملايين،ط8 بيروت 1989م،ج8،ص 236. وسيشار إليه فيما بعد:الزركلي،الأعلام.

(3)ابن الآبار،الحلة السيراء،ج2،ص347؛مؤنس ،فجر الأندلس،ص183.

والفِهْري: بكسر الفاء وسكون الهاء،وفي آخرها راء، وهذه النسبة إلى فهر بن مالك بن كنانة بن النضر وبنو فهر بطن من كنانه [1].

وإلى الفهري ينسب محارب والحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة[2]، ومنهم الصحابي الجليل أبي عبيدة بن الجراح الفهري،ووالي الأندلس عبد الملك بن قطن[3]،ومن بني الحارث:يوسف بن عبد الرحمن الفهري،والي الأندلس[4]، والفهريون من بطون قريش الظواهر،وهم مضريون ويُنسبونِ إلى نزار بن معد بن

---

(1)ابن الأثير،اللباب في تهذيب الأنساب،،تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت 2000م، ج2،ص188 (وسيشار إليه فيما بعد :ابن الأثير،اللباب في تهذيب الأنساب)؛السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن(ت:911هـ/ 1505م)،لب اللباب في تحرير الأنساب، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز،إشراف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1991م، ج2، ص164.(وسيشار إليه فيما بعد: السيوطي،لب اللباب)؛القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،تحقيق إبراهيم الأبياري،دار الكتب الإسلامية،ط2،بيروت 1980م، ص394. وسيشار إليه فيما بعد:القلقشندي،نهاية الأرب .

(2)الكلبي،أبو المنذر هشام بن محمد السائب(ت:204هـ/819 م)،جمهرة النسب،رواية السكري عن ابن حبيب،تحقيق ناجي حسن،عالم الكتب،ط1،بيروت 1986م،ص20-22.(وسيشار إليه فيما بعد: الكلبي،جمهرة النسب)؛القلقشندي،قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان،تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني،ط2، بيروت 1982م،ص137.وسيشار إليه فيما بعد:القلقشندي،قلائد الجمان.

(3)السمعاني،أبو سعيد عبد الكريم بن محمد(ت:562هـ/ 1167م)،الأنساب، تقديم محمد حلاق، دار إحياء التراث العربي،ط1،بيروت 1999م،مج3،ص472.وسيشار إليه فيما بعد:السمعاني، الأنساب.

(4)المقري ،نفح الطيب،مج1،ص90-291.

عدنان[1]،وقد تمتع الفهريون بالأندلس بمكانة رفيعة وعالية،لأن عصبية العرب كانت في قريش التي يُنسب إليها الرسول-عليه السلام-وظهرت بها الرسالة الإسلامية،ولقد برز بين صفوف الفهريين الكثير من الأعيان الفضلاء والعلماء والقضاة، الذين يسكنون قرطبة،وغرناطة، والجزيرة الخضراء وغيرها[2].

لقد كان يوسف الفهري قيسياً أو مضرياً، وقد تميزت القيسية بالقوة والشجاعة والتماسك،ولذلك رجحت كفتهم،ولا سيما خلال السنوات الأخيرة من عصر الولاة[3].

أما بالنسبة لأبناء وبنات يوسف الفهري،فقد ذكر الخشني أن الأمير عبد الرحمن ابن معاوية لما دخل القصر تلقاه بنات يوسف الفهري، وبقية عياله، فقال له بعضهن:أحسن يا ابن عمٍّ فقد ملكت، فأرسل عبد الرحمن بن معاوية القاضي يحيى بن يزيد، ودفع إليه بقية عيال الفهري، وأمره بالحفظ لهن[4].

وذكر المقري[5]،أن ليوسف الفهري ولدان هما: الأول عبد الرحمن، والثاني محمد الملقب بأبي الأسود،قبض عليه ابن معاوية حين كان يقاتل أباه يوسف وسجنه،

---

(1)ابن حزم،أبو محمد بن علي بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت:456هـ/1064 م)، جمهرة أنساب العرب،راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1983م، ص464.(وسيشار إليه فيما بعد:ابن حزم،جمهرة أنساب العرب)؛كحالة،عمر رضا،معجم قبائل العرب القديمة والحديثة،مؤسسة الرسالة،ط6،بيروت 1991م،ج3، ص948-949.وسيشار إليه فيما بعد:كحالة،معجم قبائل العرب.

(2)المقري،نفح الطيب ،مج1، ص297-298.

(3)الجيوسي، الحضارة العربية، نشر محمود مكي ،ص65.

(4)الخشني، أبو عبد الله، محمد بن الحارث بن أسد القَروي، (ت:361هـ/972م)، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت 1989م، ص48.وسيشار إليه فيما بعد: الخشني، قضاة قرطبة.

(5)المقري، نفح الطيب، مج3، ص35.

وظل سجينا بعد مقتل أبيه سنة 142هـ/759م. وقد تظاهر بالعمى وهو سجين، وفي سنة 168هـ/785م استطاع الهروب من سجنه بمساعي أحد مواليه ولحق بطليطلة،فاجتمع له خلق كثير لمحاربة ابن معاوية، فخرج إليه الأمير على رأس جيش "بقسطلونة"[1] (conzalana) واشتد القتال وانهزم أبو الأسود وفر إلى"قورية"[2](coria) و توفي فيها سنة 170هـ/786م[3]،وذكر ابن الآبار أن ليوسف الفهري ابن ثالث هو قاسم، حيث غزا الأمير عبد الرحمن بعد أخيه محمد فخرج إليه الأمير بلا أمان ،فتقبله وأمنه،ونقله إلى قرطبة وأحسن إليه [4].

ب-صفاته ونشأته

ذكر ابن الخطيب أن يوسف الفهري كان "شريفاً جليلاً، حازماً عاقلاً"[5]، وأورد ابن عذاري صفات يوسف الفهري ،فقال أنه كان:" كارهاً للفتنة والبغضاء والشحناء"[6]،ووصفه صاحب أخبار مجموعة بالجبن،لأنه لا ينازع أحداً[7].

---

(1)قسطلونة(Castalona) :مدينة قديمة بالأندلس بالقرب من بسطة. أنظر: القزويني، زكريا بن محمد بن محمود،(ت:682هـ/1283م)،آثار البلاد وأخبار العباد،دار صادر،د.ط،بيروت د.ت،ص553.وسيشار إليه فيما بعد:القزويني،آثار البلاد.

(2)قورية(Coria):مدينة بالأندلس بالقرب من ماردة،بينها وبين قنطرة السيف مرحلتان، وهي أولية البناء،من أحصن المعاقل.أنظر:الحميري،الروض المعطار،ص 485.

(3)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص57؛ابن الآبار،الحلة السيراء،ج2،ص 351-353.

(4)ابن الآبار،الحلة السيراء،ج2،ص353.

(5)ابن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق محمد عنان،مكتبة الخانجي،ط1، القاهرة 1977م،مج4،ص339.وسيشار إليه فيما بعد:ابن الخطيب، الإحاطة .

(6)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2، ص36.

(7)أخبار مجموعة، ص84.

ومن صفاته أنه ضعيف الرأي[1]، ليس لديه القدرة على ضبط الأمور، بسبب تسلط وزيره والمتغلب على أمره[2]الصميل بن حاتم،حيث كان ليوسف الاسم وللصميل الرسم [3].

كان يوسف الفهري مثل أبيه فارساً هماماً وخطيباً مفوهاً، التفت حوله المضرية ولازم الصميل بن حاتم عند دخوله الأندلس وصادقه حتى عظم نفوذه وتولى الحكم على البلاد[4]، وكان يهتم بإصلاح الأحوال والشؤون الداخلية، والجيش[5]، ولهذا أرتاح إليه معظم فئات المجتمع الأندلسي لعدله وإدارته[6].

عاش يوسف الفهري مع والده في القيروان وإفريقية وقد دخل أبوه بلاد الأندلس مع جده حبيب بن أبي عبيده الفهري عند الفتح الإسلامي،ثم عاد لإفريقية وبعدها هرب يوسف من إفريقية إلى الأندلس لأمور نقمها على أبيه أيام بشر بن صفوان الكلبي[7].

أقام يوسف الفهري في الأندلس بمنطقة البيرة[8]فأستوطن البلاد وساد بها[9]، وكان عبد الرحمن والد يوسف الفهري قد دخل الأندلس مع بلج بن بشر القشيري سنة 123هـ/741م، وحاول التغلب على الأندلس ،وإيجاد سبيل لولاية قرطبة،إلا أن

---

(1)حتاملة، الأندلس، ص160.

(2) ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص44؛ابن الآبار،الحلة السيراء،ج1،ص68.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص36.

(4)ابن الآبار، الحلة السيراء،ج2،ص347-348؛عنان،دولة الإسلام،ق1، ص130،

(5)عنان ،دولة الإسلام،ق1،ص130.

(6) باشا ،الأندلس الذاهبة، ج1، ص72-73.

(7)ابن الخطيب،الإحاطة،مج4،ص339؛ المقري،نفح الطيب،مجلد3،ص25؛ الضبي، بغية الملتمس،ص274.

(8)ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص36؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج5، ص375.

(9)ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج5،ص375.

دخـــل أبو الخطار والياً من قبل حنظلة بن صفوان الكلبي (والي إفريقية) سنة 125هـ/743م،فخافه عبد الرحمن فخرج إلى تونس مستتراً،فبقي بها حتى توفي الوليد بـــن يزيد بن عبد الملك سنة 126هـ/744م ،فدعا الناس،فأجابوه ،وجمع لقتال حنظلة بن صفوان واخراجه من إفريقية ،وتم له ذلك سنة 129هـ/747م،وانفرد بولايتها لمدة عشرة أعوام(1).

عاد عبد الرحمن الفهري من الأندلس ولم يستطع السيطرة عليها،بسبب مقاومة الوالـــي أبي الخطار،لكن انتصاره واستيلاءه على الإمارة في إفريقية من حنظلة بن صـــفوان الكلبي يعتبر نتيجة سمعة الأسرة الفهرية،وموقفها الجهادي الذي ساهم فيه عقبة بن نافع الفهري،وصارت هذه الأسرة في القيروان نموذجاً ومثالاً احتذت به بعـــض الأســـر والقبائل المستقلة في الربوع المغربية.وكان عبد الرحمن بن حبيب الفهري خطيباً مفوهاً ،وهو أحد سادات العرب ورؤسائها بالمغرب وهو شيخ الأسرة الفهـــرية الذي خطب للعباسيين بعد زوال دولة بني أمية،لكنه خلع طاعة بني العباس وأنفرد بالسلطة حتى قُتل سنة 137هـ /754م، وأنقسم البيت الفهري فيما بعد(2).

كان "اليأس بن حبيب"،عم يوسف الفهري غير راضٍ بانقسام البيت الأموي، ولم يوافـــق على تفتيت ترابها الذي كرّس جهدَه للمحافظة عليه، فقد كانت رغبة "اليأس" الانفراد بالسلطة في إفريقية،فقبض على أخيه عمران، ونفاه للأندلس وأوصى به ابن عمـــه "يوسف ابن عبد الرحمن الفهري" والي الأندلس (3)،وبعد أن خلع عبد الرحمن الفهـــري الـــولاء لبنـــي العـــباس وانفرد بالسلطة اتفق اليأس مع جماعة من وجوه القـــيروان على قتل عبد الرحمن الفهري،وعندما علم عبد الرحمن بهذا الخبر طلب من اليأس بالمسير إلى تونس ، فتجهز ودخل عليه ليودعه ومعه أخـــوه عبد الوارث

---

(1)ابن الآبار، الحلة السيراء،ج2، ص341؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج5، ص 311-312؛ فيلالي، المظاهر الكبرى، ص67.

(2)ابـــن الآبار،الحلة السيراء،ج2،ص342؛ ابن الأثير،الكامل في التاريخ،مج5، ص 313؛ فيلالي، المظاهر الكبرى،ص67-69.

(3)فيلالي، المظاهر الكبرى،ص74-76.

فلما دخلا على عبد الرحمن قتلاه،وذلك سنة 137هـ/755م[1].

ولم تهدأ الأوضاع في إفريقية بعد مقتل عبد الرحمن الفهري، فقد بدأ القتال بين اليأس من جهة وحبيب بن عبد الرحمن وعمه عمران بن حبيب من جهة أخرى واقتتلوا قتالاً شديداً ثم اصطلحوا على أن يكون لحبيب قفصة وقسطيلة ونفزاوة،ويكون لعمران تونس وصطفورة والجزيرة، وتكون سائر إفريقية لالياس ، وذلك سنة 138هـ/756م[2].

ج-وفاته

كان دخول عبد الرحمن بن معاوية الأموي للأندلس سبباً في هلاك آخر ولاة الأندلس "يوسف الفهري"،وذلك بعد أن مضت عشر سنوات من حكم يوسف الفهري[3].ففي عام 142هـ/759م،قُتل يوسف الفهري بناحية طليطلة، التي تردد إليها شهوراً، فقد اغتاله بعض أصحابه، وأُحتزّ رأسُهُ، وقُدم للأمير عبد الرحمن بن معاوية،ونُصب رأسه على جسر قرطبة، وكذلك قُتل ابنه ، ونُصب رأسه مع أبيه[4].

وتبدو قصة وفاة يوسف غامضة،فذكر ابن عذاري أن الذي قتل يوسف الفهري هو:عبد الله بن عمرو الأنصاري،فلما لقيه قال لمن معه: "هذا الفهري،وفي مقتله الراحة له ومنه، فتقدم إليه وقتله"[5].في حين ذكر ابن الخطيب أن الذي اغتاله هما مملوكان ليوسف سنة 142هـ/760م [6]وعلى أي حال كانت نهاية يوسف الفهري في طليطلة سنة 142هـ/760م.

---

(1)ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج5، ص314.

(2)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج5، ص314.

(3)الزركلي، الأعلام،ج8، ص236.

(4)ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس، ص51-52؛ أخبار مجموعة،، ص100-101؛ ابن عذاري ، البيان المغرب،ج2، ص49-50؛ابن خلدون،تاريخ،مج4،ص56؛ أرسلان، الحلل السندسية،ج1،ص454.

(5)ابن عذاري، البيان المغرب،ج2،ص49.

(6)ابن الخطيب،الإحاطة ،مج4، ص340.

2.2وصول يوسف الفهري لولاية الأندلس

أ-الأوضاع السياسية في الأندلس قبيل وصول يوسف الفهري للولاية:

لــم تكــن الأوضاع السياسية مستقرة في أفق الأندلس،فقد قامت الحروب بين الأخوة والأشقاء ،وكان لهذه الحروب تأثير كبير على وحدة صف المسلمين،وسلامة دار الإسلام في الأندلس،ومما زاد الأمر صعوبة غياب السلطة المركزية وضعفها،إذ أصبح خلفاء بني أمية بعد عام 125هــــ/742م يعيشون في فوضى سياسية وعسكرية واضــطرابات فــي أجهزة الدولة، وأقاليمها،وبالإضافة إلى ذلك فقد تقلّص سلطانهم خارج إقليم الشام[1].

كانــت الدولـــة الأمويـــة بعد عام 125هــ/742م تمر بظروف صعبة،فقد عانت الأســـرة الأمويـــة من المشاكل والانقسامات الداخلية التي انتشرت لتعم كافة أرجاء وولايات الدولة الأموية طوال الفترة (126-129هــ/744-747م)، والتي بـــدأت بمقتل الولـــيد بـــن يزيد(125-126هــ/743-744م).وعندما اعتلى مروان بن محمد-آخر خلفـــاء بنـــي أمية-الخلافة (127-129هــ/745-747م)،انشغل بالقضاء على المشاكل الداخلـــية، وتثبيـــت الأمـــر لنفسه،وكذلك انشغل بمحاربة خطر جديد (هـــو الخطر العباسي) طـــوال الفترة ما بين(129-132هــ/747-750م) [2].

كانـــت الأوضاع السياسية في الأندلس قبيل وصول يوسف الفهري للولاية غير مســـتقرة،فأبو الخطار يعتبر نفسه الوالي الشرعي للبلاد دون سواه ،بينما كان ثوابة بن سلامة الجذامي يتربع على عرش السلطة ويسعى للقضاء على أبي الخطار[3].

---

(1)ابن خلدون،تاريخ، مج4، ص154؛ فيلالي، المظاهر الكبرى، ص138.

(2)أخبار مجموعة، ص76-77؛ المراكشي، المعجب، ص39؛ الضبي،بغية الملتمس، ص11؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت:310هــ/922م)،تاريخ الطبري، تاريخ الأمـــم والملـــوك، دار الكتـــب العلمية، ط2، بيروت 1988م،مج4، ص235-270. وسيشار إليه فيما بعد:الطبري،تاريخ .

(3)الشطشاط،تاريخ الإسلام ،ص81.

أخذ أبو الخطار يسعى لجمع الناس حوله ،فأنضم إليه الكثيرون ،خاصة وأن أبا الخطـــار يُعتـــبر زعيماً لليمنية،فسار بهم لقتال ثوابة ،وعندما علم الأخير بقدوم أبي الخطار أخذ يستعد لذلك،حيث خرج ثوابة ومعه الصميل بن حاتم بقواتهما وحاولا أن يفضـــا الجموع قبل بدء القتال،فـــأمرا أحد رجالهما أن يخاطب جماعة أبي الخطار ويقنعهم بالانفضاض عنه، وبذلك وجد أبو الخطار نفسه مع نفر قليل من أصحابه لا يستطيع معهم خوض أية معركة ،ففضل الانسحاب والاستعداد لمعركة قادمة ،والتي خاضها في ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري(1).

ب-موقف الصميل بن حاتم وأهالي الأندلس من ولاية يوسف الفهري:

كانـــت ولاية ثوابة الجذامي على الأرجح سنة واحدة (2)،وقد توفي سنة 129 هـــ/747م،وذكر ابن عذاري وابن الأثير أن أهل الأندلس قدموا عليهم رجل من لخم يسمى عبد الرحمن بن كثير اللخمي،وذلك "للنظر في الأحكام"(3)،حيث أقام فيها نحو أربعة أشهر(4).

لـــم تهـــدأ الأحـــوال في الأندلس، فقد عادت الحرب إلى ما كانت عليه ،فأراد اليمنـــيون إعـــادة أبـــي الخطار إلى ولاية الأندلس، ورفض بذلك المضريون بقيادة الصميل بن حاتم،وحدث بين الفريقين صراع وقتال ظلّت بسببه الأندلس أشهراً دون والٍ،ولـــم ترضى أهالي الأندلس بأبي الخطار أو بيحيى بن حريث الجذامي، إلى أن ظهر بينهم رأي جديد، ويـــرجح أن يكون صاحبه زعيم المضرية الصميل بن حاتم،

---

(1)ابـــن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص35؛ المقري، نفح الطيب، مج3، ص25؛ الشطشاط،تاريخ الإسلام، ص82.

(2)أخبار مجموعة،ص81؛المقري،نفح الطيب،مج3، ص25.

(3)ابـــن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص35؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،مج4،ص 361.

(4)ابـــن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص35؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،مج4،ص 361.

وفحـــواه أن يتراضـــى القيسيون واليمنيون فيما بينهم فيقتسمون الإمارة بحيث تكون عامـــاً لقيســـي وآخر ليمني،فوافق الجميع على هذا الرأي،واعتقدوا فيه نهاية للنزاع فيما بينهم،وبقي على الفريقين أن يتفقوا على أول والٍ ينصبونه على الأندلس(1).

أخذ الصميل بن حاتم يبحث عن شخص تتوافر فيه صفتان أساسيتان أولها: أن يكون مقبولاً مـــن جميع الأطراف، وثانيتـــها: أن يكون ضعيفاً، سهل الانقياد حتى يتمكـــن مـــن السيطرة عليه، وأن يصبح هو الحاكم الفعلي للأندلس، بينما يكون ذلك الشخص حاكماً اسمياً،فوجد هذه الصفات في شخص هو"يوسف بن عبد الرحمن الفهـــري"،واتفـــق مع أهالي الأندلس، على أن يعود القوم إلى الاجتماع بعد عام من تاريخ 129هـ/747م ليقرروا من هو اليماني الذي سيلي يوسف في الولاية (2).

لقد كان للصميل بن حاتم دوراً كبيراً في اختيار يوسف بن عبد الرحمن الفهري لولاية الأندلس ،فقد أسعفه ذكاءه، وأقترح أن يكون الوالي الأول بعد التسوية قرشياً، وذلـــك لأن عصـــبية العرب يوم ذاك كانت في قبيلة قريش، وخلفاء دمشق أصحاب الفـــتح في الأندلس هم قرشيون، وكذلك ظهرت الرسالة الإسلامية في قريش، وعلى هـــذا تكـــون قريش فوق نزاع العصبية الذي يمزق الأندلس(3). وكانت قريش تقف موقف الحياد عند قيام الخلافات والنزاعات القبلية(4).

بالرغم مـــن أن الصميل بـــن حاتم،كتان رأس العصبة القائمة بالأمر ومُصرّف

---

(1)ابـــن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص35-37؛ابن خلدون، تاريخ، مج4، ص154؛ مؤنس، فجر الأندلس ،ص228.

(2)ابـــن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص35-37؛ابن خلدون، تاريخ، مج4، ص154؛ مؤنس، فجر الأندلس ،ص228؛ حتاملة، الأندلس، ص155.

(3)ابـــن الآبار،الحلة السيراء، ج2، ص347؛ أبو دياك،صالح محمد فياض، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عصر المرابطين وملوك الطوائف، دراســـة سياسية وحضارية، مكتبة الكتاني،ط1،اربد 1988م، ص214. وسيشار إليه فيما بعد: أبو دياك،الوجيز .

(4)مؤنس،فجر الأندلس، ص228.

شــؤون الــبلاد والزعيم الأقوى بالأندلس في ذلك الوقت،إلا أنه لم يحاول أن يكون حاكمــاً بنفســه، أو أن يختار أحد زعماء العشائر التي تعود إليه،وكان أذكى من أن يــنفر أحلافــه مــن اليمنــية بمثل هذا العمل، ولا يرضى أن يترك الأمر لأحد من المتنافســين مخافــة أن يســتبد به وبجماعته[1]،ومع ذلك فإن اختياره كان يقع على شخصية ضعيفة،ليستمر في سيادتهم على حساب الجماعات الأخرى .

وعندما تولى يوسف الفهري ولاية الأندلس، سكنت البلاد،واتفقت عليه القلوب[2]، وبهذا تخلصت الأندلس من الفراغ السياسي التي عانت منه.

ويمكــن أن نجمــل أهــم الأسباب التي جعلت الصميل بن حاتم يختار يوسف الفهري والياً على الأندلس :

1-كــان يوسف الفهري ينتسب إلى عقبة بن نافع،فاتح المغرب،وباني القيروان،وهذا يجعل له وجاهة بين الناس ويخفف من المقاومة لــه عند تنصيبه.

2-كان يوسف الفهري متقدماً في السن،والناس عادةً، وخصوصاً في الأزمات أكثر انقياداً للمتقدمين في السن، فقد مضى مــن عُمرِه سبعة وخمسون عاماً عندما وصل لولاية الأندلس[3].

3- يعتــبر يوسف الفهري أحد أشراف قبيلة فهر القرشية،ولذلك نال موافقة أهالي الأندلــس وفي ذلك يقول المراكشي[4]:"ثم اتفقوا على تقديم قرشي،فسكنت به الأمور".ويقول الحميدي والضبي[5]:"إن أهل الأندلس اتفقوا على تقديم قرشي يجمع الكلمة إلى أن تستقــر الأمور بــالشام"،ويضيف الضبي[6].:"وقدّمــوا

---

(1) ابن عذاري،البيان المغرب، ج2،ص37.

(2)أخــبار مجموعة، ص81؛الحميدي،جذوة المقتبس،ق1،ص 37؛ابن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص 35-37؛المراكشي، المعجب، ص49.

(3)عنان، دولة الإسلام،ق1،ص130.

(4)المراكشي،المعجب، ص39.

(5)الحميدي، جذوة المقتبس،ق1، ص37؛الضبي،بغية الملتمس،ص11-12.

(6)الضبي، بغية الملتمس،ص11-12.

يوسف بن عبد الرحمن الفهري أميراً فسكنت به الأمور".

4- كان يوسف الفهري في ذلك الحين معتزلاً في منطقة البيرة،مما يجعله بعيداً عن المنازعات الناشبة،فتقل مقاومة أهل الأندلس له.

5-كان يتنافس في سبيل الولاية على الأندلس بضعة نفر، فكان المألوف في مثل هذا الموقف أن يتنحى المتنافسون المتخاصمون لرجل حيادي يتمتع بمؤهلات معينة كتلك التي كان يتمتع بها يوسف بن عبد الرحمن الفهري(1).

على أن مساعدة الصميل بن حاتم لبوسف الفهري لم تكن تخلو من أغراض متعددة، والتي تتمثل فيما يلي:

1-كان يوسف الفهري قيسياً كالصميل بن حاتم.

2-يعتبر يوسف الفهري رجل ضعيف الرأي، مما يسمح للصميل بحكم الأندلس .

3-إن الذي ساعد إلى إنجاح الصميل بن حاتم، أنه لا يسعى لنفسه ظاهراً، فوثق به الناس وأمنته العصبيات(2).

4-كان عبد الرحمن بن حبيب-والد يوسف- يطمع إلى ولاية الأندلس،فحال أبو الخطار بينه وبينها، ولا ريب أن ذلك قد ترك شيئاً من النقمة في نفس يوسف إلى أبي الخطار، ولو لم يكن يوسف ليظهره، وقد أحب الصميل أن يستغل هذا العنصر الشخصي، فيضمن أن يكون يوسف الفهري بجانبه في وجه أبي الخطار(3).

لقد حظي يوسف الفهري بقبول جميع الفئات المتخاصمة ،وكانت هذه الموافقة مشروطة من قبائل لخم وجذام،بمنح زعيمها المنافس ليوسف الفهري وهو يحيى بن حريث سيد جذام كورة ريّة"فتكون طعمة له"(4)،فوافق الصميل على ذلك،وربما كان يريد أن يفسد على يحيى بن حريث مطامعه في الولاية ،ذلك أن عداوة يحيى

---

(1)مؤنس، فجر الأندلس،ص228.

(2)ابن عذاري،البيان المغرب، ج2،ص36.

(3)فيلالي، المظاهر الكبرى، ص67-68.

(4)أخبار مجموعة، ص81؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص35.

ابن حريث كانت شديدة لأهل الشام حتى انه قال في إحدى المناسبات :"لو أن دماء أهـل الشام جمعت لي في قدح لشربتها"[1]،ثم اتفق جند الأندلس على اقتسام الولاية بيـن المضـرية واليمانـية وإدالتها بين الجندين سنة لكل دولة[2].أما بالنسبة لأبي الخطار فربما سجنه الصميل بن حاتم مع غيره من اليمنية المعارضين لولاية يوسف الفهري[3].

وهكذا ولي يوسف بن عبد الرحمن الفهري على الأندلس بعد ثوابة بن سلامة سـنة 129هـ/747م[4]،برضـا الدميع،بعد اختلاف شديد، إلا أنه لم يكن في ذلك حـرب[5]، وكما هو متوقع فلم يكن ليوسف من الولاية سوى الاسم، في حين كان الرسم والفعل بيد الصميل بن حاتم، الذي خشي من النفوذ المتزايد ليحيى بن حريث واحـتمال قـيامه بتجميع أنصاره ومؤيديه من قبائل لخم وجذام وغيرها من القبائل اليمنية للإطاحة بيوسف والسيطرة على ولاية الأندلس.

وبهذا كان جلوس الفهري على كرسي ولاية الأندلس ، بفضل مساعي الصميل ابن حاتم ودعمه، وتخطيطاته،وحسن تدبيره،وذكائه،فقد روّض ليوسف النفوس وذلّل لـه الصـعاب، واسـتقطب له الأتباع والمؤيدين، من مختلف أقاليم الأندلس حتى رضوا بولايته.

وكانـت ولايـة يوسـف دون موافقة أو مصادقه لا من والي إفريقية ولا من الخلافة، والتي استمرت زهاء عشرة أعوام، وهو يزاول سلطة شبة مستقلة[6].

---

(1)ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص35.

(2)المقـري، نفـح الطيب،مج1،ص238؛ابن خلدون، تاريخ ، مج4،ص154؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج1، ص322.

(3)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص34-35.

(4)ابن خلدون،تاريخ،مج3،ص177.

(5)أخبار مجموعة، ص81.

(6)عنان، دولة الإسلام، ق2،ص681.

الفصل الثالث

الحياة السياسية في الأندلس(129-138هـ/747-756م)

1.3الثورات الداخلية

استمرت الخلافات العربية خلال ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، فقد كان من المتفق عليه بين اليمنية والمضرية أن يتعاقبا في الولاية فيمكث يوسف عاماً فقط ثم يُرد الأمر إلى اليمنية،ولكن المضرية وعلى رأسهم الصميل بن حاتم مرجع الزعامة والأمر يومئذٍ ،لم يفكروا بلا ريب في تمكين اليمنية من الرئاسة بأي الصور. وكذلك لا ريب في أن يوسف الفهري لم يفكر بعد أن ظفر بالولاية أن يتنازل عنها طائعاً مختاراً، بل بادر منذ البداية إلى استخلاص جميع السلطات لنفسه[1]،ولهذا ازدادت أعداد الحاقدين والكارهين ليوسف الفهري وصاحبه الصميل بن حاتم،مما أدى إلى قيام العديد من الثورات ضد الولاية [2]،وفيما يلي توضيح لأبرز هذه الثورات:

بدأت هذه الثورات عندما أقبل مؤيدو أبي الخطار من اليمنية يرسمون الخطط لإنقاذه،وإعادته للولاية مرةً أخرى،فاجتمعت لذلك قضاعة بقيادة عبد الرحمن بن نعيم الكلبي الذي جمع مائتي رجل وأربعين فارساً، ودخل بهم قرطبة ليلاً،وطردوا الحرس،وهجموا على السجن وأخرجوا أبا الخطار من سجنه فأقام عند الكلبية استعداداً لمواجهة المضرية التي يقودها يوسف الفهري والصميل بن حاتم[3].

كان يوسف الفهري قد ترك كورة ريّة ليحيى بن حريث الجذامي،فرضي بها،فلما استقام الأمر ليوسف لم يلبث أن غدر بابن حريث ،وعزله عن الكورة، فغضب ابن حريث،وكاتب أبا الخطار حتى اجتمعا، فقتال أبو الخطار: أنا الأمير

---

(1)عنان،دولة الإسلام ،ق1،ص131.

(2)فيلالي،العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب،دار الفجر للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة 1999م ،ص59.وسيشار إليه فيما بعد : فيلالي،العلاقات السياسية.

(3)أخبار مجموعة،ص81؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ،ج2، ص35.

المخلوع وأنا أقوم بالأمر ،وقال ابن حريث :بل أنا أقوم بالأمر، لأن قومي أكثر من قومك.وفي سبيل الحفاظ على وحدة الصف أرغمت قضاعة أبا الخطار للتنازل عن الــزعامة وإلى مــا يدعــو إليه ابــن حريث،فأحبّت جمع كلمة اليمن ،فأجابوا ابن حريث ،وانحازت يمن الأندلس إليه(1).

وهكذا اجتمعت اليمنية معاً تحت لواء ابن حريث وأبي الخطار، اللذين اتفقا على العمــل المشترك ضد يوسف والصميل،فبدأ أبو الخطار بتحريض أفراد قبيلته ضد يوســف معتبراً الصميل إنــما عمل على تسيير الأمر إلى المضرية بتولية يوسف، لأن مضر أقرب إلى فهر من اليمن(2)،فقد انحازت المضرية ليوسف الصميل .

ذكر ابن الأثير موقف يوسف الفهري من قتال اليمنية التي يستعد إليها صاحبه الصميل بن حاتم،فقال:"فلما رأى يوسف ذلك، فارق قصر الإمارة بقرطبة، وعاد إلى منزله،وعــندما هُزم أبو الخطار، رجع يوسف للقصر وازداد الصميل شرفاً، وكان اسم الإمارة ليوسف والحكم للصميل"(3)، وإلى ذلك يمضي ابن عذاري فيقول:" فكره يوســف الفتنة،وخاف البغضاء والشحناء،ونزل الصميل للقتال،وصرّف يوسف إليه الأمور،وأوقف عليه الرئاسة والتدبير،فكان ليوسف الاسم وللصميل الرسم"(4)، ويقول ابن الخطيب في الإحاطة:"واعتزلها يوسف تحرُّفاً،وقام بأمرها الصميل بن حاتم"(5).

وبالتالــي فإن يوسف لم يكن موافقاً على قتال اليمنية،إلا أنَّ تجرُّؤ الصميل قد غلــب على أمر يوسف،ولذلك صمم الصميل على القتال،وجمع كل ما يستطيع من أســلحة وآلات حربــية،ثم عاد لينازل ابن حريث وأبي الخطار،فقد وصلا في تلك الأثناء إلى جنوبي قرطبة(6).

---

(1)أخبار مجموعة، ص81، ابن عذري ، البيان المغرب،ج2، ص36.

(2)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 5، ص375.

(3)ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج 5،ص375.

(4)ابن عذاري ،البيان المغرب، ج2، ص36.

(5)ابن الخطيب، الإحاطة ،مج 4،ص339.

(6)حتاملة، الأندلس، ص257.

ذكر صاحب أخبار مجموعة ،أن يوسف الفهري قد رافق الصميل بن حاتم إلى قتال اليمنية، ويستدل على ذلك من خلال قول الصميل ليوسف أثناء القتال :"ما وقفنا إذ خلّفنا جند نحن منهم في غفلة ،فقال يوسف:ومن هم ،قال الصميل:أهل السوق بقرطبة ،فردّ يوسف مولاه خالد بن يزيد، فأخرج منهم نحو أربعمائة راجل"[1].

وربما يكون خروج يوسف للقتال لا يعني أنه راغباً فيه،لأن المدبر لهذا القتال، وموقد الفتنة،وقائدها هو الصميل بن حاتم من جهة وأبي الخطار من جهة أخرى،أما يوسف فشخصيته ضعيفة ،أو كما عبّر عنه صاحب أخبار مجموعة ،بأنه جباناً [2] .

دارت بين اليمنية والقيسية معركة طاحنة سنة 130هـ/747م،كان ميدانها شقندة[3]، وكان القتال بين الجانبين فريداً يصفه صاحب أخبار مجموعة بقوله :" والشعور لم يكن بالإسلام صبراً مثله إلا ما يذكر بصفين" و"إنها الفتنة العظمى التي بها يخاف بوار الإسلام بالأندلس" [4]، ووصفها المقري وابن الخطيب بأنها :" لم يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلاداً ولا أصبر رجالاً" [5]، وقال

---

(1)أخبار مجموعة ،ص82.

(2)أخبار مجموعة،84.

(3)شقندة:هي قرية بعدوة نهر قرطبة،مقابل قصرها. وضبطها (شُقُنْدَة):بضم الشين والقاف، وسكون النون، وبالدال المهملة .وتضبط بفتح الشين _شَقُنْدَة) وتقع على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير أي بالربض الجنوبي لمدينة قرطبة. أنظر: الحميري،الروض المعطار،ص 349؛ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس،ص44؛ ابن حيان ،أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (ت:469هـ/ 1077م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة،د.ط،بيروت 1983م،ص209.(وسيشار إليه فيما بعد: ابن حيان،المقتبس)؛ حتاملة،موسوعة الديار، ج1، ص549.

(4)أخبار مجموعة،ص82.

(5)المقري، نفح الطيب، مج3، ص25؛ ابن الخطيب،الإحاطة ،مج 4، ص339.

ابـن عـذاري :" لم يعهد حرب مثلها في المسلمين، بعد حرب الجمل وصفين "[1].

وقـال ابـن الأثير:"واقتتلوا،قتالاً لم يكن بالأندلس أعظم منه" "واقتتلوا بالرماح حتى تقطعت،وبالسيوف حتى تكسّرت،ثم تجاذبوا بالشعور"[2] .

وبعـد أن تضـارب المـتحاربون بالسيوف والرماح حتى تكسرت،و تجاذبوا بالشـعور، استقـدم يوسف الفهري و الصميل بـن حاتم الجزارين وأهـل السوق من قرطبة ، فأقبل منهم نحو أربعمائة ومعهم السكاكين والعصي ،وانتهت المعركة، بل الملحمة بانتصار القيسية[3].

كان ابن حريث لمّا رأى أهل سوق قرطبة يقتلون أصحابه ، تغيب ودخل تحت سـرير الـرحى التـي بموضع بيع الخشب ، فلمَّا أسروا أبا الخطار ، وهمّوا بقتله قال:"ليس عليّ فوت،ولكن عندكم ابن حريث،فدلَّ عليه فَأُخرج وقتلا جميعاً" [4].

لقد كانت معركة شقندة من العنف ما جعل ابن عذاري يضيف إلى ما أوردناه سـابقاً، أن الفريقين تصادما:" فلا تسمع إلا صهيلاً وصليلاً، ولا ترى إلا قتلا،حتى تكسـرت الخَطـيَّة، والتفت الساق بالساق ،وانضمت الأعناق إلى الأعناق"[5]. وهذا وصف لعمق العداوة والبغضاء بين العرب ،وكانت أعداد القتلى من اليمنية كبيرة ، وقد أُسر منهم خلق كثير ، وربما لذلك سُميت هذه المعركة "بقاطعة الأرحام"[6].

وبعـد نهايـة المعركة،استقدم الصميل بن حاتم جميع الأسرى في كنيسة كانت داخـل مديـنة قرطبة،فضرب أوساط سبعين منهم،فلما رأى ذلك أبو عطاء،قاسم بن حمد المرى–ويبدو من القيسية–قال: "أبا جوشن أغمد سيفك، فقال الصميل:أبا عطاء:

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص36.

(2)ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،مج 5،ص492/375.

(3)أخـبار مجموعة ،ص82؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج2،ص36؛ المقري،نفح الطيب، مج 3،ص25/مج1،ص238؛ابن خلدون، تاريخ، مج4، ص154.

(4)أخبار مجموعة،ص82-83.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص 36.

(6)أخبار مجموعة ،ص83.

فهـذا عـزك وعزّ قومك، فجلس أبو عطاء، ولم يغمد الصميل سيفه ، ثـم قام أبو عطـاء وقال:يا عرابي ،والله إنّ تقتّلنا إلا بعداوة صفين ،لتكفن أو لأدعون بدعوةٍ شـامية،فأغمَدَ الصميل سيفه"[1]،وتبدو العصبية واضحة من حديث الصميل بن حاتم الذي يريد رفع شأن القيسية وإذلال اليمنية الذين تحالفوا مع أبي الخطار وابن حريث وكذلك كان الصميل يريد القضاء على كل الطامعين في ولاية يوسف الفهري ليسود الأمن والسلام في البلاد.

وبهـذا نجـح الصميل بن حاتم في سياسته الماهرة بالقضاء على الطامعين في الولايـة، فقـد أخفى أبا الخطار وابن حريث من صفحات التاريخ ،وتمكن بالدولة ، وازداد شـرفاً لعظمـة الانتصـار ، وترى بعض الروايات أن يوسف الفهري قلق وضاق لوصاية الصميل عليه،ولهذا رأى أن يبعده عن مكانه ويوليه بعض سلطانه ، فبعـثه إلـى سرقسطة سنة 132هـ/749م[2]،ولكننا ما عرفناه من طبيعة العلاقة بين الرجليـن ومن النفوذ العظيم الذي يتمتع به الصميل يرجح أن الأخير هو الذي اتخذ هـذا القرار،ويذكـر صـاحب أخبار مجموعة أن منطقة سرقسطة مليئة باليمنيين، وبالتالي ربما يكون غرض الصميل من الذهاب إلى سرقسطة هو لإذلال اليمنيين[3].

وكما هو متوقع لم تهدأ الأحوال في الأندلس بانتصار يوسف الفهري والصميل بـن حاتم في معركة شقندة وقتلهما أبا الخطار ويحيى بن حريث[4]،فقد شهدت البلاد فـي أعقـاب تلك المعركة العديد من الثورات التي قادها يمانيون كردة فعل لمعركة شقندة.

ففي الشمال الشرقي وفي مدينة أربـونة بالتحديد ثار عاملها عبد الرحمن بن علقمة اللخمي،ويلقب بفارس الأندلس ،وكان يتمتع ببـأس شديد ووجاهة عظيمة عند

---

(1)أخبار مجموعة،ص83-84؛ابن عذاري، البيان المغرب،ج2، ص42.

(2)أخـبار مجموعـة،ص83؛ ابـن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص 37؛زبيب، الموسوعة العامة، ج2، ص83.

(3)أخبار مجموعة،ص83.

(4)حتاملة،الأندلس،ص158.

وأحـــد، وكـــان عامر أحد رجالات قريش بالأندلس شرفاً ونجدةً وكان أيضاً سخياً، لبيـــباً، عاقلاً، أديباً،حذراً، وأشتهر بقيادته للعديد من الصوائف ضد مسيحي الشمال قـــبل ولايـــة يوسف الفهري،وعندما اعتلى يوسف الفهري ولاية الأندلس قام بعزله وذلك حسداً لمكانته،ثـــم أخذ يكيد لـــه خوفاً منه، وعندما أحس عامر بما يدبره لـــه يوســـف أرســـل إلى الخليفة العباسي أبـــي جعفر المنصور يسأله أن يوليه الأندلس ويرســـل لـــــه عهـــداً بذلك[1].وهذا الأمـــر بعيد الاحتمال بسبب انشغال المنصور بتثبيـــت الأوضـــاع الداخلـــية في العراق والمشرق، فلا يمكنه الانخراط في مشاكل المغرب والأندلس.

وكـــان عامـــر قـــد ساءه ما فعل يوسف باليمنين،وخشي أن يسيء الصميل لليمنييـــن بسرقسطة ويقتلهم،ويبدو أن عامراً يريد المساعدة من اليمنيين المعارضين ليوســـف والصميل،ولذلك أظهر التعصب لهم،ثم أخذ يستعد للمواجهة فقد بنى حصناً فـــي"منـــية لــــه كان يقال لها قناة عامر بغربي قرطبة،فأغلق غلقة عظيمة همّ أن يجعلها مدينة ،ويغادر يوسف حتى يأتيه إمداد اليمن[2] .

وكـــان يوســـف الفهري حينذاك قد جَفَلَ الناس من حوله ،وكرهوا ولايته ،لما امتاز به من ضعف وجبن ،فكتب إلى الصميل بن حاتم بسرقسطة يعلمه بأمر عامر فأجابـــه الصميل يشجعه على قتله،فعلم عامر،وهرب من قرطبة إلى سرقسطة التي تعـــج باليمنيين ،ولم يكن وجود الصميل بن حاتم ليحول دون توجهه إليها ،فقد كتب عامر إلى زعيم من زعماء يمن سرقسطة يسميه ابن خلدون والمقري وابن الآبار[3]:

---

(1)أخـــبار مجموعـــة،ص84؛ابـــن القوطـــية،تاريخ افتـــتاح الأندلـــس،ص48؛ابن عذاري،البـــيان المغرب،ج2، ص37؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،مج5،ص462؛ابن الآبار،الحلة السيراء،ج2،ص344-345.

(2)أخـــبار مجموعة،ص84؛ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص42؛ابن الآبار،الحلة السيراء،ج2،ص345.

(3)ابـــن خلدون،تـــاريخ،مج4،ص154؛المقري،نفح الطيب،مج3،ص26؛ابن الآبار، الحلة السيراء،ج2، ص345.

الحباب بن رواحة الزهري،ويسميه ابن عذاري[1]:تميم بن معبد الزهري، وينسبه صاحب أخبار مجموعة إلى بني زهرة دون أن يسميه [2]،وعلى أية حال فهو من بني زهرة، حيث التقى عامر به،وأخذا يدعوان الناس لقتال يوسف والصميل، فأجابتهم رجال من اليمنية والبربر، وحاصروا الصميل حصاراً شديداً لمدة سبعة أشهر،وخلال هذه الفترة طلب الصميل المساعدة من يوسف الفهري في قرطبة ولكن دون جدوى لأن الأوضاع السياسية لم تكن مستقرة وكذلك كانت الظروف القاسية التي خلفتها المجاعة جعلت من الصعب على يوسف تجميع أية قوى بشرية وإرسالها إلى سرقسطة[3]،وربما كان يوسف الفهري يرجو هلاكه،وهذا ما يؤكده ابن خلدون في تاريخه[4].

عندما فقد الصميل الأمل في مساعدة يوسف له،كتب إلى قومه قيس في جند قنسرين ودمشق (جيان والبيرة)،يخبرهم بمحنته القاسية ويحثهم على إرسال ما يمكنهم من إمدادات،وقد تولى زعيم كلابي هو عبيد الله بن علي مهمة تجميع أولئك الذين يرغبون بالتطوع للقتال إلى جانب الصميل،ولم تكن هذه المهمة سهلة ،فرغم نجاح عبيد الله في جمع عددٍ من قبائل كلاب و محارب وهوازن وسليم ،إلا إنه تقاعس من القيسية سيد جند قنسرين الحصين بن الدجن العقيلي،وسيد جند دمشق سليمان بن شهاب، وكذلك لم ينهض للعون إلا بنو عامر بن كلاب وجميع قبائل هوازن وسليم ،بينما كانت غطفان مترددة في اتخاذ القرار الحازم بشأن المساهمة في حملة الإنقاذ،بعد أنْ فقدت شيخها أبا عطاء الذي توفي في ذلك الوقت[5].

خرجت قيس كلها من الجندين (قنسرين ودمشق)،وأقنع عبيد الله بن علي الغطفانيين بالمشاركة في الحملة ، وأدرك كل من سليمان بن شهاب والحصين بن

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص37.

(2)أخبار مجموعة،ص83.

(3)ابن خلدون،تاريخ،مج4،ص154

(4)ابن خلدون، تاريخ،مج4،ص154.

(5)أخبار مجموعة، ص84-85؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج2،ص42.

الدجــن أن تخلفهما عن الالتحاق بالحملة لن يفيدهما في شيء ،بل سيؤدي إذا ما فك الحصـــار عن الصميل إلى خلق المزيد من العداء ازاءهما،ولهذا قرّرا المشاركة مع بقية العشائر القيسية في حملة الإنقاذ،واجتذبت الدعوة كذلك أتباع بني أمية ومواليهم فــي الأندلــس، فــنهض زعمــاؤهم:أبــو عثمان،عبيد الله بن عثمان،وعبد الله بن خالد،ويوسف بن بخت،وكان لهؤلاء الموالي الثلاثة أهــداف تتعلق بعبد الرحمن بن معاوية الأموي[1].

وكانت حملة الإنقاذ تتألف مبدئياً نحو ثلاثمائة فارس، فكل طائفة لم تنهض إليه إلا ببضــع مــئات[2]معظمهم من القيسية التي لا تفكر إلا في القضاء على اليمنية ، وكــان فيهم نفر من موالي بني أمية الذين لم يفكروا في أمر الصميل بقدر ما كانوا يفكــرون فــي أمــر فــتى مــن بني أمية كان مقيماً في شاطئ إفريقية عند برابرة نفــزة،وكان قــد أرســل مــولاه بدراً [3]إلى الأندلس ليلقى هؤلاء الموالي الأمويين ويدعوهــم إلى أمره.ولما أشرفت الحملة على مدينة طليطلة ،بعد أن استغرقت وقتاً طويــلاً في التجمع والسير،حتى تمكنت اليمنية من تشديد الحصار على الصميل بن حــاتم ومــن معه،فســاءت أحوال المحاصَرين،وأقبلت رسلهم إلى طليطلة تستحث القيســيين ومــن معهــم على سرعة السير ،فعجلوا بإرسال فارس منهم برسالة إلى الصــميل تؤكــد لــه إسراعهم إليه بالعون وقالوا لــه :"ادخل في جملة المحاربين للســور فــإذا قربت منه،ارمِ بهذه الحجارة"[4]،وبالفعل تسلل الفارس بها بين فرسان عامــر وزهــرة المحاصــرين للصــميل، وربــط الرسالة بحجر ثم ألقى بها بين المحصورين ولم يكن فيها إلا البيتان الآتيان:

---

(1)أخبار مجموعة،ص84؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص42.

(2)مؤنس،فجر الأندلس،ص237.

(3)بــدر:رومــي الأصــل،ويكنى أبــا نصــر،وهو مولى لعبد الرحمن بن معاوية الداخل،كان شجاعاً ،حازماً فاضلاً، مصمماً تقياً،علماً من أعلام الوفاء، صحب مولاه إلى المغرب الأقصى. ابن الخطيب، الإحاطة ، مج4، ص444.

(4)أخبار مجموعة،ص86؛ابن عذاري ،البيان المغرب،ج2،ص43.

ألا أبْشِـــرْ بالسَّــلامة يا جِــدارُ   أتــاكَ الغــوثُ وأنقطــعَ الحصـــارُ
أتتـــكَ بنـــاتُ أعــوجَ مُلْجَمَاتُ   عليـــها الأكـــرمــون وهــم نِــزارُ

وعـــندما ســـقطت هـــذه الحجـــارة ،قُرئــت عليه لأنه أميّاً،فلما سمع ما فيها قال:"ابشروا يا قوم، فقد جاءكم الغوث ورب الكعبة"، وعندما دخـــل هـــذا الجمـــع إلـــى سرقسطة، أكرمهم الصميل بن حاتم بماله، ورحـــب بهم ،ثم توجـــه الصميل إلـــى قرطـــبة وسار الشاميون إلى أجنادهم ،وتسامع اليمنيون المحاصرين للصميل فخـــافوا الهزيمة،فـــتفرقوا ،وبالتالـــي تمكـــن الصـــميل من الانتصار على هؤلاء المحاصِرين المتمردين دون قتال(1).

وخـــلال هـــذه الفـــترة ،كـــان يوسف مهتماً بالقضاء على التمرد المستمر في سرقسطة ، ولهذا فما أن رجع الصميل إلى قرطبة،حتى استعد يوسف لإرسال حملة علـــى المتمرديـــن ، ففي سنة 137هـ/754م سار يوسف بنفسه إلى سرقسطة ،وكان المـــتمردون قـــد وافقوا على تسليم زعمائهم وهـــم:عامر العبدري والزهري،فأمر يوسف بتقييدهم وكان يعتزم قتلهم، وكان سليمان بن شهاب والحصين بن الدجن من أكـــثر المتشـــددين في معارضة قتل الزعماء القرشيين الثلاثة وهم (عامر العبدري وابنه وهب والزهري) (2)،ويمكن توضيح موقفهما على ضوء امتناعهما السابق عن إنقاذ الصميل عندما كان محاصراً في سرقسطة فمن المحتمل أنهما كانا يتعاطفان مع المتمردين،فاكـــتفى يوسف الفهري بحبسهم مؤقتاً(3)،ثم أمر بمشورة الصميل بضرب أعـــناق القرشيين سنة 138هـ/755م(4).وأما بالنسبة لابن شهاب وابن الدجن فسيكون لهمـــا شـــأن آخـــر عند الحديث عن جهاد يوسف الفهري ضد المملكة الأسبانية في الشمال.

---

(1)أخبار مجموعة، ص87؛ ابن عذاري ،البيان المغرب، ج2، ص43.

(2)أخبار مجموعة،ص90؛ابن الآبار،الحلة السيراء،ج2،ص354-355.

(3)أخبار مجموعة،ص90.

(4)أخبار مجموعة،ص90؛المقري،نفح الطيب،مج3،ص26.

وقــد ظن يوسف والصميل بعد قضائهما على هذا التمرد الخطير انهما قضيا علــى كل أشكال المقاومة ، وأن الأندلس قد صفت خالصة لهما ،ولم يدركا أن تلك اللحظة بالذات كانت تحمل بداية النهاية لهما وأن عليهما أن يجابها فوراً تحدي جديد يتمــثل فــي شخصية عبد الرحمن بن معاوية الأموي سنة 138هـ/755م الذي سعى لدخول الأندلس والقضاء على سلطان يوسف الفهري فيها[1].

2.3 يوسف الفهري ومملكة اشتوريس[2](Asturias)

أ-نشأة مملكة اشتوريس

تعود بدايات نشأة هذه المملكة إلى زمن الفتح الإسلامي للأندلس،حيث لم يكن يخطــر ببال موسى وطارق أن الركن الشمالي الغربي المسمى جليقية ،الذي خلفوه وراءهــم دون فــتح ، كان في الواقع حصناً لجأت إليه أعداد قليلة من بقايا القوط ، واطمأنــت إلى الحياة في هضابه ووديانه،وربما كانت رسالة الخليفة "الوليد بن عبد الملــك" لموســى وطارق التي تدعوهما بالانصراف والعودة إلى دمشق[3]،قد حالت دون فــتح هذه المنطقة ،في حين أن المسلمين فيما بعد لم يهتموا بفتح هذه المنطقة، ربما استصغاراً لشأنها،لكنهم أتاحوا للقوط فرصة النمو والتكوين بما أسرفوا فيه من الخصومات فيما بينهم.

تتفق بعض الروايات العربية أن فلولاً من القوط فرّت أمام الفاتحين المسلمين ، واتجهت نحــو الشمال حتى اعتصمت بــركن جليقية الذي تسميه المصادر العربية

---

(1)ابــن عــذاري، البــيان المغرب،ج2،ص38؛المقري،نفح الطيب،مج 3،ص26، باشا،الأندلس الذاهبة،ج1، ص75.

(2)اشــتوريس(Asturias):حوز يشكل القسم الثاني من بلاد جليقية ،وهي منطقة في أقصى الشمال الغربي لشبة الجزيرة الإيبيرية. أنظر:حتاملة ، موسوعة الديار ،ج1، ص91.

(3)المقري،نفح الطيب،مج1،ص233؛عنان ،دولة الإسلام،ق1،ص137-138.

صـــخرة بلاي[1]وربما يعتبر ترك هذه المنطقة (جليقية) دون فتح ليست من أخطاء موســـى بن نصير وطارق بن زياد،بل أن انقسام العرب وانصرافهم إلى منازعات العصـــبية قد قضت على أعداد كبيرة منهم،وصرفت جهودهم عن مراقبة المنطقة،و بهـــذا استعاد القوط قوتهم وتكونت نتيجة لذلك مراكز خارجة عن السلطة الإسلامية كـــان مـــن أهمهـــا وأخطـــرها مركـــزان:الأول فـــي هضاب كانتبرية في الجهة الشرقية،والثاني في هضاب اشتوريس في الجهة الغربية[2].

أما بالنسبة لبلاي، فهي شخصية يحيط بها الغموض،فترى بعض الروايات أنه ابن للدوق فافيلا[3](دوق كانتبرية)،في حين تذكر روايات أخرى أنه كان أخاً أو مساعداً للذريق،واخـــتلف معه فنفاه من طليطلة [4]،وترى روايات أخرى أن بلاي ينتمي إلى أصـــل قوطي نبيل،حيث وقع أسيراً بأيدي المسلمين وسجن في قرطبة ، لكنه تمكن مـــن الفـــرار أثناء ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي سنة 98هـ/717م، وأتجه إلى اشـــتوريس في الشمال الغربي[5]،وربما يكون الرأي الأول،الذي يقول أن بلاي ابن للدوق فافيلا، وهو من سكان منطقة اشتوريس الأصليين هو الأرجح[6]، ولا يهمـــنا

---

(1)أخبار مجموعة،ص 66، 83؛ ابن عذاري،البيان المغرب، ج2، ص16؛ المقري ، نفـــح الطيـــب، مج 1، 275-276؛ سالم، السيد عبد العزيز،تاريخ المسلمين وآثارهم بـــالأندلس مـــن الفـــتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ،د.ط،الإسكندرية د.ت، ص168.وسيشار إليه فيما بعد:سالم،تاريخ المسلمين.

(2)عنان ،دولة الإسلام،ق1، ص205.

(3)ابن الخطيب،تاريخ أسبانيا الإسلامية أو أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام مـــن ملوك الإسلام ، تحقيق إ.ليفي بروفنسال، دار المكشوف،د.ط، بيروت 1956م، ص322.وسيشار إليه فيما بعد:ابن الخطيب،أعمال الأعلام.

(4)مؤنس، فجر الأندلس، ص 320؛ حتاملة ، الأندلس،ص 166-167.

(5)المقري، نفح الطيب، مج4، ص350.

(6)أنظر:العمايرة،مراحل سقوط الثغور الأندلسية،ص49.

البحــث في أصل بلاي، بقدر ما يهمنا دوره في نشأة مملكة اشتوريس،و خطر هذه المملكة على الوجود الإسلامي ، ومن ثم جهاد يوسف الفهري ضد هذه المملكة.

ويمكن اعتبار سنة 98هـ/718م بداية لظهور بلاي [1] فتذكر الروايات أن بلاي كــان لـــه نشاطاً ملحوظاً بعد هذا التاريخ، فقد استطاع أن يكسب شعبيه كبيرة عند أهــل اشتوريس،فأنشأ النواة الأولى لدويلة نصرانية صغيرة في الشمال الغربي من شــبة الجزيرة الإيبيرية،تكونت من أهل البلاد الأصليين ومن فلول القوط المنهزمين من وجه القوات الاسلامية، فــذكر المقري"[2]:"أن بلاي جمع فلّ النصارى بالأندلس بعد غلبة العرب عليهم"،وذكر ابن حيان[3] : "أنه قد عاب على العلوج طول الفرار، وأذكى قرائحهم حتى سما بهم إلى طلب الثأر ، ودافع عن أرضـــه، ومن وقته أخذ نصارى الأندلس في مدافعة المسلمين عما بأيديهم مــن أرضهم "،فكان هــدف بلاي هـــو المحافظة على المنطقة التي بيده وحمايتها من هجمات المسلمين ،ولذلك بقي متقوقعاً في عاصمته منتظراً الفرصة المواتية لشن حرب على المسلمين المقيمين في المدن والثغور الإسلامية المجاورة لحدود دولته، ومــن هذه المدن:ليون، واسترقة ، شنت ياقب[4]، ويؤكد على ذلك المقري[5]فيذكر :"أن هدف بلاي هــو دفع المسلمين عمـــا بقي بأيديهم مــن أرضهم وحماية حــريمهم" وقــد جاءت الفرصة نتيجـــة

---

(1)المقري،نفح الطيب،مج4، ص350.

(2)المقري،نفح الطيب،مج4،ص 351.

(3)المقري،نفح الطيب،(رواية ابن حيان)،مج 4، ص351.

(4)شــنت ياقب أو شنت يعقوب(Santiago Do Composela):تلفظ مثناه من تحت، وبعــد الألــف قــاف مضمومة ثم باء موحدة ،وتلفظ (ياقوه)، وهي اسم كنيسة في الأصـــل، ومـــنطقة مـــن ثغـــور ماردة،وتقع على ساحل المحيط الأطلسي. أنظر: الحمـــوي، معجم البلدان،ج3،ص368؛المقري،نفح الطيب،مج1،ص129؛ الحميري، الروض المعطار،ص 348.

(5)المقري، نفح الطيب،مج 4،ص351.

لسببين [1] هما:

أولاً:الصــراع العنـيف الذي وقع بين أبي الخطار _حسام بن ضرار الكلبي_ وابن حريث من جهة وبين يوسف الفهري والصميل بن حاتم من جهة أخرى سنة 130هـ/747م، وقد كان لهذا الصراع القبلي آثار سلبية على وضع المسلمين في الأندلس ومن ذلك أن هذا الصراع :

أ-أودى بحياة كثير من المقاتلين المسلمين .

ب-أدى إلـى تفـريغ كثـير مـن المـدن الشـمالية من سكانها،مثل ليون،واسترقة،ولك.

ج-شغل الجيش الإسلامي من القيام بهدفه الرئيسي،وهو محاربة القوات النصرانية.

د-أضـعف مـن قوة الجيش الإسلامي في الشمال ممّا شجع بلاي على محاربته.

ثانياً:انتهاء الخلافة الأموية في المشرق على يد العباسيين ،وقد كان لهذا الحدث أثراً سلبياً على وضع المسلمين بالأندلس، ولذلك حاول كثير من الولاة الاستقلال بالأندلس بإعلان انفصالها عن دولة الخلافة العباسية، فأصبح الجو مهيئاً أمام بلاي وجماعته للانقضاض على المسلمين ، حيث استطـاع تحقيق أول فوز لــه على المسلمين في معركة كوفادونجا (Covadonga)سنة 133هـ/750-751م،والتـي تغـنوا بهـا وأطلقـوا علـيها اسم الاسترداد أي بالأسبانية (Lareconquista)وتعرف بالمصادر العربية بالصخرة [2].

---

(1) العمايرة،مـراحل سـقوط الـثغور الأندلسـية،ص50-51؛فروخ ،عمر،العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط من فتح المغرب إلى نهاية عصر الولاة،دار الكتاب العربي،ط2، بيروت 1981م،ص154-156.وسيشار إليه فيما بعد:فروخ، العرب والإسلام.

(2)أخـبار مجموعـة،ص83؛المقـري،نفح الطيب،مج 4،ص351؛القلقشندي،صبح الأعشى، ج5،ص263.

وأيـاً كـان الأمـر فـان أهم نتيجة لهذه المعركة هي أنها تعتبر أول هزيمة لحقت بالمسلمين على يد بلاي منذ الفتح الإسلامي،وقد تقلصت حدود الدولة الإسلامية إلى مدينة استرقة[1]،بينما حدث أول توسع للنصارى على حساب الأراضي الإسلامية[2].

ب-جهاد يوسف الفهري ضد مملكة اشتوريس

ولـم يكد الأمر يستقر ليوسف الفهري والصميل بن حاتم (129هـ/747م) حتى عجـل بإرسـال حملة بقيادة ابنه عبد الرحمن إلى نواحي جبال البرت لإقرار أمر الإسلام فيها من جديد ، فلقي مقاومة عنيفة ولم يوفق إلى شيء يذكر[3]،وعلى العموم كانـت الأحـوال السياسـية خلال الفترة الممتدة مابين (129-138هـ/747-756م) مضـطربة فـي بلاد الأندلس ، فقد ثار البشكنس وأمراء القوط على المسلمين فيما وراء جـبال البرت، وفي تلك الأثناء كانت الاضطرابات على أشدها بين الـعرب، وانقطعت الصلات بين مسلمي أربونة وبين قرطبة،وتدهورت أوضاع المسلمين[4].

وبالـرغم من وجود الاضطرابات والخلافات بين صفوف المسلمين فقد حشد يوسـف الفهري قوات أخرى وكان هدفها هو حماية الحدود الشمالية ،ووقف تمرد البشـكنس ،فسـيّر إلـى تلك المناطق جيشاً بقيادة سليمان بن شهاب، والحصين بن الدجن العقيلي وذلك في سنة 138هـ/756م[5]، وكان النصارى المرابطين في الشمال

---

(1)أخبار مجموعة، ص83.

(2)العمايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية،ص53.

(3)ريـنو،جوزيف(1795-1868م)،الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي،تعريب إسماعيل العربي، دار الحداثة ، ط1، الجزائر 1984م،ص91.وسيشار إليه فيما بعد:رينو،الفتوحات الإسلامية.

(4)رينو،الفـتوحات الإسـلامية، ص 91؛مؤنس،فجر الأندلس، ص288؛محمود،منى حسن،المسـلمون فـي الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة،دار الفكر العربي، د.ط،القاهرة 1986م،ص32.وسيشار إليه فيما بعد: محمود،المسلمون في الأندلس.

(5)ابـن الآبار،الحلـة السيراء،ج2،ص354؛المقري،نفح الطيب،مج3،ص26؛أخبار مجموعة،ص90.

قـد انتهزوا فرصة الاضطراب الداخلي،والانقسامات الداخلية في صفوف المسلمين فاستولوا على الأراضي الشمالية وسيطروا على الكثير من القلاع والحصون ،حيث ضرب ببيين الثاني(القصير)بن شارل مارتل الحصار على مدينة أربونة، ولمدة أربع سنوات صمد المسلمون خلالها طويلاً،فلم يستطع الجيش الذي سيره يوسف الفهري إلى الشمال أن يحقق الغاية المنشودة بـل رد بخسارة فادحة وقتل قائده سليمان بن شهاب، ونجا الحصين بن الدجن العقيلي وفرسانه بصعوبة[1].

اتهمت بعض الروايات يوسف الفهري، بأنه عندما بعث ابن شهاب وابن الدجن لحمايـة الحدود الشمالية ،ووقف تمرد البشكنس كانت نيته التخلص منهما،فهذا ابن الآبـار يذكر أن يوسف الفهري:"أغزى طائفة من عسكره إلى البشكنس في ضعف وقلـة ،لـم يكـره عطبهم ، وبعث على خيلهم الحصين ،فهزمهم الروم وقتلوا ابن شـهاب"[2]،ويذكـر صـاحب أخبار مجموعة أن يوسف الفهري عندما قبض على القرشـيين الثلاثة[3] أراد قتلهم ،لكن ابن شهاب وابن الدجن عارضوا ذلك بشدة ،ثم أمـر يوسف الفهري بحبس هؤلاء القرشيين مؤقتاً،فأرسل حملة للقضاء على تمرد البشـكنس وجعـل علـيها ابن شهاب "فأحب إقصاءه وجعل على خيله ومقدمته ابن الدجـن وبعثهم في ضعف ولم يكره عطبهم"[4]،وعندما وصل خبر مقتل ابن شهاب وقـتل عامـة الـناس إلى يوسف الفهري، وأن فلهم مع ابن الدجن بسرقسطة ،كان يوسـف قد سرّه ذلك فدعا بالقرشيين، وقال لـه الصميل:" أما ابن شهاب فقد أراح الله منه فقدّم هؤلاء فأضرب أعناقهم،فأقام يوسف يومه مسروراً، ثم أمـر بقتلهم"[5].

وأعتقد أن هذه الروايات غير دقيقة للأسباب الآتية:

---

(1)ابـن الآبـار، الحلة السيراء،ج1،ص58؛رينو، الفتوحات الإسلامية، ص93-94؛ عنان، دولة الإسلام،ق1، ص136-137.

(2)ابن الآبار،الحلة السيراء،ج2،ص 355.

(3)أنظر: الدراسة، ص68.

(4)أخبار مجموعة،ص 89-90.

(5)أخبار مجموعة،ص 90.

1-أنهـــا تجعـــل الســـبب في إرسال الحملة التي قادها ابن شهاب وابن الدجن هو الـــتخلص من قادتها،وهذا يعني أن الصميل بن حاتم يخشى ابن شهاب ،لأن الصـــميل طلب من يوسف الفهري أن يقتل القرشيين الثلاثة، بعد أن أدرك الصميل ويوسف معاً خبر مقتل ابـــن شهاب ،وهذا لا يتناسب مع ما عرفناه عـــن الصميل من شجاعة وقوة[1]، فهو الذي قاد حرباً لم يشهد الإسلام مثلها مـــن قبل وهي موقعة شقندة130هـ /747م،فأباد من خلالها اليمنية،وبالتالي لا يعقل أن الصميل يخشى شخصاً هو ابن شهاب.

2- أنها تجعل يوسف الفهري قد أجّل مقتل القرشيين الثلاثة ،قبل إرساله هذه الحملة التـــي قادها ابن شهاب وابن الدجن ،فيوسف الفهري الذي قاد حملات قضى مـــن خلالها على مجمل الثورات الداخلية ،كثورة عمرو بن يزيد في اشبيلية ،وعـــروة بـــن الوليد في باجة،وعبد الرحمن العلقمي حاكم أربونة [2]، كان بإمكانـــه أيضـــاً القضـــاء علـــى ابن الدجن وابن شهاب،علماً بأن هناك من يستشيره ويعاونه ويساعده وهو الصميل بن حاتم.

أمـــا عـــن أسباب فشل هذه الحملات،فكما يبدو لي أن يوسف الفهري حاول التصدي للقوات النصرانية في الشمال،فنجده يرسل جيوشه للبشكنس وجليقية،لفرض هيـــبة المســـلمين،لكن هذه البعثات لم تدرك غايتها بل هزمت وقتل معظم أفرادها، وهـــرب مـــن نجا منهم[3]،وعلى ما يبدو أن هناك مجموعة من العوامل التي حالت دون نجاح هذه الحملات،وأوقفت حركة الجهاد في هذه الفترة،و أهم هذه العوامل:

1- لقـــد نـــتج عن وصول يوسف الفهري لولاية الأندلس المزيد من الصراع بين القيســـية واليمنـــية، وهذا ما ساهم في زيادة الثورات الداخلية، والتي انشغل يوسف الفهـــري في القضاء عليها وإخمادها[4]، كمـــا ويعتبر وجود الصميل

---

(1)ابن الآبار،الحلة السيراء،ج1،ص64.

(2)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص38؛المقري،نفح الطيب،مج3،ص 26.

(3)حتاملة،الأندلس،ص169.

(4)عنان،دولة الإسلام،ق1،ص134.

ابـن حـاتم إلـى جانب يوسف الفهري،سبباً في زيادة حجم الثورات والفتن الداخلية ،حتى أن الصميل كان قائداً للقيسية وخصماً شديداً لليمنية،فنجده يقود القيسية لحرب اليمنية في فترة مبكرة من ولاية يوسف الفهري كالتي تمثلت في موقعة شقندة سنة130هـ/747م.

2-فـي ظـل الصراع العربي داخل الأندلس،كانت المملكة النصرانية في الشمال تستعيد قوتها وتتحد،حتى أخرجوا المسلمين من جليقية وأربونة[1].

3-لـم تتوفر الرغبة لبعض قادة هذه الحملات، في الخروج للقتال،فابن شهاب وابن الدجن كانوا غير راغبين في قيادة الحملة التي أمر بإرسالها يوسف الفهري ، والسـبب عـدم رضـا هـؤلاء القادة بسياسة يوسف الفهري والصميل بن حاتم،حتى أنهم خرجوا كارهين في حملة إنقاذ الصميل بن حاتم وهو محاصر فـي سرقسـطة[2]،ففي هذه الفترة 138هـ/756م كان ابن شهاب وابن الدجن يخططان ويمهدان الطريق لقدوم عبد الرحمن بن معاوية الأموي، وهذا دليل علـى عدم رضاهما بولاية يوسف الفهري الذي لم تصله أخبار عبد الرحمن ابن معاوية،فكيف ينقادا لأوامره ويخرجا للقتال راغبين؟.

4-عندما علم يوسف بخبر قدوم عبد الرحمن سنة 138هـ/756م أخذ يستعد بمساعدة الصميل لمقاومة هذا الخطر[3]،تاركين جهاد الأعداء في الشمال.

5-مـرّت الأندلـس بظروف اقتصادية صعبة،فذكر صاحب أخبار مجموعة[4] :أن الجوع والقحط عمّا بلاد الأندلس بعد موقعة شقندة130هـ/747م، وهذا ما أثّر

---

(1)مؤنس، فجر الأندلس، ص326.

(2)أخـبار مجموعة، ص85؛ انظر :ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص45؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج5،ص492؛الدراسة،ص85-86.

(3)أخـبار مجموعـة،ص82؛مؤنس،فجـر الأندلس،ص348؛العمايرة،مراحل سقوط الثغور الأندلسية،ص55.

(4)ابـن خلدون، تاريخ، مج4، ص155؛ أخبار مجموعة، ص90؛ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص37 حتاملة، الأندلس، ص169؛ باشا،الأندلس الذاهبة،ج1،ص75.

علـــى الوجـــود الإسلامي في الشمال،وزاد من ضعف المسلمين في الأندلس عامـــة حـــتى خرجوا منها إلى طنجة مرتحلين،ومن المؤكد أنّ هذا القحط والجـــوع الـــذي أصــــاب البلاد،قد سبب الكثير من المتاعب وانتشار الفقر وبالتالي هدوء حركة الجهاد إن لم يكن توقفها في هذه الفترة،ثم إنَّ هذا القحط حـــتماً هو عقاب من الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى:"وضَرَبَ اللهُ مثلاً قريةً كانت ءامِنةً مطمئنةً يأتيها رزقُها رغداً من كلِ مكان فكفرت بأنعم اللهِ فأذاقها اللهُ لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعون"[1].

3.3موقف الدولتين الأموية والعباسية من ولاية الأندلس

كانت الأندلس أثناء ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري (129-138هـ/747-756م)معاصرة للدولة الأموية والعباسية في المشرق العربي،وقد طرأت على هاتين الدولتين مجموعة من التغيرات السياسية،والتي تمثلت في نهاية الدولة الأموية وولادة الدولة العباسية.وفيما يلي توضيح لموقف الدولتين من ولاية الأندلس.

أ-موقف الدولة الأموية :

ذكـــرت بعـــض المصادر العربية أن الأندلس كانت تابعة للخلافة الأموية[2]. وربما تكون تبعية الأندلس للخلافة الأموية خلال الفترة الممتدة مابين(129-132هـ/ 747-750م) اسمية وليست رسمية وذلك للأسباب الآتية:

1-كانـــت الدولـــة الأموية تعاني من الانقسامات والثورات الداخلية[3]،فقد ذكر ابن عـــذاري أحـــوال بني أمية فقال:"فصار أمر الشام وملوكه متغير الحال،فقتل يزيد الوليد[4]".وعندما اعتلى مروان بن محمد-آخر خلفاء بني أمية-الخلافة انشغل بالقضاء عـــلى الثورات الداخلية وتثبيت الأمـــر لنفسه[5] وكانت هذه

(1)النحل، آية 112.

(2)الأصطخري،المسالك والممالك،ص35؛البالوي،قلائد الذهب،ص142.

(3)ابن كثير ،البداية والنهاية،ج10،ص378-379.

(4)ابن عذاري ،البيان المغرب،ج2،ص35.

(5)الطبري،تاريخ ،مج 4،ص235-260.

3-تقـــع بـــلاد الأندلس في أقصى الجهة الغربية من بلاد الإسلام ،وبالتالي فالمسافة بعـــيدة عـــن مركـــز الخلافة الأموية الواقعة في دمشق[1]،وربما تكون هذه المسافة البعيدة سبباً في ضعف متابعة خلفاء بني أمية للأوضاع السياسية في الأندلس في الفترة ما بين129-132هـ/747-750).

وبالتالي كان يوسف الفهري قد وصل لولاية الأندلس سنة 129هــــ/747م دون موافقة،أو مصادقة من قبل الخليفة الأموي وهو في هذه الفترة مروان بن محمد(127 هــ-132هــ/745-750م)،بل كان يوسفِ الفهري يزاول سلطة شبة مستقلة.[2]

ب-موقف الدولة العباسية

كانـــت الأندلـــس أثـــناء ولاية يوسف الفهري (129-138هـ/747-756م) قد عاصرت قيام الدولة العباسية والتي تمثلت بخلافة كل من :

أ-أبو العباس السفاح[3](132هــ-136هــ/750-754م).

== زيـــن الدين عمر بن مظفّر،(ت:749هـ/1348م)، تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحـــيدرية،ط2،الـــنجف 1999م،ج1،ص258-259/ 292-294. وسيشـــار إليه فيما بعد:ابن الوردي،تاريخ؛ السيوطي،تاريخ الخلفاء،تحقيق جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث،ط1، القاهرة 1999م،ص204.وسيشار إليه فيما بعد: السيوطي، تاريخ الخلفاء.

(1)S.M.IMAMUDDIN،M.A0ECONOMIC HISTORYOF SPAIN (Under the umayyads711-1031 A0c)،Published by :Asiatic Society Of Pakistan ،Printed by A.k Ahmad Ali Zeeco Press Dacca ،1963،Page 4130Which I will Refere to later:S.M.Imamuddin ،Economic History Of Spain.

(2)عنان،دولة الإسلام،ق1،ص681.

(3)أبو العباس السفاح:هو عبد الله بن محمد بن الإمام بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو العباس القرشي الهاشمي،أمير المؤمنيـــن،وهو أول خلفاء بني العباس.انظر:المسعودي ،أبو الحسنعلي بـــن الحسين ابـــن علـــي (ت:354هـــــ/965م)، التنبيه والإشراف ،إشراف لجنة تحقيق التراث ، منشورات دار ومتكتبة الهلال ،د.ط، بيروت 1981م، ص308 .(وسيشار إليه فيما==

ب-أبو جعفر المنصور[1](136-158هـ/754-775م).

اتفقـت بعض الروايات أن الأندلس لم تتبع الدولة العباسية[2] خلال الفترة ما بين(132-138هـ/747-756م)،وهذا يرجع إلى ما يلي:

1-انشـغال الخليفة أبو العباس بملاحقة بني أمية بعد موقعة الزاب(132هـ/750م)، حيث أمر العباسيين بقتلهم أينما كانوا،حتى أنهم قتلوا النساء والصبيان،ولذلك تفرق بنو أمية في أطراف البلاد للنجاة بأرواحهم من بطش العباسيين بهم،ثم عمـد العباسيون إلى التظاهر بالأسف والندم على ما اقترفوه من آثام بأمراء البيـت الأمـوي وما جرى لهم في موقعة الزاب،فبسط العباسيون الأمانات للأمويـين حـتى يجمعونهـم، ووزعوا المنشورات التي تنادي بـأن أمير المؤمنيـن قـد نـدم على ما كان في بنـي أمية، وأمر برفع السيف عـن الأمويين، فأستأمن أبـو العباس منهم بضعاً ثم أمر بقتلهم[3]،

بعد:المسعودي،التنبيه والإشراف)؛الذهبي،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عـثمان، (ت:784هـ/1347م)،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام(121-140 هـــ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي،ط2، بيروت 1991م، ص 466.(وسيشار إليه فيما بعد:الذهبي،تاريخ الإسلام)؛ابن كثير ، البداية والنهاية،ج10، ص415.

(1)أبو جعفر المنصور:هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلـب بـن هاشـم أبـو جعفر المنصور،استلم الخلافة بعد الخليفة أبو العباس. انظر:المسعودي،التنبيه والإشراف،ص311؛ابن كثير ،البداية والنهاية،ج10،ص479، أبو الفداء،تاريخ، ج1، ص296.

(2)الأصطخري،المسـالك والممـالك،ص35؛ الـبالوي،قلائد الذهب ،ص142؛ ابن كثير،الـبداية والـنهاية،ج10،ص409؛شلبي،أحمد،موسـوعة الـتاريخ والحضـارة الإسلامية،مكتبة النهضة المصرية،ط6، القاهرة 1983م،ج4،ص30-31.وسيشار إليه فيما بعد:شلبي،موسوعة التاريخ .

(3)أخبار مجموعة،ص76-77.

وعلـــى هـــذا النحو أخذ العباسيون كلما أتاهم أموي قربوه ،وأعطوه العهود والمواثيق، قاموا بقتله .

2- ومن أجل تثبيت أركان الدولة العباسية أيضاً انشغل الخليفة أبو جعفر المنصور في القضاء على الفئات المعارضة لهذه الدولة الجديدة ،فمن بين الأمور التي انشـــغل بها قتله لأبي مسلم الخراساني [1]سنة(137هـ/763م)، ونتيجة لذلك قامـــت ثـــورة "ســـنباذ" المجوسي ويسمى فيروز أصبهذ والذي تغلب على قومـــس وأصـــبهان ،فجمع الخليفة جيشاً كبيراً بلغ نحو عشرة آلاف فارس للقضاء على هذه الثورة ،ومن ثم وجه الخليفة جيشه لقمع ثورة أخرى قام بها الخـــوارج ســـنة (138هـــ/755م) [2]، ودخـــل العباسيون في صراع مع خصومهم من الخوارج والشيعة [3].

وبالتالي كان العباسيون بحاجة إلى تثبيت أركان دولتهم الجديدة،وتعزيز قوتها وبسط نفوذها وسلطتها ،فقد ظهر للعباسيين فئات وأحزاب مخالفة تنادي بالثورة على العباسيين، بل وتطالب بالخلافة والسلطة،ولفترة طويلة من العصر العباسي الأول ،و بالتالـــي لم يكن للعباسيين عملياً وواقعياً الوقت اللازم للنظر في متابعة شؤون الحكم بالأندلس خلال هذه الفترة(129-138هـ/747-755م).

4.3دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس وصراعه مع يوسف الفهري

أ-عبد الرحمن وفراره من الشام إلى المغرب:

انتقلت الخلافة من الأمويين إلى العباسيين ،على أثر نجاح الثورة العباسية،حيث

---

(1)أبو مسلم الخراساني:هو عبد الرحمن بن مسلم،صاحب دعوة بني العباس،قال ابن جرير:أن أبا مسلم قتل في حروبه من أجل دولة بني العباس ستمائة ألف صبراً،وقال الخطيب البغدادي:كان أبو مسلم صاحب الدولة العباسية،وصاحب رأي وعقل وتدبير وحزم،قـــتله أبـــو جعفـــر المنصـــور بعد استمالته لــــه وغدره.انظر التفاصيل:ابن كثير،البداية والنهاية،ج10،ص424-431؛ابن الوردي،تاريخ،ج1،ص263.

(2)ابن كثير ،البداية والنهاية،ج10،ص431.

(3)ابن عذاري، البيان المغرب،ج2،ص40.

انتهى أمر بني أمية بالمشرق سنة 132هـ/750م ،وانساق العباسيون يشرعون سيوفهم في رقاب الأمويين، فلحقوهم في كل مكان، واضطهدوا أفراد البيت الأموي، وقد ذكرت المصادر العربية روايات ربما فيها مبالغة،نذكر بعضها لإثبات هروب بني أمية من مطاردة العباسيين،فمنها على سبيل المثال، أن الخليفة العباسي أمر بقطع يدي أبان بن معاوية بن هشام الأموي ورجليه ،كما ذبحوا عبدة بنت هشام بن عبد الملك،وربما لأنها رفضت أن تدلهم على المكان الذي اخفت به مجوهراتها، ونتيجة لهذه المعاملة ولمطاردة العباسيين للأمويين هرب وجوه بني أمية،"فتغيبوا عند العرب وافناء الناس،فما وجدت سيوف العباسيين إلى رقابهم سبيلا" "وكانوا يسمعون في الرواية أن مستراحهم بالمغرب،فنزع أكثرهم إلى إفريقية"(1) وكان والي شمال إفريقية عندئذٍ"عبد الرحمن بن حبيب الفهري"الذي تجاوب مع هذه النزعة واستقبل بالترحاب من لجأ إلى بلده من الأمويين، فأعطاهم الأمان،وقدم لهم أسباب الإقامة والعيش(2).

وكان من النفر القليل الذي نجأ من سيوف العباسيين ،من أمراء بني أمية ، أمير شاب عرف بالطموح والجرأة واتصف بالإقدام والشجاعة وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، الذي تخلص من موت مؤكد على أيدي عمال العباسيين بطريقة فذة اعتمدت على الذكاء والدهاء،وروح المغامرة ايضاً،وقد ترك لنا قصة نجاته وهروبه من المشرق،في رواية شيقة نقلتها إلينا الروايات العربية بأسلوب قصصي وافي التفاصيل (3)،فقد ذكرت أنه عندما اشتدت وطأة الدولة العباسية على الأحياء من الأمويين، لجأ عبد الرحمن بن معاوية إلى دار يملكها في قرية على ضفة نهر الفرات فراراً من ملاحقيه ،وبانتظار ظروف افضل تسمح له بالهروب بعيداً ،فبعد

---

(1)أخبار مجموعة،ص76-77؛أبو الفداء، تاريخ،ج1، ص293-294.

(2)أخبار مجموعة،ص77؛البلاذري،فتوح البلدان،ص229.

(3) انظر:أخبار مجموعة، ص78؛ ابن الخطيب،أعمال الأعلام،ص7-8؛ المقري، نفح الطيب،مج3،ص27-29؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،مج5،ص493-494؛ابن خلدون،تاريخ،مج4،ص154-155؛حسن،تاريخ الإسلام،ج2،ص229-230.

أن علم بمقتل أخيه يحيى على أيـدي العباسيين ، أوصى أختيه،أم الأصبغ، وأمـة الرحمن ،أن يتبعانه مع ولده سليمان ،إلى قرية أخرى عينها لهم ،ولم يفكر في البقاء طويلاً في مخبئه بعد أن لحقت به أسرته ،بل فكر بالتوجه نحو المغرب[1]،لكن عمال العباسيين كشفوا أمره وعرفوا مكان وجوده،فحاصروه من كل مكان، فأسرع لضيق الوقت بأخذ بعض المال، وأوصى أختيه بأن يلحق خادمه بدر إذا سلم من مطارديه ، وكان العباسيون قد سدوا عليه كل منافذ الهرب ،فلم يبقى أمامه وأمام أخيه الأصغر الـذي رافقــه سوى إلقاء نفسيهما في نهر الفرات ،فعبره قبل لحظات من وصولهم إليه،لكــن أخـاه عجـز عن قطعه،فرجع مصدقاً وعد الجنود لهما بالأمان إن عادا إليهم،لكــن هـؤلاء قـتلوه أمــام عينـي أخيه عبد الرحمن في الضفة الأخرى من النهر ،ومــن هـناك مضى عبد الرحمن متخفياً ،وبعد صعوبات بالغة حلّ في كورة فلسـطين [2] حيـث التحق به مولاه بدراً ومولى أخته،سالماً"أبو شجاع"،وهذا الأخير يحـتمل أنــه مــن أصل بيزنطي،جيد المعرفة والإطلاع على مناطق شمال إفريقيا والأندلس،لأنه قد دخلها مع موسى بن نصير أو بعده،وتوجه عبد الرحمن ومن معه نحـو الـبلاد المصرية حيث الولاء للأمويين كان ما يزال حياً،ثم خرج من مصر قاصــداً القيروان عاصمة الشمال الإفريقي،ولم تكن سلطة العباسيين قد اعترف بها بعد،وكان العديد من اللاجئين من أفراد البيت الأموي قد ذهبوا إلى هذا المكان،الذي لـم يكن ملائماً لعبد الرحمن الداخل،لأنه كان يحكمه عبد الرحمن بن حبيب الفهري، الـذي تغير موقفه ممن عنده من الأمويين،خاصة بعد أن تكاثروا في بلاده وحوله، فبات يخشى منهم على سلطانه، وربما ما عاد يجد وجودهم في ولايته مناسباً[3] في

---

(1)ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص8.

(2)أخبار مجموعة،ص79؛حتي،فليب وأدورد جرجي وجبرائيل جبور،تاريخ العرب (مطول)،د.ن، ط4، 1965، ج2،ص601.وسيشار إليه فيما بعد:حتي،تاريخ العرب.

(3)ابــن عذاري،البـيان المغــرب،ج2،ص40؛حتــي،تاريخ العرب،ج2، ص601؛ نعنعي،عــبد المجـيد،تاريخ الدولة الأموية في الأندلس،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،د.ط،بيروت د.ت،ص138.وسيشار إليه :نعنعي،تاريخ الدولة الأموية.

وقت منـــح فيه لإعلان تأييده للعباسيين في الظاهر على الأقل،لأنه يتطلع إلى تحويل إفريقية إلى إمارة وراثية لأولاده،ثم أن البربر ما نسوا معاناتهم من ظلم بعض عمال الأمويين ،وبالتالي لم يجد عبد الرحمن بن معاوية ومن معه أماناً في هذه المنطقة ، فهـــرب مـــن والـــي إفريقية ، فتنقل متخفياً بين أراضي البربر فحلّ ومرافقاه قبيلة مكناسة ،ثم خرج من عندهم ،ونـــزل ساحل الأندلس في مدينة "طنجة" التي يفصلها عن الأندلس بحر الزقاق،فأقام عند أخواله(عشيرة أمه) من قبيلة نفزة البربرية(1).

ربمـــا يكـــون ســـبب قدوم عبد الرحمن إلى مدينة طنجة يعود إلى طلبه حِماية يجدهـــا عـــند أخوالـــه ،وقد نجح في الحصول على حماية قبائل بربرية أخرى في المنطقة،مثل زناتة ومغيلة، وعمل أحد زعماء القبيلة الأخيرة، وهو أبو قرّة ، أو ابن قرّة "وانسوس المغيلي"، بالتستر عليه أثناء إقامته الأخيرة في شمال إفريقيا (2).

ب-تفكير عبد الرحمن بدخول الأندلس :

ذكـــرت بعض المصادر العربية روايات ربما كان معظمها موضوعاً،منها ما ذكره عبد الرحمن أن حكيم بن أبى مسلمة بن عبد الملك،عندما رآه لأول مرة ،قبّله وبكـــى بكـــاءً شـــديداً وأوصى به جده هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين قائلاً:"أنه صـــاحب بنـــي أمية ومحي دولتهم بعد زولها" (3)،وكان عبد الرحمن يقول:"فلم أزل أعرف لي مزيّة من جدي بعد"(4).

وذكـــر ابـــن عذاري(5): أن عبد الرحمن لما هرب من مطاردة العباسيين كان "همـــه الأندلس لـــما كان في نفسه من أمرها ومن الأثر المروي عنه فيها"، ويؤكد

---

(1)أخـــبار مجموعـــة،ص78؛ ابن الخطيب، الإحاطة ،مج4، ص444؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج2، ص40-41؛ابن خلدون،تاريخ، مج4، ص155؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج5،ص493؛شلبي،موسوعة التاريخ الإسلامي،ج4،ص31.

(2)ابن خلدون،تاريخ،مج4، ص155؛ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص44.

(3)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص41؛ابن الخطيب،أعمال الأعلام،ص7.

(4)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص 41.

(5)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص39.

عــبد الرحمـــن أن جـــده هشام الذي كان يكفله باعتبار أن والده توفي وتركه طفلاً صغيراً مع اخوته كان يؤثره ويتعهده بالصلة [1].

وعلـــى مـــا يبدو أن تفكير عبد الرحمن في ولاية الأندلس ابتدأ عندما كان مقيماً بالقــرب مـــن ساحل طنجة عند قبيلة مغيلة البربرية،وكان بصفته أحد أفراد البيت الأمــوي ،يعرف ما يجري في الأندلس ،ولا بدّ أن يكون سالماً،مولى أخته، قد حدثه أيضــاً عـــن هـــذا البلد وخيراته الكثيرة، وعن دروبه ومسالكه، وزوده بالكثير من قصــص أهلــه ذلك أنه "دخلها مع ابن نصير أو بعده وغزا صوائف الأندلس" [2]، وكذلك كانت أخبار الأندلس التي تتوارد إلى الشمال الإفريقي عن اضطراب الأحوال فـــي الأندلس،وتـــنازع القـــبائل العربية فيها،كانت تصله أيضاً،ومن الممكن أن بُعد الأندلس عن العباسيين شجع عبد الرحمن على دخولها[3].

هـــذا وقـــد ازداد طمع عبد الرحمن بالأندلس عندما علم بأوضاعها المضطربة أثـــناء إقامته على ساحل طنجة ،وكذلك ساعده وجود جماعة من موالي الأمويين لا بأس بها تعيش في ناحيتي البيرة وجيان ،وأن أحوال العرب في الأندلس عامة ليست آمنة. ومما ساعده أيضاً هو عدم رضى اليمنيين عن ولاية يوسف الفهري وصاحبه الصميل،وأنّ الأمويين بحاجة لشخصية قوية تجمع أمرهم،وتقوي صفوفهم [4].

1.الاتصال بموالي[5]بني أمية وموقف زعمائها من دعوة عبد الرحمن:

---

(1)أخبار مجموعة ،ص78؛ابن الخطيب،أعمال الأعلام،ص7.

(2)أخبار مجموعة، ص80.

(3)شلبي،التاريخ الإسلامي،ج4،ص31.

(4)مؤنـــس، فجـــر الأندلس، ص665؛ نعنعي،تاريخ الدولة الأموية،ص140؛ شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج4،ص31-32.

(5)الموالـــي:مفـــردها مولى،والمولـــى يكون على ستة أوجه:ابن العم والأخ والابن والعصـــبيات كلهم، والمولى الناصر و الحليف،والولي الذي يلي عليك أمورك .ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري،(ت:711هـ/==

الحاشية المقربة إلى الأمير، وكذلك تدعيماً لوجــود الأموية في الأندلس وحماية لمصالح مواليها[1].

2-الاتصال بالقيسية،وموقف زعيمها "الصميل بن حاتم"من دعوة عبد الرحمن:

تشـــاور الـــزعماء المــوالـــي الـــثلاثة وهـــم (عبـــيد الله بن عثمان،عبد الله بن خالد،ويوسف بن بخت)،في الجهة التي يمكن الاتصال بــها، لدعم خطة عبد الرحمن فقــرروا الاتصـــال بزعيم القيسية، وصاحب السلطـــة الحقيقية في الأندلس في ذلك الـــوقت ، وهـــو صديقهم وحليفهم"الصميل بن حاتم"،لكن عبد الله بن خالد كان يشك في مساعدة الصميل في تحقيق طلب عبد الرحمن بن معاوية،لأن أي تغيير في نظام الحكـــم ســـيجرد الصـــميل من نفوذه وسلطته في الأندلس،ولهذا السبب قرروا من الأفضل إخفاء غرض عبد الرحمن الحقيقي في طلب السلطة،والاكتفاء بطلب الحماية والأمان لعبد الرحمن،واستعادة أملاك الخمس التي تعود لجده هشام بن عبد الملك[2].

كـــان الصميل في هذه الأثناء مُحاصَراً في سرقسطة من قبل عناصر مختلفة مـــن المتمرديـــن بقـــيادة عامر العبدري وابنه وهب والزهري ،فضاق الأمر على الصميل،فطلب نجدة القبائل، وخاصة من كورتي قنسرين والبيرة، ولكي يقدم الموالي يـــداً للصـــميل ،ساهموا في حملة الإنقاذ التي خرجت لفك حصار الصميل،وأن هذه المساهمة ستتيح لزعماء الموالي الفرصة لمقابلة الصميل وعرض أمر عبد الرحمن ابـــن معاويـــة عليه،فســـاروا بثلاثيـــن فارساً يصحبهم بـــدر مولى عبد الرحمن ، وتمـــكنـــت حملـــة الإنقاذ التي خرجت للصميل بن حاتم في سرقسطة من الانتصار على المتمردين،وكان هؤلاء الموالي قد نالوا إعجاب الصميل، وكانوا من الذين نالوا مكافأة الصميل المجزية، فتقدم أبو عثمان(بصفته كبير موالي بني أمية في الاندلس) على الصميل ،وقال لـــه: "تقدّم عليّ لا رضى ولا سخط إلا برأيك فإن ترضى أمراً رضيناه وإنْ تسخطه سخطناه"، ويبدو أنه قد أخبره بأمر عبد الرحمن بـــن معاوية

---

(1)ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص46؛ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص44.

(2)المقري،نفح الطيب،مج3،ص 30.

لكنه لم يجبهم في أول الأمر ،بـل وعدهم بالتفكير في ذلك بقوله: "دعـوني اروي وأنظـر"[1]،ورجع الموالي إلى مناطق سكناهم (البيرة وجيان)، لحين قدوم الفرصة لمعرفة ما فكّر به الصميل بأمر عبد الرحمن بن معاوية.

ربمـا يكـون قدوم هؤلاء الموالي على زعيم القيسية "الصميل بن حاتم" تعود لثقـتهم فـيه، ويؤكد على ذلك المقري بقوله :"وكانا على ثقة في أنه لا يُظهر على سرّهما أحداً لمروءته وأنَفَته "[2] ، وربما كان الصميل يستميلهم بعض الوقت لدراسة الأمـر مع الوالي، وقـد اطمأن هؤلاء الموالي الثلاثة إلى أقواله وأظهروا الرغبة فـي الذهـاب مـع اتـباعهم في حملة يعدها يوسف الفهري للقضاء على ثورة المتمردين في سرقسطة سنة (137هـ/755م) ، لكن الموالي كانت تشغلهم في الحقيقة قضية عبد الرحمن قبل أي شيء آخر[3].

وعـندما قرر يوسف إخضاع المتمردين في سرقسطة،أمر باستدعاء الأجناد ، وأرسـل في طلب كل من أبي عثمان وعبد الله بن خالد لحث موالي بني أمية على الالـتحاق بجيشـه المتوجه لمحاربة المتمردين ،ولم يكن الموالي- بطبيعة الحال- راغبيـن بمسـاعدة يوسـف ، وحيـن اجتمع بهما اخبراه بعدم قدرة الموالي على المسـاهمة في الحملة ،بسبب المجاعة المستمرة بالبلاد،ثم أنَّ أولئك الذين بقيت فيهم بعض القوة ساهموا في حملة الإنقاذ التي خلصت الصميل من الحصار في سرقسطة [4]،فعـرض يوسـف عليهم مبلغ ألف دينار لتشجيع اتباعهم وتقويتهم، فرفضا تسلم المـبلغ وعـداه قلـيلاً بالنسبة لخمسمائة رجل، وبعد مغادرتهما مجلس يوسف فكرا بالمـال وإمكانـية اسـتخدامه والانتفاع به في قضيتهم الخاصة، فرجعا إليه، وأخذا الألف دينار، ثم وزعا قسماً على اتباعهما دون مطالبتهم بالالتحاق بـجيش يوسف،

---

(1)أخبار مجموعة،ص86-87 ؛ابن عذاري،البيان المغرب،ج2، ص41.

(2)المقري، نفح الطيب،مج3،ص30.

(3)أخبار مجموعة،ص87.

(4)أخبار مجموعة،ص87؛ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص46.

واحتفظا بالباقي لوقت الحاجة [1].

تحــرك يوسف الفهري على الفور بعسكره،وتأخر الصميل ،فاستغل أبو عثمان ذلــك وطلب مقابلته على انفراد،وكان معه عبد الله بن خالد، فذكراه بطلبهم السابق وسألاه إن كــان حدد موقفه من صاحبهم، فأخبرهما أنه لم ينس أمره، وأنه فكر فيه ملياً وكتم أمره ولم يشاور فيه أحد وسألهما أن يكتبا إليه ويدعوانه لدخول الأندلس ، وأضــاف بأنه سيشير على يوسف بأن يزوجه ابنته، فإن فعل ذلك فله الشكر ،وإن كــره "هــان عليــنا أن نفرغ صلعته بسيوفنا" [2]،"وصرفنا الأمر إليه"[3]-يعني عبد الرحمن- ،ففرح الموالي بهذا الجواب،وخرجا بتأييد أهم شخصية بالأندلس في ذلك الوقت.

وعلــى الــرغم من موافقة الصميل على تأييد عبد الرحمن،وأنه فكّر بأمر عبد الرحمــن ، فيــبدو أن الصميل لم يكن متأكداً تماماً من موقفه إزاء عبد الرحمن بن معاويــة،ويؤكد ذلــك أنــه حيــنما أعطى جوابه الإيجابي لأبى عثمان وعبد الله بن خالد،كــان قد استيقظ وهو كاره ليوسف الفهري،ولم يكن يعني تماماً أثر دخول عبد الرحمــن الأندلــس[4]،ويــبدو أن أبا عثمان وعبد الله بن خالد لم يكشفا مطالب عبد الرحمــن الحقيقية كما اتفقا عليه سابقاً،أو أن الصميل كان قد شرب خمراً،لأنها من عوائده،وبالتالــي لم يعِ ما يقول،فعندما استيقظ وفكّر بالأمر بعد مغادرة أبي عثمان وعــبد الله بن خالد،أدرك خطورة تولي أمير أموي الإمارة، وتبين لــه أنه سيكون أول مــن يفقــد نفوذه في الأندلس،وبالتالي لحق بزعيمي الموالي، وأخبرهم بأنه،لا يمكــن تأييده لعبد الرحمن،لأنه-يعني عبد الرحمن-"من نسل قوم لو بال أحدهم في هذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بوله"[5]،واختتم حديثه معهم بقوله إذا ما أصرّ عبد

---

(1)أخبار مجموعة،ص87.

(2)أخبار مجموعة،ص88؛المقري،نفح الطيب،مج3، ص30.

(3)المقري،نفح الطيب،مج3،ص30.

(4)أخبار مجموعة،ص88.

(5)ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس،ص46؛ أخبار مجموعة،ص88.

الرحمـــن بن معاوية على طلب السلطان ومنازعة الوالي فإن"أول سيف سَيُسلّ على ابـــن معاويـــة سيكون سيفه"[1]،وقال لهما أيضاً:"إنكما لا يسعكما إلا النظر لــه"[2]، وتحـــدث عـــن يوسف الفهري فقال:"وهذا رجل نتحكم عليه ونميل على جوانبه ولا يسعنا بدلاً منه"[3]، وأضاف وأن لــه بيعة في أعناقنا تجعل من الواجب على الجميع طاعته،لكـــنه مـــع ذلـــك علـــى اســـتعداد لأعانته في أمره إن طلب غير السلطان والولاية،وإنـــه سيضـــمن لــــه مواساة يوسف وإكرامه لـــه وتزويجه من ابنته[4]. وبهذا"انقطع رجاء بني أمية من مضر وربيعة" [5].

3-الاتصال بزعماء القبائل اليمنية ونجاح دعوة عبد الرحمن في الأندلس:

بعـــد أن فقـــد زعـــيما الموالـــي كل أمل في مساعدة الصميل والقبائل القيسية الخاضـــعة لنفوذه،التفـــتوا إلـــى اليمنيين الذين كانوا يضمون العديد من المستقرين الأوائل، ومعظم رجال الأجناد في أشبيلية وريّة وشذونة(حمص والأردن وفلسطين)، فبدأوا في طريق عودتهم بدعوة كل من يوثق به من الشخصيات المتنفذة من زعماء تلـــك القبائل ، وكانت استجابتهم مشجعة جداً[6]،وقد نجحا بذلك نجاحاً كبيراً ،فيقول بـــدر:"لـــم نمـــر بيماني لـــه بال وثقنا به إلا عرضنا عليه أمر ابن معاوية ودعوناه إليه،فألفيـــنا قوماً قد وغرت صدورهم يتمنون شيئاً يجدون به سبيلا إلى طلب ثأرهم ورغبوا بعقد بني أمية"[7].

ويبدو أنه حدث تحالف جمع بين اليمنيين وموالي الأمويين،ويعود السبب في هذا التحالف إلى أن اليمنيين كـــانوا قد انهزموا في كثير من المواقع على أيدي القيسية ،

---

(1)المقري،نفح الطيب،مج3،ص31؛أخبار مجموعة،ص88.

(2)أخبار مجموعة ،ص88.

(3)المقري،نفح الطيب،مج3،ص30.

(4)أخبار مجموعة،ص88.

(5)أخبار مجموعة،ص88.

(6)ابن الخطيب،الإحاطة،مج4،ص444-445؛المقري،نفح الطيب،مج3،ص31.

(7)أخبار مجموعة،ص89؛المقري،نفح الطيب،مج3،ص31.

وخاصة أيام يوسف الفهري والصميل بن حاتم،كموقعة شقندة(130هـ/748م)، وبالتالي فهم على استعداد للتحالف مع أي طرف في سبيل التخلص من هيمنة يوسف الفهري وصاحبه الصميل بن حاتم[1]،وانضمت إلى موالي الأمويين الكثير من جماعات البلديين الأوائل،والبربر،وحتى القيسيين من جندي دمشق وقنسرين، الذين نفروا من سياسة الصميل إلى تأييد دخول عبد الرحمن إلى الأندلس[2].

بعد أن حصل عبد الرحمن على دعم وتأييد القبائل اليمنية،استعد موالي بني أمية للإعداد لدخول عبد الرحمن إلى الأندلس،مستغلين انشغال يوسف والصميل في حملتهما على المتمردين في سرقسطة[3]،فابتاعا مركباً ووجها فيه أحد عشر رجلاً مع بدر الرسول، وكان عبد الرحمن في انتظارهم،فعندما وصل الوفد شمال إفريقيا، قدمهم بدر على سيده، ثم أخبروه عن نجاحهم في الأندلس،فأراد عبد الرحمن العبور،فلما همَّ بالدخول إلى المركب،أقبل البربر فتعرضوا دونه،وربما يريدوا أموالاً بدل إقامته عندهم ،ففرقت عليهم الأموال،ومن الجدير بالذكر أن هذه الأموال كانت من بقية المبلغ الذي أخذه زعماء الموالي من يوسف الفهري، لكي يرافقوه في حملته على المتمردين في سرقسطة،وقد شاءت الأقدار أن يُستعمل هذا المال في نصرة زعيم آخر ينازع يوسف ولاية الأندلس.

فعبر عبد الرحمن المضيق،ونزل عند مرفأ أندلسي صغير يسمى المنكب،حيث كان في استقباله زعيم موالي بني أمية"أبو عثمان"،ومن هذا المرفأ انتقل عبد الرحمن إلى قرية طُرّش حيث نزل في منزل أبي عثمان،سنة 138هـ/756م[4]، واتخذ من هذه القرية مقراً له يستقبل فيه المؤيدين، ويؤكد على ذلك المقري[5]فيقول :"وانثال

---

(1)نعنعي،تاريخ الدولة الأموية، ص142.

(2)ابن عذاري، البيان المغرب،ج2،ص 44؛المقري، نفح الطيب، مج3، ص31.

(3)المقري،نفح الطيب،مج3،ص31.

(4)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص44-45؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج5، ص494؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ص362.

(5)المقري،نفح الطيب،مج3،ص32.

علـــيه الناس انثيالا،فقوي أمره"،وكذلك أيدته جماعات اليمنيين من أهل أجناد الأردن وفلسطين وحمص، وأيضاً انضم إليه عامل كورة ريّة ويمنية قرطبة [1].

4-دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس:

أ-مرحلة الاستعداد(وتمتد من ربيع الأول-رمضان 138هـ/أيلول 755م-شباط756 م) ودامـــت هـــذه الفترة ستة أشهر،وكانت فترة استعداد لعبد الرحمن وأنصاره من جهة، وليوسف والصميل وأنصارهما من جهة ثانية،تخللها مفاوضات بين الجانبين.

عندما دخل عبد الرحمن إلى الأندلس،كان الصميل ويوسف قد قضيا على تمرد سرقسطة،وتخلصامن بعض الزعماء المنافسين لهما،فنفر الناس من يوسف،حتى قيل لـــه:"قـــد قتلت ابن شهاب،وقتلت عامراً والزهري،هي والله لك ولولدك"[2]،وفي تلك الأثناء وصلت ليوسف أنباء نزول عبد الرحمن بساحل البيرة عند أبي عثمان وكبار موالي بني أمية[3].

لقـــد أدرك يوســـف خطورة دخـــول عبد الرحمن إلى الأندلس،فقد أشـــارت الـــروايات أن يوســـف كتـــب إلى عامله على البيرة"عبد الله بن سعد بن عمار بن ياســـر"،يأمـــره بمحاربـــة عبد الرحمن والقبض عليه[4]،وقد أجابه عبد الله بأنه من الصعب اتخاذ أي إجراء ضد عبد الرحمن الذي كان محمياً بعدد كبير من المؤيدين، فعلـــم موالي بني أمية بهذه المراسلات،وعلى الفور أخفوا عبد الرحمن في المناطق الجبلـــية المجاورة،وحـــاولوا تضليل يوسف الفهري، فكتبوا إليه بأن عبد الرحمن لم يعـــبر إلـــى الأندلس طمعاً بالملك،بل جـــاء يطلب الثراء والأمان بين مواليه[5]،فقد قيل:"الرجل-عبد الرحمن-لم يظهر لطلب سلطانك وإنّما جاء يطلب معاشاً وأمناً"[6].

---

(1)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص45.

(2)أخبار مجموعة، ص90؛ البالوي، قلائد الذهب، ص142.

(3)المقري،نفح الطيب،مج3،ص32.

(4)المقري،نفح الطيب،مج 3، ص61.

(5)ابن عذاري، البيان المغرب،ج2،ص45.

(6)أخبار مجموعة،ص91.

قـــام يوسف باستدعاء الصميل بن حاتم للتشاور في الأمر،فرأ الصميل (بعد أن أدرك خطورة دخول عبد الرحمن إلى الأندلس) الذي كان أكثر ذكاءً وفهماً لأوضاع الأندلـــس، التصـــدي مباشرة للأمير الأموي، ومقاتلته قبل أن تنتشر دعوته وتكتمل عدته، إلا أن الخبر مـــا لبث أن انتشر بين صفوف الجيش وعـــرف الناس تفاصيل مـــا حدث،فترك الجند اليمنيون الجيش، وفروا ليلتحقوا بأهلهم وقومهم حول الأمير الأمـــوي، ومن بقي في الجيش من القيسيين كانوا متعبين غير قادرين وغير راغبين في مواصلة الحرب و"قـــد ملوا السفر" [1]، ولذا مال قادة الجند إلى ضرورة تأخير المواجهـــة مـــع موالي الأمويين، فقد أقبل الشتاء وحملت الأنهار، وكان من المتعذر الاستمرار بالحملة، لذلك أمر يوسف جنده بالرجوع إلى قرطبة[2].

ويذكـــر أن الذي شجع يوسف بالعودة إلى قرطبة، ما ترامى إلى سمعه من أن عـــبد الرحمن لم يدخل الأندلس طمعاً بالحكم ،بل لالتماس العيش بها،ومن هنا بدأت المفاوضـــات بين الجانبين (عبد الرحمن بن معاوية من جهة ويوسف الفهري مـــن جهة أخرى)، وربما اقترح بعض المقربين من يوسف الفهري عليه أن يفاوض عبد الرحمـــن،بأن "يوفِّـــد إليه وفداً ويعرض عليه المصاهرة"[3]،ويبدو أن يوسف قد قبل الفكـــرة اعتقاداً منه أن الأمير قد يكتفي بالأمن والسلامة،وعلى هذا وجه إليه رسالة مـــع وفـــد من ثلاثة من معاونيه المقربين هم(عبيد الله بن علي،وخالد بن زياد كاتبه ومولاه،وعيســـى بن عبد الرحمن الذي على أرزاق الأجناد) [4]،جاء في أخرها:"فان كنـــت تـــريد المـــال وســـعة الجـــناب،فأنا أولى بك ممن لجأت إليه،أكنفك وأصل رحمك،وأنـــزلك معي إن أردت،أو بحيث تريد،ثم لك عهد الله وذمته بي ألا أغدرك، ولا أمكن منك ابن عمي صاحب"إفريقية"ولا غيره"[5]،وقد سار هؤلاء الثلاثة بالرسالة

---

(1)أخبار مجموعة،ص91 .

(2)أخبار مجموعة،ص91.

(3)أخبار مجموعة،ص91؛ حتي، تاريخ العرب، ج2، ص602.

(4)أخبار مجموعة،ص91.

(5)ابن عذاري ،البيان المغرب،ج2،ص45-46.

ومعهـــم هدايا نفيسة تتضمن ملابس وخدماً وحيوانات للركوب وألف دينار، وكانت لـــدى الوفـــد تعلـــيمات بعرض الثروة والزواج من إحدى بنات يوسف على عبد الرحمـــن ،إذا مـــا كـــف عن المطالبة بإمارة الأندلس،وسار الوفد نحو طُرّش ،وفي الطريق قـــال عيسى بن عبد الرحمن،لعبيد الله بن علي،ولخالد بن زياد:"بـــأي رأي يعيش يـــوسف والصميل، وأنتم أرأيتم أن بلغنا بهذه الهدية فكره ما جئنا به"[1]،ويبدو أن عيســـى بن عبد الرحمن كان يخشى رفض عبد الرحمن لهذه الرسالة ،وبالتالي فيخســـروا الهدايا التي أرسلها يوسف معهم ،فأقام عيسى بالهدايا،وقال خالد بن زياد وعبـــيد الله بـــن علـــي لعيسى: "فان أعطانا –يعني عبد الرحمن–بيعته سرحنا إليك رسولنا لتقدم علينا بما معك ،وإن يكون غير ذلك فأرجعه إلى الأمير –يعني يوسف– فهو أحق بماله "[2].

اســـتقبل عـــبد الرحمن الوفود بحضور جماعة من موالي بني أمية ورجال من اليمـــن يخـــتلفون إليه،وتســـلم منهم الرسالة ، فقد أشار عليه كل من أتاه من العرب والأمويـــين وخاصـــة أبي عثمان بأن لا يقبل ذلك منه إلا أن يعتزل لـــه عن المُلك ويبايعه وإلا حاكمه إلى الله،فقالوا لعبد الرحمن :"إنما يمكر بك ،ولا يفي لك بشيء ، لأن وزيره ومـــالك أمره الصميل ،وهو غير مأمون"[3]، وقد غضب خالد ،فرد على أبـــي عثمان،ويبدو أن في نيته الانتقام :"لتعرقن إبطاك قبل أن تحبر"،وعلى ما يبدو أيضاً أن أبا عثمان لم يكن راضياً عن نتائج المفاوضات،ولهذا افتعل خصماً مع خالد بـــن زياد بشأن الرد على الرسالة،فألقى القبض عليه،ثم ذكر الموالي الأمويون لعبد الرحمـــن أن هـــذا الحـــادث هو فاتحة خير ونصر لهم جميعاً على يوسف الفهري، فـــأطلقوا ســـراح الرسول الثاني"عبيد الله بن علي"،وحبسوا خالداً،فطلب عبيد الله بن علـــي من أبـــي عثمان أن يفكوا سراح الرسول الأول(خالد)بقوله :"هو رسول ولا سبيل إليه فقالوا:أنت الرسول وهـــذا متعدٍّ قد بدأ بالشتيمة"،فانصـــرف عبيد الله بـــن

---

(1)أخبار مجموعة،ص91.

(2)أخبار مجموعة،ص91.

(3)ابن عذاري، البيان المغرب،ج2، ص46.

علـــي،وبلغ الموالـــي الأموال المخلفة مع عيسى بن عبد الرحمن في آرش،فحاولوا الاستيلاء عليها لكن الأخير،وقد علم بنبأ الخصام مبكراً،نجح بالفرار إلى قرطبة[1].

ب-معركة "المصَّارة"[2] Almuzara ونهاية عهد يوسف الفهري:

لقد كان زعماء موالي بني أمية يعرفون جيداً موقف الصميل الدقيق من الأمر ، خاصة بعد لقائهم الأخير به،ومن هنا بدأوا بالاتصال مع مختلف القبائل في المناطق المجاورة،فـــتوجه يوســـف بـــن بخت إلى كورة ريّة(جند الأردن)وكتب لجماعة من موالـــي الأمويين يحذرهـــم ويخوفهم وذلك لقولهم:"إنما اقبل ابن معاوية إلينا وإلى جماعـــة موالـــيه، يريد المال وليس فيما يظن الأمير ولا فيما رُفـــع إليه"[3]،ولكنهم اعـــتذروا بما أمكنهم، فقالوا:"خفنا مكر الصميل ولا نأمن غائلته،فعرفنا الفهري بكذا وكـــذا"[4]، ثـــم مضى عبد الله ابن خالد إلى جند فلسطين في شذونة،وأما أبو عثمان فقـــد بقـــي فـــي طُرّش ليهتم في أمر عبد الرحمن ، وقـــد كانت ردود فعل الأجناد مشـــجعة ،لكن جند قنسرين ودمشق وقفا إلى جانب يوسف والصميل،باستثناء بعض أفـــرادهما يـــتزعمهم الحصـــين بن الدجن، الذي يريد الانتقام مـــن يوسف الفهري والصـــميل لمـــا فعله بأصحابه في حملة البشكنس، ومن نجا منهم بعد ذلك،ولضربه رقاب القرشيين الثلاثة[5].

---

(1)أخبار مجموعة،ص92؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص46.

(2)المصَّارة Almuzara:وردت بالصاد.أنظر: ابـــن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص 47؛المقـــري، نفـــح الطيـــب، مـــج3، ص33؛ ابـــن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلـــس،ص124/66/46،كمـــا وردت بالسين.أنظر:أخبار مجموعة،ص94.وسبب التســـمية هـــو وقوعها في مصّارة قرطبة،وهي منطقة تمتد إلى الجنوب الغربي من المديـــنة على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير،انظر:حتاملة،موسوعة الديار ، ج1، ص1047.

(3)ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص46؛ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص44

(4)ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص45.

(5)ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص44- 46؛أنظر: الدراسة،ص73.

خــرج عــبد الرحمن من كورة البيرة ،لعدم توفر مؤيدين بشكل كبير في هذه الكــورة ، وأعتقد أنَّ الخروج إلى الأجناد ربما يساعد أكثر على تأييدهم لخطة عبد الرحمن،فســار إلى أجناد أهل اليمن في رية واشبيلية (الأردن،فلسطين،حمص)،وقد أيد قائد جند الأردن (جدار بن عمرو) عبد الرحمن بن معاوية، وطلب من الخطيب أن يخلــع يوسف الفهري ،ويخطب لعبد الرحمن بن معاوية،وذلك في أول أيام عيد الفطــر(138هـ/756م)[1]فأقبل إليه ثلاثمائة فارس من جماعة الأمويين ،ثم كتبا أهل فلسطين،فنهضــوا إلــى نصرة عبد الرحمن،ثم انتقل عبدِ الرحمن إلى جند حمص ، وكان الناس يتلقونه بالبشر والترحاب ويعطونه من الانقياد والطاعة أوفى نصيب"[2].

أما عن موقف البربر ،فكان معظمهم على أي حال يأمنون اليمنيين وينضمون إلــيهم، وكــان هــؤلاء قد تقربوا إليهم بعد هزيمة شقندة[3]، وربما اعتقد البربر أن الــتعاون مع اليمنية من أجل مساعدة عبد الرحمن،سوف يعمل على تحسين الوضع لصــالحهم ،وذلك عند التخلص من تسلط الصميل،في حين ساندت جماعات أخرى مــن الــبربر يوســف والصــميل، وكــان هؤلاء حلفائهم المنتفعين الذيــن فضلوا اســتمرار الوضـــــع القــائم، كسائر الشاميين [4].وبهذا ازدادت قوات عبد الرحمن فانضمت اليمانيــة والأموية،والبربر وبعض القيسية، إلى عبد الرحمن بن معاوية ، حتى قارب عددهم جميعاً نحو ثلاثة آلاف فارس وعدد كبير من المشاة[5] .

---

(1)ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص45.

(2)ابــن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص45؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص46؛؛مؤنس، فجر الأندلس، ص677.

(3)مؤنس، فجر الأندلس، ص677.

(4)الســـامرائي،خليل إبراهيم،عـــبد الواحـــد ذنون طه،ناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد ، ط1، بيروت 2000م، ص98. وسيشار إليه فيما بعد: السامرائي، تاريخ العرب.

(5)ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص45-47؛أخبار مجموعة،ص92؛ المراكشي، المعجب،ص40 .

كانــت القيســية قــد جمعت حشودها وأتت بحماس كبير لتأييد يوسف الفهري وصــاحبه الصــميل بمــا اعتــباره هــذان الأخــيران كافياً للخروج من العاصمة "قرطــبة"والــتوجه نحو كورة البيرة حيث كان عبد الرحمن بن معاوية يجمع قواته، فــأراد يوســف والصــميل أن يهاجمــا عبد الرحمن وهو في جند حمص،لكن عبد الرحمــن علم بهم فغادر اشبيلية متوجهاً إلى قرطبة للاستيلاء عليها ،في حين اتجه يوسف والصميل وجموعهم من القيسية إلى محاذاة الضفة الغربية لنهر الوادي الكبير طلــباً للــراحة وللمزيد من الاستعداد [1]،ولما أدركا غرض عبد الرحمن عادا إلى قرطــبة ،وبهــذا الحــال تقابل الفريقان وجهاً لوجه لا يفصلهما سوى نهر الوادي الكبــير،وكان لكــل من جند الأردن وفلسطين وحمص ألويتها الخاصة بها ،بينما لم يكــن لعبد الرحمن علم خاص،فبادر أبو الصباح اليحصبي(شيخ اليمانية) وعقد لــه لواءً بسيطاً يتألف من عمامة مثبتة على رمح [2].

صارت جيوش عبد الرحمن إلى قرية تقع على نهر قرطبة سنة 138هـــ [3]، وكــان يريد أن يدخل قرطبة ، ليحصل على تأييد موالي الأمويين الموجودين فيها، لــذلك عمد عبد الرحمن على إشعال النار ليوهم يوسف أنه مقيم ، فحــاول ليلاً أن يســير إلى قرطبة فيسبق يوسف ،وكادت خطته أن تنجح لولا تنبه يوسف والصميل لرحــيله المفاجئ ، فأسرعا عائدين لإنقاذ المدينة ، فتسابقا الجيشان لدخول قرطبة ، فتوقف جيش يوسف عند المصارة مواجهاً إلى عبد الرحمن الذي فشل في دخــول قرطــبة قبل يوسف، فــأدى هذا الفشل إلى استياء جيش عبد الرحمن ، الذين كانوا يــأملون دخــول قرطبة والتمتع بخيراتها ، تعويضاً لما لاقوه مــن قلة الطعام أثناء المسير، حيث لم يجدوا سوى بعــض النباتات التي على الطريق إلى قرطبة [4].

---

(1)أخبار مجموعة، ص94؛ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص45.

(2)ابــن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس، ص46؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص99؛ حتي، تاريخ العرب، ج2، ص 602-603.

(3)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص46.

(4)أخبار مجموعة، ص93.

اتفــق الفــريقان على الانتظار لمدة ثلاثة أيام قبل الشروع بالقتال، وذلك حتى يــنخفض مستوى ماء نهر الوادي الكبير ،وذلك اعتباراً من يوم الإثنين السادس من ذي الحجة إلى يــوم الخميس التاسع منه سنة 138هـ/الحادي عشر إلى الرابع عشر مـــن أيــار سنة 756م، وفي هذه المدة قام عبد الرحمن بتنظيم قواته وتعيين القادة علـــى الفــرق العسكرية ، وكانت لديه مشكلة عبور الجيش إلى الضفة الأخرى من النهر بسلام ،فشرع بالاتصال بيوسف لإجراء مفاوضات معــه للتوصل إلى حــل سـلمي بينهما،وطلب مــن يوسف أن لا يعارضه في عبوره هو وجنده إلى الجانب الآخــر من النهر،وذلك تسهيلاً للمفاوضات،ويبدو أن يوسف وافق على طلبه فبادر بإرســال الغنم والبقر لإطعامهم ،وكأن الصلح حاصل لا محالة،لكن هذه المفاوضات مــا هــي إلا وسيلة لعبور جيش عبد الرحمن بسلام ،فبعد أن تحقق هذا الهدف لدى عــبد الرحمن بادر بالهجوم صباح الجمعة (العاشر من ذي الحجة 138هـ/الخامس عشــر من أيار 756م) على جيش يوسف ،فاضطر يوسف للقتال بينما هو في غير استعداد، ثم تجهز الصميل وابنه جوشن للقتال ،فقال العَلا بن جابر العقيلي (وهو من وجــوه قــيس)إلى الصميل:"يا أبا جوشن اتَّقِ الله، فوالله ما أشبه هذا اليوم إلا بيوم المرج[1]،وإن عاره لباقٍ علينا إلى اليوم"[2]،وربما انفضت بعض القيسية مــن حول يوسف والصميل، وكما هو متوقع كانت النتيجة هي انتصار عبد الرحمن، ولــم يكن

---

(1)مــرج راهــط:علــى بعد أميال من دمشق حيث التقى مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي والضحاك بن قيس القرشي الفهري، فدارت الدائرة لمروان علــى الفهري، وقتل معه سبعون ألفاً من قيس وقبائلهم .أنظر: ابن القوطية، تاريخ افتــتاح الأندلس، ص49 ؛ القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الــبر(ت:463هـ/1071م)،الاستيعاب في معرفة الأصحاب،تحقيق وتعليق علي محمد معــوض وعــادل أحمــد عبد الموجود،قدمه محمد عبد المنعم البري وجمعه طاهر الــنجار،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت 1995م، ج2،ص297-298/ج3،ص445-446. وسيشار إليه فيما بعد: القرطبي، الاستيعاب .

(2)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص47.

أمـــام الصــــميل ســـوى الهـــروب إلى جنده في جيان،وأما يوسف الفهري ففر من المعركة،وتمادى بالفرار حتى وصل طليطلة[1].

وتــــرجع عوامل انهزام يوسف الفهري والصميل بن حاتم في معركة المصارة إلى ما يلي:

1-كــــان لهمـــة عبد الرحمن بن معاوية العالية،وذكائه ،وطموحه الذي غرسه جده هشـــام بـــن عبد الملك في نفسه وهو صبي[2]،أثراً كبيراً في استغلاله فترة الانتظار التي اتفق عليها الجانبان(يوسف الفهري وعبد الرحمن) وهي ثلاثة أيـــام لحيـــن تـــنخفض مياه نهر الوادي الكبير ،فهي فترة مهمة بالنسبة لعبد الرحمن فقد استغلها في تنظيم قواته ،وتعيين القادة على الفرق العسكرية،بينما كـــان يوســـف في ترقب انقضاء الوقت ،وكذلك استغل عبد الرحمن موافقة يوســـف الفهـــري على الصلح الذي طلبه ، لكي يساعد جنوده بالعبور إلى الضفة الأخرى من النهر بسلام،وبدون تعرضهم لجيش يوسف.

2-رغبة الناس في التخلص من يوسف الفهري والصميل بن حاتم،فقد شَمَتَ الناس بيوســـف لقتله القرشيين الثلاثة [3]،فلم يعد يملك القوة الكافية،فقد اختل جيشه عـــندما انتشـــر بين صفوفه نبأ دخول عبد الرحمن إلى الأندلس[4]،وفي نفس الوقت كانت القيسية لا ترجو القتال، وهـــذا واضح مـــن خلال قول العــــلا

---

(1)ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص8؛ البالوي، قلائد الذهب، ص142؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج5، ص495؛الحميدي،جذوة المقتبس،ق1،ص38؛ ابن عذاري، البـــيان المغرب، ج2، ص47؛ابن خلدون، تاريخ،مج4، ص155؛ الذهبي، العبر في خـــبر مـــن غـــبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية،ط 1، بيروت 1985، ج1،ص202.(وسيشار إليه فيما بعد:الذهبي،العبر)؛ حتي، تاريخ العرب، ج 2، ص602.

(2)حتاملة،موسوعة الديار ،ج1،ص1048.

(3)أنظر:الدراسة،ص73.

(4)حتاملة،موسوعة الديار ،ج1،ص1049.

العقيلـــي إلى الصميل:"أبا جوشن اتّقِ الله،فوالله مـــا أشبه هذا اليوم إلا بيوم المـــرج، وإن عـــاره لباقٍ علينا إلى اليوم"، وفي نفس الوقت كان موالي بني أمـــية ،واليمنية ،والبعض من البربر والقيسية، متشوقين لأمر عبد الرحمن، فانفضـــوا مـــن حول يوسف والصميل، ونادوا على نصرة عبد الرحمن [1]، وطاعـــته، فدخل عبد الرحمن القصر وبويع بالإمارة،وذلك في 10ذو الحجة 138 هـ/13أيار756م[2].

حـــاول يوسف الفهري والصميل بن حاتم استعادة سلطانهما السابق،فقد جاءت إلـــى يوســـف نجدة من الشمال الشرقي،بقيادة ابنـــه عبد الرحمن،تقـــدر بخمسمائة فـــارس ، وفي طليطلة نال يوسف تأييد حاكمها الفهري(هشام بن عروة)فقاد يوسف هـــذه القوات إلى جيان حيث كان الصميل يستنفر اتباعه هناك،فالتقيا واستوليا على جـــيان،ثم سارا إلى البيرة،واجبرا عاملها على الفرار منها،وعندما علم عبد الرحمن بخـــبرهما أعـــدّ حملـــة وسار بها إلى البيرة،وعندما وصل هناك وجد أن يوسف و الصـــميل مســـتعدان للمفاوضات،ففضلا الصلح مع عبد الرحمن،وبحضور القاضي "يحيى التجيبي"[3]جرى الصلح بينهما سنة 140هـ/758م وعلى النحو الآتي[4]:

1-يطلق كل واحد منهما من في يديه من الأسرى،وأن يسود السلام بينهما.

---

(1)ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص45؛المقري، نفح الطيب، مج3، ص32؛ حتاملة ، موسوعة الديار ،ج1، ص1048-1049.

(2)ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس،ص49؛ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 48 ؛ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، مج5،ص495؛ المقري، نفح الطيب، مج3، ص 34؛المراكشـــي،المعجب،ص40؛ الضـــبي، بغية الملتمس، ص12؛ ابن الفرضي،أبو الولـــيد عبد الله بن محمد الأزدي الحافظ(ت:403هـ/1013م)،تاريخ علماء الأندلس، الـــدار المصرية للتأليف والترجمة،د.ط، 1966م، ص4.وسيشار إليه فيما بعد: ابن الفرضي، تاريخ.

(3)الخشني، قضاة قرطبة، ص47؛أخبار مجموعة،ص89.

(4)أخبار مجموعة،ص98؛ابن خلدون، تاريخ،مج4، ص155.

2-أن يجعـل يوسـف الفهري ابنيه عبد الرحمن ومحمداً(أبو الأسود) رهينة في يد الأمير عبد الرحمن على أن يحبسهما حبساً جميلاً معه في قصر قرطبة حتى تهدأ الأمور ،فإذا صلحت الأمور ردّهما.

ثم هدأت الأحوال ودخل يوسف الفهري في عسكر الأمير كأحد رجاله، فأنزله الأمـير على ماله وأطلق لـه عياله، لكن لم يلتزم يوسف بشروط الصلح مـع عبد الرحمـن،فهرب ناقضـاً للأيمان، واجتمع إليه الناس ،فتحرك من ماردة يريد قتال الأمـير عـبد الرحمن[1] ، وحاول تحريض الصميل للخروج معه لكنه رفض لعدم جـدوى القـتال معـه وعندما علم عبد الرحمن بأمر يوسف الفهري أتهم الصميل بالتدبـير مسـتبعداً قيام يوسف الفهري بهذا العمل لوحده،فسجن الصميل ومعه ابني يوسف،ثم أرسل عامل اشبيلية"عبد الملك بن عمر المرواني"،إلى يوسف الفهري،فوقع القتال بين يوسف الفهري وجمعه من جهة،وعبد الملك بن عمر المرواني وجمعه من جهـة أخـرى "فوقعـت بيـنهما حرب شديدة "[2] فأنهزم الفهري وتفرق أصحابه عنه،وفرّ بنفسه متخفياً وسار لناحية طليطلة[3]،وفيها كانت نهايته[4].

ويذكـر المقري[5] أسباب هروب الفهري من قرطبة فيقول:"وكانت الحال اضطربت بـه في قرطبة ودس لـه قوم قاموا عليه في أملاكه،فأشتد توحشه،فخرج إلى جهة ماردة،واجتمع إليه عشرون ألفاً من أهل الشتات "،وذكر صاحب أخبار مجموعة [6] "وكانت بقرطبة بيوتات من بني هاشم وبني فهر وقبائل قريش ،قد نالها رفعة فانقطع

---

(1)ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص49؛ابن الخطيب، الإحاطة ،مج4، ص340.

(2)ابـن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص49؛ ابـن خلدون، تاريخ، مـج4، ص 155.

(3)ابـن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص96؛ابن خلدون،تاريخ، مج4، ص155؛ابن الخطيب،الإحاطة ، مج4، ص340؛أرسلان،الحلل السندسية، ج1، ص454.

(4)أنظر: الدراسة، ص50-51.

(5)المقري، نفح الطيب، مج3، ص35.

(6)أخبار مجموعة،ص99.

ذلك عنهم،فكانوا يختلفون إلى يوسف ويلقون عليه التحريف ويندمونه على ما كان ، فلم يزالوا حتى كاتب الناس".

ولذلك حاول يوسف الفهري بدون يئس أن يقضي على عبد الرحمن وأنصاره وأن يعيد أمجاد القيسية، ولكن محاولته هذه باءت بالفشل،وربما يكون السبب هو:

1-ضعف التنسيق في إعداد جيوشه،لأن جمعه من أهل الشتات.

2-امتناع القيسية وعلى رأسهم الصميل بن حاتم عن القتال مع يوسف الفهري[1]، ذلك أن يوسف الفهري شخصية ضعيفة ،فكان جُلّ اعتماده على الصميل، الذي اتهمه عبد الرحمن بتدبير أمر يوسف عندما هرب من قرطبة ،فسجنه ،حتى قتل في سجنه مخنوقاً بتدبير من عبد الرحمن الداخل[2].

أعلن عبد الرحمن قيام دولته الأموية في الأندلس مستقلة عن باقي دولة الإسلام ومنفصلة تمام الانفصال عن نفوذ الدولة العباسية في الشرق،ويكون بذلك قد حقق انجازاً عظيماً جعل أشد خصومه أبا جعفر المنصور يلقبه بصقر قريش ويقول عنه في إحدى مجالسه:"صقر قريش،عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر،وقطع القفر،ودخل بلداً أعجمياً منفرداً بنفسه،فمصر الأمصار وجند الأجناد ،ودوّن الدواوين ونال ملكاً بعد انقطاعه عن تدبيره وشدة شكيمته"[3].

وهكذا يكون الأمير الأموي المغامر،قد بعث في أرض بعيدة عن موطنه أمجاد الأمويين الزائلة في الشرق وأقام لهم إمارة عمرت حوالي قرنين قبل أن تقوم على أنقاضها أو قبل أن تتحول هي إلى خلافة أموية جديدة في الغرب، وانتهى على يديه عصر الولاة .

---

(1)أخبار مجموعة،ص99.

(2)المقري،نفح الطيب،مج3،ص35؛ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص49؛ أخبار مجموعة، ص100.

(3)أخبار مجموعة،ص110؛المراكشي،المعجب ،ص40-41؛ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص9.

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية والإدارية في الأندلس(129-138هـ/747-756م)

يعــد عصر الولاة من العصور الأساسية المهمة في تاريخ الأندلس،لأنه يمثل الفــترة الأولـــى التي دخل فيها المسلمون إلى هذه البلاد "فاستقروا،وتوالدوا،ونسوا أوطانهم،واستقام الإسلام بها ملك كبير"[1]،وأسسوا كيانهم السياسي الذي استمر نحو ثمانـــية قرون،وعلى الرغم من أن هذا العصر لم يستغرق سوى سنوات قليلة بلغت نحـــو أربعيـــن ســـنة،لكنه يعـــد الركـــيزة الأولى التي قامت عليها مختلف الأسس الاجتماعـــية التـــي حددت المجتمع الأندلسي والذي استمر طيلة وجود المسلمين في الأندلـــس، واســـهم في تطور الفكـــر السياسي والإداري والاقتصادي لهـــذه البلاد، والتي شهدت قيام أرقى حضارة إنسانية في ظل الوجود الإسلامي.

ويخـــتص هـــذا الفصل الدراسي بالحديث عن الحياة الاجتماعية والإدارية في الأندلس ضمن عدة موضوعات اشتملت على عناصر السكان وطبيعة تكوينهم سواء أكـــانوا من الفاتحين أم من السكان الأصليين للبلاد،وكذلك العلاقات الاجتماعية بين المســـلمين وأهل الذمة والتي تشمل مجالات واسعة تمثلت في المصاهرات والتسامح الدينـــي الذي مارسه المسلمون بشكل واضح في هذه البلاد،وبالإضافة إلى ذلك فقد اشـــتمل علـــى التنظيم الاجتماعي لأهل الذمة في ظل الإسلام ،وفي النهاية احتوى الفصل على التنظيم الإداري في الأندلس.

1.4عناصر السكان وطبيعة تكوينهم:

يتألف السكان في الأندلس في عصر الولاة من العناصر الآتية:

أ-المسلمين،وينقسمون إلى:

العرب،البربر،الموالي،المسالمة،المولدون

ب-غير المسلمين،وينقسمون إلى:

العجم أو المستعربين من النصارى،اليهود

---

(1)ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص5.

أ-المسلمون:

1-العرب:

كـــان دخول العرب إلى الأندلس على شكل دفعات ومراحل متعددة، فقد رافق قسم منهم الحملة الأولى التي قادها "طارق بن زياد" (92هـ/711م)،وكان عددهم في هـــذه الحملة قليلاً نسبياً،بينما كون البربر غالبية هذه الحملة،ومع هذا فقد تميز ضمن هـــذه الحملة قادة عسكريون عرب مثل:"عبد الملك بن عامر المعافري"،الجد الأعلى للمنصور بن أبي عامر الذي تولى السيطرة على الجزيرة الخضراء [1].

أمـــا المجموعـــة الثانية من العرب،فقد دخلت مع القائد "موسى بن نصير" بعد سـنة تقريـباً من دخول "طارق بن زياد" (93هـ/712م)،ويقدر عدد العرب في هذه الحملـــة بحدود ثمانية عشر ألف رجل [2] معظمهم من القبائل اليمانية،وبقية العشائر الأخرى التي كانت موجودة في الشمال الإفريقي،لا سيما في منطقة القيروان [3].

هـــذا وقـــد أطلـــق علـــى تلـــك المجموعتيـــن اســـم البلديين،أي أنهم أهل البلاد وأصـــحابها،لانهم يعـــدون أنفسهم المالكون الوحيدون للبلاد الذين تحملوا أعباء فتحها، واستقروا بها على امتداد الطريق التي سلكها طارق بن زياد وموسى بن نصير،وهولاء هـــم المســـتقرون الأوائل من المسلمين ،وقد سموا بهذا الاسم تمييزاً لهم عن مجموعة أخرى من العرب دخلوا الأندلس في فترة لاحقة أطلق عليها اسم "الشاميين"[4].

---

(1)ابن الآبار،الحلة السيراء،ج1،ص275؛ ذنون طه،التنظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الولاة(95-138هـ/714-756م)،مجلة المؤرخ العرب،الأمانة العامة لاتحاد المؤرخيـــن العرب،ع 32،بغداد 1987م، ص184.وسيشار إليه فيما بعد: ذنون طه، التنظيم الاجتماعي .

(2)أخبار مجموعة،ص58.

(3)ذنون طه،التنظيم الاجتماعي ،ص184.

(4)ذنون طه، التنظيم الاجتماعي، ص184؛سالم، السيد عبد العزيز،تاريخ المسلمين، ص119 .

كان دخول العرب الشاميين،يتمثل في الجيش الذي أرسله الخليفة الأموي"هشام ابن عبد الملك" للقضاء على ثورات البربر في شمال إفريقيا،وعدده سبعة وعشرون ألفــاً[1]، انضم إليهم ثلاثة آلاف من مصر فأصبح مجموع القوة التي أرسلها ثلاثين ألفــاً،وقدم عليهم كلثوم بن عياض القشيري،وانضم إليهم حشود العرب البلديين في المغرب بقيادة حبيب بن أبي عبيدة جد يوسف الفهري،فأصبح عدد أجناد العرب نحو ســبعين ألف مقاتل[2]،ولكن هذا الجيش على كثرته لم يتمكن من الصمود أما حشود الــبربر عــند أول لقاء،فانــتهى بهــزيمة نكراء منى بهــا العرب في موقعة على وادي"ســبو"عــنــد بليدة بقدورة سنـــة 124هـ/714م)[3]، وقتل بها القائد كلثوم بن عياض القشيري ضمن العديد من القادة الآخرين،وقد أضطر من نجى منهم الالتجاء إلى الأندلس .

ثبــت هــؤلاء الشــاميون في الأندلس سنة 125هـ/742م،بعد أن وجدت الدولة الأموية أن استقرار العرب في الأندلس سيعزز من كيان المسلمين فيها وسيزيد من قوتهــم في مواجهة الأخطار الخارجية على الرغم من معارضة المستقرين الأوائل (البلدييــن) الذيــن لم يرغبوا بالتنازل عــن بعض أراضيهم لصالح الشاميين، الذين كـــان عددهم ثمانية آلاف رجل تقريباً[4]، وأغلبهم من القيسية[5].

وعندما تولى أبو الخطار ولاية الأندلس(125-127هـ/742-744م)حاول إيجاد

---

(1)أخبار مجموعة،ص68.

(2)أخبار مجموعة،ص68.

(3)أخبار مجموعة،ص69-70؛ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس،ص39-40؛ سالم، قرطــبة حاضــرة الخلافـــة في الأندلس دراسة تاريخية،عمرانية أثرية في العصر الإسلامي،دار النهضة العربية،د.ط، بيروت 1971م، ج1، ص35.وسيشار إليه فيما بعد: سالم، قرطبة .

(4)ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس، ص40.

(5)ابــن الخطيب،أعمال الأعلام،ص7؛الم،تاريخ المسلمين،ص121؛ذنون طه،التنظيم الاجتماعي،ص184.

وربمـــا كان عددهم يفوق عدد العرب الداخلين في حملتي طارق وموسى وقد استقر الـــبربر فـــي معظـــم أنحـــاء الأندلس، وكـــانوا في وضع أفضل لاختيارهم أحسن المـــناطق،لقربهم من المنطقة كلها واطلاعهم عليها بحكم معيشتهم في شمال إفريقيا، ولأنهم كانوا الطليعة الأولى التي دخلت البلاد(1).

3-الموالي:

يمكن إرجاع الموالي في الأندلس إلى أصول متعددة:

أولاً:الأفارقـــة(الـــبربر)الذيـــن رافقـــوا العرب في فتحهم الأندلس،ودخل هؤلاء مع المســـتقرين الأوائـــل فأطلق عليهم الموالي البلديين (2)،ومنهم على سبيل المثال:"بنو وانوس"موالي عبد العزيز بن مروان (3)،و"بنو الخليع" موالي يزيد بن عبد الملك (4)، ومنهم البربر الذين سكنوا في المدور (Almodovar) حيث كانوا من موالي عشيرة فهر العربية(5).

ثانياً: موالي أصولهم أسبانية،مثل "بنو قسي"(6) ،الذي أسلم على يد الوليد بن عبد الملك،فأصبح ينتمي بولايه إليه.ومنهم أيضاً:بنو قومس،وبنو مارون، وبنو مرتين(7).

ثالثاً:موالي بني أمية،وعرفوا بالموالي الشاميين،ويعود بعضهم إلى أصول بيزنطية، فقد اعتنقوا الدين الإسلامي،ورافقوا الشاميين الذين جاءوا إلى الأندلس بقيادة"بلج بن

---

(1)ذنون طه، التنظيم الاجتماعي ،ص185.

(2)ذنون طه،التنظيم الاجتماعي،ص185؛العملة،التنافس، ص216.

(3)أخبار مجموعة،ص53/44.

(4)أخبار مجموعة،ص53/48.

(5) ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص62؛ابن الآبار،الحلة السيراء،ج1،ص201 ذنون طه،التنظيم الاجتماعي ،ص186.

(6)أخبار مجموعة، ص123/97؛ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس، ص122/107/97 /123؛ العملـــة، التنافس على فئات المجتمع، ص216؛ذنون طه،التنظيم الاجتماعي ، ص186؛سالم،تاريخ المسلمين ، ص126.

(7)مؤنس، فجر الأندلس، ص104.

بشر القشيري"،سنة 123هـ/741م،فمنهم"بنو بسيل"وجدهم عبد السلام بن بسيل موالي عبد الله بن معاوية[1]،ومنهم أيضاً أمية بن يزيد الذي كان جده مولى لمعاوية بن مروان بن الحكم[2].ومن موالي بني أمية من يرجع إلى أصول فارسية، مثل"بنو جهور"وجدهم يوسف بن بخت[3].وظل هؤلاء الموالي يقفون إلى جانب الشاميين في خلافاتهم مع البلديين،وعندما تولى أبي الخطار ولاية الأندلس قام بتفريقهم.

هذا وقد وقف الموالي مع يوسف بن عبد الرحمن الفهري في حروبه ضد اليمنية [4]،وكان يوسف الفهري يتودد إليهم ويسميهم موالينا[5]،وقد عرفوا باسم موالي بني أمية،و عاش قسم منهم في قرطبة، وجندي دمشق وقنسرين ،أي منطقتي البيرة وجيان،وكان زعيم الموالي في جيان يوسف بن بخت،أما في البيرة فقد تولى الزعامة على الموالي كل من أبي عثمان:عبيد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالد [6].

4-المسالمة والمولدون:

إلى جانب العناصر الإسلامية السابقة ،من عرب وموالٍ وبربر، كانت جماعة الأسبان الذين دخلوا الإسلام ،يطلق عليهم اسم "المسالمة".ويبدو أن لسياسة التسامح الحكيمة التي سار عليها الفاتحون العرب عقب الفتح أثراً كبيراً في دخول عدد هائل من الأسبان إلى الإسلام ،وبالتدريج نبذ من أهل الذمة مسيحيتهم ودخلوا الإسلام،إمّا بحثاً وراء مصلحة شخصية أو إيماناً صادقاً بهذا الدين الذي يحترم المساواة والعدل

---

(1)المقري،نفح الطيب، مج 3، ص46 ؛سالم،تاريخ المسلمين ،ص126.

(2)ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص 46؛ ابن الآبار ،الحلة السيراء،ج2،ص 373.

(3)ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس،ص46؛ ابن الآبار ،الحلة السيراء،ج2،ص 375.

(4)أخبار مجموعة،ص92.

(5)ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص45؛ أخبار مجموعة، ص87.

(6)أخبار مجموعة، ص85-86؛ المقري، نفح الطيب، مج3، ص29.

ولا يفـــرق بيـــن المسلمين،مهما كانت أصولهم[1] ،وعلى ما يبدو أيضاً أن الفاتحين العـــرب لـــم يتعرضـــوا لأهل الذمة بضر ،ولم يفرضوا عليهم الدين الإسلامي،لأن سياســـة الإسلام تتمثل في الحرية الدينية لقوله تعالى:"لا إكراه في الدين" [2]،وربما كانـــت معظـــم الجماعـــات التـــي اعتنقـــت الإســـلام تنتمـــي إلى الطبقات الفقيرة والمضطهدة،لا سيما العبيد،ورقيق الأرض،فكانت أحوالهم أثناء الحكم القوطي سيئة وظـــروفهم قاسية، فدخلوا في الدين الجديد دون إكراه[3]،وليس معنى هذا أن اعتناق الإســـلام اقتصـــر على هولاء فقط ،بل أن المسالمة الجدد كانوا ينتمون إلى طبقات اجتماعـــية شتّى، منهم النبلاء وأهل المدن،وأهل الحرف وغيرهم [4]،وبالتالي أصبح هؤلاء المسالمة يكوّنون معظم سكان الأندلـــس[5].

ولما كان الفاتحون العرب والبربر قد تركوا نساءهم في بلادهم،فقد أقبلوا على مصـــاهرة أهـــل البلاد،ومضوا على هذا النحو،يتزوجون من الإسبانيات ما شاءوا، فعاشروا أهل البلاد،وجاوروهم،فنشأ جيل جديـــد من آباء مسلمين وأمهات أسبانيات عُرف بالمولدين ، وكان عبد العزيز بن موسى أول من تزوج بإسبانية،إذ تزوج من ايخلونـــا Egilona أرملـــة لذريـــق ويقال لها "أم عاصم"،فحذا حذوه كثير من رجال العرب أمثال زياد بن النابغة التميمي،الذي تزوج من إحدى أميرات أسبانيا[6]،

(1)سالم،تاريخ المسلمين ، ص127.

(2)البقرة،آية 256.

(3)مؤنس،فجر الأندلس، ص127-128؛ ذنون طه، التنظيم الاجتماعي ، ص186.

(4)سالم، تاريخ المسلمين ، ص128-129.

(5)ذنون طه،التنظيم الاجتماعي ،ص186 ؛سالم،تاريخ المسلمين ،ص127.

(6)أخـــبار مجموعـــة،ص60؛ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص36؛سالم،تاريخ المســـلمين،ص128؛ الجبالـــي،خالد حســـن حمد،أثر الزواج المختلط ما بين العرب والأســـبان مـــن الفـــتح الإســـلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة(92-422)،رسالة ماجستير،إشـــراف محمد حتاملة،الجامعة الأردنية 1995م، ص46. وسيشار إليه فيما بعد،الجبالي،أثر الزواج.

وعيسى بن مزاحم الذي تزوج من سارة بنت المند بن غيطشة القوطية،وولد له منها ولدان هما إبراهيم وإسحاق[1]،وتعتبر طليطلة واشبيلية من أهم مراكز المولدين [2].

ب-غير المسلمين:

1-العجم أو المستعربين من النصارى:

لفظ العجم،أو عجم الأندلس يطلق على نصارى الأندلس الذين عاشوا مع المسلمين، ويسميهم العرب "عجم الذمة"أو"أهل الذمة" ويتكلمون اللغة العربية إلى جانب لغتهم المعروفة بالرمانسية:وهي لهجة عامية مشتقة من اللغة اللاتينية،وتكونت منها الأسبانية.وقد احتفظ هؤلاء العجم بدينهم،فأطلق عليهم أيضاً المستعربون Mozarabes ولكن هذه التسمية ظهرت في عصور متأخرة لاحقة من تاريخ المسلمين في الأندلس[3].

وكان عدد هؤلاء العجم كبيراً في السنوات الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي،ولكنه تناقص نتيجة لاعتناقهم الدين الإسلامي،وأما الذين بقوا على ديانتهم فقد عوملوا معاملة حسنة تتماشى مع تعاليم الدين الإسلامي،فتمتعوا بالحرية الدينية،فكان لهم قاضي خاص بهم،وكانوا يمارسون طقوسهم الدينية في الأديرة والكنائس بكل حرية،ففي كل مدنهم رئيس يعرف بـ"قومس" أو بزعيم نصارى الذمة، وكان أول من تولى هذا المنصب بعد الفتح، هو أرطباس ابن ملك القوط السابق غيطشة [4].

وهكذا عاش النصارى جنباً إلى جنب مع المسلمين في أحياء خاصة لهم،وفي حالة وقع خصام بين مسلم ومسيحي فإن القاضي الذي يفصل بينهم، كان قاضياً مسلماً يعرف بقاضي الجند أو قاضي الجماعة [5]، وبهذا يكون القاضي المسلم ملماً

---

(1)ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص31؛الجبالي، أثر الزواج،ص46.

(2)سالم، تاريخ ، المسلمين ،ص128.

(3)ذنون طه، التنظيم الاجتماعي ، ص187.

(4)ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص58؛سالم،تاريخ المسلمين ،ص130.

(5)سالم، تاريخ المسلمين ص13.

2-اليهود:

تعتــبر دراسة يهود الأندلس وأحوالهم، في ظل الحكم الإسلامي من المواضيع المهمــة التي تستحق الالتفات إليها، لأنها توضح الموقف الإسلامي من تلك الأقلية، وقــد اتسم هذا الموقف غلباً بالإيجابية، حيث أن يهود الأندلس تمتعوا بقسط وافر من الحرية الدينية، وأتيح لهم المجال للمشاركة في النشاطات السياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية اعتباراً من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[1].

عــاش الــيهود فــي شبة الجزيرة الإيبيرية منذ أزمنة طويلة، وذلك قبل الفتح الإســلامي، وازدادت أعدادهــم فــي المراكز الحضارية مثل:طليطلة، وغرناطة، والبيرة،وطركونة،وقرطــبة واشــبيلية [2]،وكــان القــوط قد ورثوا كراهية الدولة الرومانــية لليهود،فقد أصدر المجمع الطليطلي الثالث قراراً بضرورة تعميد الأولاد الذين يولدون من زيجات يهودية نصرانية،ثم أصدر قراراً يخيّر اليهود بين التنصير أو الهجرة من البلاد،فأضطر اليهود إلى الهجرة، وتظاهر بعضهم باعتناق المسيحية، ثــم أصــدر المجمــع الطليطلي الثامن ضرورة تعميد اليهود،وتحريم إقامة الشعائر الدينــية الــيهودية [3]، وبالتالــي لــيس مــن شك في أن اليهود قد رحبوا بالفتح الإسلامي نتيجة معاناتهم المريرة من القوط .وربما استفاد المسلمون من اليهود في بعــض المهمــات المحــدودة مثل الحصول على معلومات حول جغرافية **الأندلس**، وتحــركات النصارى،حيث أفاد طارق بن زياد من اليهود الذين وجد فيهم الأدلاء، فكان يهــود اشبيلية وتدمير يقومون بحراسة الحاميات ، وفتح أبوابها أمــام الجيوش

---

(1)عــبد العزيز، هشام فوزي، يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي(92-897هــ/ 711-1492م)،مجلــة دراسات أندلسية،مطبعة المغاربة للطباعة والنشر والإشهار،ع 15،تونس 1996م، ص 95-98 .وسيشار إليه فيما بعد:عبد العزيز،يهود الأندلس.

(2)أخــبار مجموعــة،ص56؛ ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي،ص85؛ حتاملة، الأندلس، ص54.

(3)مؤنــس، فجــر الأندلــس، ص522-523؛حــتاملة، الأندلس، ص54؛صقر،الفتح الإسلامي، ص90.

الإســلامية [1]. وكــان المســلمون عــندما سيطروا على المدن التي يسكنها اليهود يعمدون بضم سكانها إلى المدافعين عنها [2].

هــذا وقد لقي اليهود تسامحاً من قبل العرب،سواء خلال عصر الولاة أو بعده، فكانوا يمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية،وقد استعرب قسم من اليهود،فأخذوا لغة العرب وملابسهم [3].ومن المؤكد أن أحوال اليهود قد تغيرت إلى الأفضل بعد دخول المســلمين، وربمــا كــان المسلمون يعاملون اليهود على أساس أنهم أهل ذمة،فلم يضــايقونهم فــي شــوؤنهم الدينــية،وبهذا فقد تخلص اليهود من مضايقات القوط المريرة،وعاشوا في المجتمع الأندلسي بسلام[4].

2.4العلاقات الاجتماعية بين عناصر السكان:

مــن المؤكــد أن دخول المسلمين(عرب و بربر) إلى الأندلس لم يكن بحثاً عن الســيادة والســلطة،كما دخــل القوط من قبل ،بل دخلوها امتداداً لحركة الفتوحات الإســلامية التي تهدف إلى نشر الدين الإسلامي في جميع أنحاء الأرض،ولهذا باشر المســلمون عــندما دخلــوا الأندلس بتطبيق سياسة دينهم الإسلامي التي تدعو إلى العدل،والحــرية الدينــية، والتســامح مع جميع عناصر السكان،وذلك لإقامة مجتمع إسلامي جديد يتماشى وتعاليم الشريعة الإسلامية.

لقــد كانت العناصر التي دخلت الأندلس(العرب والبربر)تختلف اختلافاً كبيراً فــي مواقفها واتجاهاتها إزاء مختلف القضايا التي تواجه المجتمع الأندلسي،فالعرب علــى ســبيل المثال كانوا ينتمون إلى أصول متعددة[5]،الذين دخلوا في صراع فيما بينهم، وتختلف أسباب هذا الصراع، فمنها العصبية القبلية بسبب تباين الأصول التي

---

(1)مؤنس،فجــر الأندلس،ص92/87؛ ذنون طه، التنظيم الاجتماعي ، ص187؛سالم، تاريخ المسلمين، ص133؛مؤنس، فجر الأندلس، ص523.

(2)أخبار مجموعة،ص56؛ عبد العزيز، يهود الأندلس ،ص98.

(3)مؤنس، فجر الأندلس، ص523.

(4)حتاملة،الأندلس، ص54؛مؤنس، فجر الأندلس، ص524.

(5)ذنون طه، التنظيم الاجتماعي ، ص187.

انحــدرت مــنها هــذه القبائل ،لكن العصبية القبلية لم تكن بالتأكيد السبب الرئيسي للصراع بين العرب أنفسهم، لأن المستقرين الأوائل على الرغم من اختلاف أصولهم العشــائرية شــكلوا جبهة واحدة أمام القادمين الجدد مــن الشام[1]، فكان من أسباب الصــراع تنافس كل من القيسية واليمنية على امتلاك الغنائم والضيــاع والأراضي الخصــبة، والسلطات في الــولايات، وبالتالي انشغلوا بالأحــوال الدنيوية[2]، ومن الأمــثلة علــى الصراع بين القيسية واليمنية، موقعة "شقندة"سنة130هـ/747م،والتي سبق الحديث عنها.

ولا ننســى طبــيعة النظام السياسي والإداري في عصر الولاة ،فبزيادة عدد الــولاة عــن عشرين والياً، مقارنة مع فترة عصر الولاة القصيرة والتي بلغت نحو أربعيــن ســنة(95-138هـــ/714-756م)، دليل على اختلال النظام السياسي لعصر الــولاة ، ولذلــك لــم يكن باستطاعة الوالي تنظيم الكم الهائل من العناصر العربية والبربرية الداخلة إلى الأندلس.

هــذا ولم يكن البربر بعيدين عن الصراع القبلي العربي،فقد كان الموالين منهم للعــرب، يؤيدون القبائل التي يوالونها،بل وجدت مجموعات بربرية معينة تقف ضد مجموعــات بربــرية أخرى لأنها كانت تلتزم بتأييد حلفائها من العرب [3]،وقد كان الــبربر يشــكلون كتلة مستقلة، تشعر أن لها مصالحها الخاصة بها،وبالتالي يبدو أن سياســة بعض ولاة الأندلس تجهل التعامل مع البربر، مما أدى بهؤلاء إلى التمرد، وربما ساعدهم تمرد إخوانهم في شمال إفريقيا على السلطة الأموية،فقد اضطر والي الأندلــس"عــبد الملك بن قطن الفهري"أن يستعين بالجند الشامي بقيادة بلج بن بشر القشيري للقضاء على تمرد البربر في الأندلس[4]، ممــا أدى إلى النزاع بين العرب

---

(1)ذنون طه،التنظيم الاجتماعي،ص187.

(2)فيلالي، المظاهر الكبرى، ص121؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص213.

(3)أخبار مجموعة، ص97/95/75؛ ذنون طه، التنظيم الاجتماعي ، ص187.

(4)ابــن عذاري،البيان المغرب،ج2، ص30؛ ارسلان، الحلل السندسية،ج1،ص454؛ ذنون طه،التنظيم الاجتماعي ،ص 187.

والــبربر،وقد شهد عصر الولاة في الأندلس العديد من الأمثلة على الصراع العربي الــبربري ،فعلى سبيل المثال لا الحصر اشتبك الطرفان في موقعة"وادي سليط" [1] سنة 124هـ/742م،والتي سبق الحديث عنها.

أما بالنسبة للموالي فقد تميزوا بمكانة جيدة في المجتمع الأندلسي،فخالطوا كبار القــادة مــن الشــاميين والبلديين [2]، وأصبحوا يشكلون كتلة متماسكة في الأندلس، وكــانوا علــى الرغم من أنهم يضمون قبائل كاملة من البربر،مثل بني الخليع وبني وانســوس، يعتــبرون في مركز اجتماعي ومعنوي لا يقل عن مركز العرب، وكان أهــل البلاد يعاملونهم على هذا الأساس،فعلى سبيل المثال كان أرطباس بن غيطشة ملــك القوط السابق يهدي الزعيم العربي الصميل بــن حاتم الكلابي، وبعض سادة الموالــي الشــاميين عشر ضيــاع لكل منهم، ومــن هؤلاء أبو عثمان عبيد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالد، ويوسف بــن بخت [3].

كــان يوسف بن عبد الرحمن الفهري يعد موالي بني أمية من اتباعه ويسميهم "مواليــنا" ويــتودد إلــيهم [4]. وكــان الصــميل بن حاتم موضع ثقة عند الموالي، فيستشيرونه في قضاياهــم المهمة [5]،وبالإضافة إلى ذلك قد كانت الفترة الأخيرة من عصر الولاة حاسمة في تاريخ الموالي وعلاقتهم بالعرب.ويشير المقري إلى خطورة الموالــي وتعاظم مكانتهم في الفترة الأخيرة من عصر الولاة فيقول:"كان لهم جمرة فــي الأندلس"[6].وبالتالي كون الموالي في الأندلس كتلة كبيرة كان لها أثر في تطور الأحداث، فقد أدرك عبد الرحمن بن معاوية هــذا الأمر فراسلهم ،فكانوا لــه عوناً

---

(1)ابن عذاري، البيان المغرب،ج2، ص30-31؛ ارسلان ،الحلل السندسية، ج1، ص 454؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص203-204.

(2)ذنون طه، التنظيم الاجتماعي ، ص188.

(3)ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص58؛ذنون طه،التنظيم الاجتماعي،ص188.

(4) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص45؛ أخبار مجموعة، ص87.

(5)أخبار مجموعة، ص86-87 .

(6)المقري، نفح الطيب، مج3، ص29.

ضد يوسف الفهري والصميل بن حاتم[1].

اختلط المسلمون مع أهل البلاد، لا سيما أنهم جاءوا إلى الأندلس دون نساء،فاضطروا إلى الزواج من أهل البلاد،[2] لأن الإسلام أباح للمسلمين الزواج،وذلك من باب سد الذرائع، لقوله تعالى:"وإن خِفتُمْ الاَّ تَقسِطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع،فإن خفتم ألاَّ تعدلوا فواحدةً أو ما ملكت أيمانُكُم ذلك أدنى ألآ تعولوا"[3].

ولا شك بأن غالبية المسلمين في الأندلس قد ارتبطوا بعلاقات مصاهرة مع أهل البلاد، وقد أدى هذا بالتأكيد إلى زيادة انتشار الإسلام في الأندلس، فلم يكد عصر الولاة يأتي على نهايته حتى كانت الأندلس بلداً إسلامياً [4].وقد احترم المسلمون الممتلكات الخاصة، فلم يعتدوا عليها، وكان بإمكانهم أن يفعلوا ذلك لا سيما المتنفذين منهم كالصميل بن حاتم أو الموالي الشاميين ،ولكننا نجد أن بعضاً من هؤلاء،كما يروي ابن القوطية، يذهبون إلى أرطباس، ويطلبون منه أن يمنحهم جزءاً من ضياعه الكثيرة التي لم يمسها المسلمون،فيمنحهم عشرة ضياع لكل منهم، وفي الوقت نفسه يطلب إليه ميمون العابد "أحد الموالي الشاميين"أن يعطيه إحدى ضياعه ليعتمرها بيده، ويؤدي إليه الحق منها مناصفة، فلم يرضى أرطباس بذلك، بل وهب له ضيعة وقلعة،أصبحتا له ولأعقابه. وهذا بطبيعة الحال يدل على المكانة التي كان يتمتع بها سادة البلاد الأصليين، وتواضع المسلمين مع أهل البلاد[5].

3.4التنظيم الاجتماعي لأهل الذمة في ظل الحكم الإسلامي

كان المجتمع القوطي قبل مجيء المسلمين إلى الأندلس يتكون من طبقات ثلاث

---

(1)ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص46؛ أخبار مجموعة، ص85؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 44-45؛ البالوي، قلائد الذهب، ص 142.

(2)ذنون طه، التنظيم الاجتماعي ، ص188.

(3)النساء،آية 3.

(4)ذنون طه، التنظيم الاجتماعي ، ص188.

(5)ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص58-59.

وهـــم: كبار ملاك الأراضي والنبلاء، والعبيد ،والأغلبية الساحقة من السكان الذين يكونـــون الطـــبقة العامة،وكان هؤلاء من البسطاء الذين ينتمون إلى أصول قوطية ورومانية،وكانـــت ظـــروفهم الاقتصــــادية صعبة،فأضـــطر الكثير منهم إلى تسليم ممـــتلكاتهم إلـــى النبلاء،فرضوا بالعمل كمستأجرين لأراضيهم لقـــاء حماية النبلاء لهـــــم[1]. وتميزت هذه الفترة بشدة الفتن والكوارث من كل لون ،مما يجعلها فترة أزمة، انحلت بلا شك بدخول المسلمين [2].

أمـــا بالنســـبة للناحية الدينية فقد كانت المسيحية هي ديانة الغالبية العظمى من الســـكان،ولكن الأســـبان الرومان كانوا يعتنقون المذهب الكاثوليكي،بينما كان القوط الغربـــيون يديـــنون بالمذهب الأريوسي،لكنهم تحولوا إلى مذهب غالبية السكان[3]، كانت الكنيسة الكاثوليكية قد اشتد نفوذها في شبة جزيرة إيبيريا،فوجهوا جهودهم إلى تنصير اليهود بالقوة ،وهذا أدى إلى اضطهاد اليهود وازدياد حقدهم على الكنيسة [4].

ومـــع دخـــول الإسلام إلى الأندلس،تغيرت الصورة كاملة، لأن الإسلام قضـى علـــى الظلـــم، والاستغلال، وحمل الحرية الدينية والمساواة لجميع عناصر السكان الذين تخلصوا من قيود الطبقة النبيلة وتحكمها في مصائرهم، وعلى مرّ السنين دخل الكثير من الأسبان في الإسلام وكثر التزاوج بين الفاتحين والأسبان بحيث نشأ جيل كبير من المولدين الذين يحملون في عروقهم دماء أسبانية إضافة إلى الدماء العربية والـــبربرية،وترك المسلمون لأهل البلاد حق اتباع قوانينهم والخضوع لقضائهم[5]، كذلك سمحوا للنصارى في كل ناحية من الأندلس باختيار رئيس منهم يدعى "قومس" أو زعيم نصارى الذمة،وهو مسؤول عن كل ما يتصل بشؤون رعاياه[6].

---

(1)ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي، ص81-86.

(2)الجيوسي، الحضارة العربية ، نشر بيير غيشار، ج2، ص965.

(3)ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي، ص86/التنظيم الاجتماعي ، ص190.

(4)حتاملة، الأندلس، ص54؛ صقر،الفتح الإسلامي ، ص90 .

(5)أرسلان، الحلل السندسية،ج1،ص454؛ ذنون طه، التنظيم الاجتماعي، ص190.

(6)ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس،ص58؛سالم، تاريخ المسلمين ، ص130.

واما اليهود فكانت لهم قوانينهم الخاصة بهم،وقضاتهم الذين يفصلون في مشاكلهم،شأنها في ذلك شأن النصارى،ولم يتدخل المسلمون في شؤونهم(1).والواقع أن المعلومات قليلة عن أحوال الجماعات اليهودية في العصور الإسلامية الأولى في الأندلس ،لا سيما في عصر الولاة،ولكن من الطبيعي أن تكون أحوالهم أفضل بكثير مما كانت عليه أيام القهر والاضطهاد على يد القوط (2).

4.4التنظيم الإداري

انشغل يوسف الفهري عن التنظيم الإداري في الأندلس،ولذلك بقيت الأندلس مقسمة إلى خمس ولايات،كما كانت في الفترة التي سبقت ولاية يوسف الفهري قبل دخول المسلمين،وذلك على النحو الآتي (3):

1-ولاية باطقة (Baetica)القديمة:وتقع بين نهر وادي يانة والبحر الأبيض المتوسط، وأشهر قواعدها قرطبة،وقرمونة، وإستجة، وإشبيلية، وشذونة، ولبلة، ومالقة،والبيرة،وجيان.

2-ولاية طليطلة(Toledo) :وهي ولاية قرطاجنة القديمة،وتمتد من جبال قرطبة في شمال شرق ولاية الأندلس حتى نهر دويرة،وجبال وادي الحجارة شمالاً، وأشهر قواعدها طليطلة،ومرسية، ولورقة، وأوريولة، وشاطبة، ودانية، ولقنت، وبلنسية، ووادي الحجارة، وقونقة.

3-ولاية ماردة (Merida): وهي ولاية جليقية القديمة، وتمتد فيما وراء نهر وادي يانة شرقاً حتى المحيط الأطلسي، وأشهر قواعدها ماردة، وباجة، ولشبونة، وأسترقة، وسمورة،و شلمنقة.

4-ولاية سرقسطة(Zaragoza):وهي ولاية كانتبريا القديمة،وتمتد من منابع نهر تاجة شرقاً،على ضفتي نهر إيبرو حتى جبال البرنية وبلاد البشكنس،وأشهر

---

(1)ذنون طه، التنظيم الاجتماعي ، ص190-191.

(2)عبد العزيز، يهود الأندلس، ص98.

(3)انظر:عنان، دولة الإسلام،ق1، ص132-133.

قواعدهاقواعدهـــا سرقســـطة،وطركونة، وبرشـــلونة، وأرقلـــة، ولاردة، وطرطوشة، ووشقة.

5-ولاية أربونة (Narbonna):وهي ولاية الثغر، وتقع شمال شرقي جبال البرنية، حتى البحر، وأشهر قواعدها أربونة، وقرقشونة، وأجدة، وبزيية، وماجلونة.

أما بالنسبة للعوامل التي اشغلت يوسف الفهري عن التنظيم الإداري، فهي على النحو الآتي:

1-كانت نظم الإدارة والحكم أثناء عصر الولاة مضطربة ومزعزعة بسبب اختلاف الولاة عليها من قبل أمراء إفريقية [1].

2-ضعف الوالي يوسف الفهري بالسلطة والإدارة [2].وربما يكون سبب ضعفه هو تقدمه في السن، فقد كان سنه عندما تولى ولاية الأندلس سبعةً وخمسين عاماً [3]، وكذلك تسلط صاحبه الصميل بن حاتم عليه.

3-لقد نشأت تركيبة اجتماعية وعرقية خاصة في الأندلس كانت سبباً في نشوء الفتن والاضـــطرابات التي كانت تؤججها سوء الإدارة أحياناً، فكان هناك العرب والـــبربر والأسبان، والعرب انقسموا بدورهم إلى قيسية ويمنية مع ما رافقها من فتن كبيرة وكان هناك البربر والتنافس التقليدين بينهم وبين العرب.

---

(1)أخبار مجموعة، ص62-63/80-82؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص212-213 ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص9.

(2) S.M .Imamuddin ،Economic History Of Spain ،Page 413

(3) عنان، دولة الإسلام،ق1، ص130.

الفصل الخامس

الحياة الاقتصادية في الأندلس (129-138هـ/747-756م)

تأتــي أهمــية الجانب الاقتصادي في الأندلس من خلال اعتباره إحدى الركائز الأساسية للحضارة العربية الإسلامية التي ازدهرت وتقدمت إلى حدٍ كبير،فقد شهدت بلاد الأندلس نهضة حضارية رائعة ومتميزة بدأت مع الفتح الإسلامي مروراً بعصر الــولاة حتى بلغت تقدماً في عهد الدولة الأموية (1)،وقد امتزجت الحضارة العربية الإسلامية بما سبقها من حضارات،فكانت تتفاعل مع هذه الحضارات حتى أصبحت مركز إشعاع وتطوير سواء إبان العهد الإسلامي أم بعده (2).

ويحــتوي هــذا الفصــل الدراسي على جوانب الحياة الاقتصادية في الأندلس، فســأبدأ بالحديث حول أهم هذه الجوانب وهو الزراعة من خلال العوامل التي تؤثر فيها، وأهــم المراكز الزراعية والنباتات التي عرفها المسلمون بهذه البلاد،و سأسلط الضوء على موضوعي القحط والجوع الذي أصاب الأندلس سنة 131هــ/748م، ثم ســأتناول الجانــب الثاني وهو الصناعة موضحاً أهم المواد الأولية التي دخلت في الصناعة وأنواع الصناعة في الأندلس، وسأختم هذا الفصل بالحديث عن التجارة،من حيث مواد وسلع التصدير والاستيراد والعملة السائدة في تلك الفترة.

1.5 الزراعة

أ-العوامل التي تؤثر فيها

1-المُناخ:وهو حالة الجو لفترة زمنية طويلة، ويُعدُّ من أهم عوامل التغير الزراعي، ويؤثــر تأثيراً مباشراً في الاستقرار البشري وكذلك الإنتاج النباتي،وفيما يلي توضيح لمناخ الأندلس، وأثره على الإنتاج الزراعي.

وصف بعض المؤرخين الأندلس بأنها(3):"شامية في طيبها وهوائــها، ويمانية

---

(1)حتاملة، الأندلس، ص1028.

(2) حتاملة، الأندلس ،ص1078.

(3)القزويني،آثار البلاد،رواية العذري،ص504؛الحميري،الروض المعطار،ص3.

في اعتدالها واستوائها،وهندية في عطرها وذكائها"و"معتدلة الهواء أكثر الأزمان"[1] و"حسنة الهواء" [2]، وبالتالي فإن مناخ الأندلس يتميز بالاعتدال، ويتلاءم مع التنوع الزراعي ، فدرجات الحرارة تتفاوت من منطقة إلى أخرى، ومن فصل إلى آخر،ففي المناطق الداخلية ترتفع درجات الحرارة صيفاً بينما تنخفض تلك الدرجات شتاءً [3]، وتختلف مواقع الأمطار وهبوب الرياح بالأندلس، فذكر المقري أن الجهة الشرقية من الأندلس تمطر بالرياح الشرقية،فتسيل الأودية وتصب المياه في البحر الأبيض المتوسط، وأما الجهة الغربية فتمطر بالرياح الغربية وتصب مياهه في المحيط الأطلسي[4].

وفي وصف هواء الأندلس يقول الشاعر ابن سفر المريني[5]:

وللهواء بها لطفٌ يرقّ به ... من لا يرقُّ لآلي الطلُّ أنداء

ليس النسيم الذي يهفو بها سَحَراً ... في ماء وردٍ فطابت منه أرجاء

وتعتبر الأندلس في موقعها الجغرافي (الجنوب الغربي من القارة الأوروبية)

---

(1)المقري، نفح الطيب، مج 1،ص 140/130.

(2)ابن الخطيب،أعمال الأعلام،ص4؛الزهري،أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت:565 هـ/1170م)، كتاب الجغرافية،تحقيق محمد الحاج صادق،مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، بور سعيد د.ت،ص80.وسيشار إليه فيما بعد: الزهري، الجغرافية.

(3)ابن الخطيب،أعمال الأعلام،ص4؛عسل،محمد سامي،أوروبا:دراسة في جغرافية القارة الطبيعية والبشرية،مكتبة الأنجلو المصرية،د.ط، د.ت،ص94.وسيشار إليه فيما بعد: عسل،أوروبا.

(4)المقري، نفح الطيب، مج1، ص131.

(5)المقري، نفح الطيب، مج1، ص209.ابن سفر المريني:أبو الحسين محمد بن سفر المريني،وهو أحد الشعراء المتأخرين عصراً المتقدمين قدراً،وهو شاعر المرية في عصره الذي يغني ما أنشده من شعره عن الإطناب في التنبيه على قدره.أنظر الوائلي،عبد الحكيم،موسوعة شعراء الأندلس،دار أسامة للنشر والتوزيع،ط1،عمان 2001م، ص 161.وسيشار إليه فيما بعد:الوائلي، موسوعة .

من المناطق التي تقع ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي[1]، وبالتالي فإن للمناخ المعتدل أثرٌ كبيرٌ في التنوع الزراعي الذي ساد بلاد الأندلس.

2-الموارد المائية :

تُعدُّ الموارد المائية من أهم عناصر النهوض الاقتصادي،وعامل مهم للاستقرار البشـــري،حيث يســتقر الناس ويجتمعون حول مصادر المياه،وإذاننظر إلى مصادر المياه في الأندلس نجد أنها تتمثل في مياه الأمطار،والأنهار،والعيون والآبار[2] .

أ-مياه الأمطار:وهي من أكثر مصادر المياه نفعاً على الإطلاق [3]، وتوزيع مـــياه الأمطار في الأندلـــس ليس متساوياً، فالسواحـــل الغـــربية غزيـــرة بالأمطار والتي تصـــل إلى 750 ملم سنوياً [4]،أما بالنسبة لهضبة الميزيتا[5]

---

(1)الإشبيلي،أحمد بن محمد بن حجاج،(ت:467هـ/1075م)،المقنع في الفلاحة، تحقيق صـــلاح جرار وجاسر أبو صفية ، تدقيق وإشراف عبد العزيز الدوري، منشورات مجمـــع اللغة العربية الأردني،د.ط ، 1982م،ص أ.(وسيشار إليه فيما بعد: الإشبيلي، الفلاحـــة)؛الجمل،محمـــود جـــلال الدين،أوروبا في مجرى التاريخ،دراسة جغرافية، د.ط،د.ت،ص485.وسيشار إليه فيما بعد:الجمل،أوروبا .

(2)المراكشي، المعجب، ص30.

(3)ابـــن بصـــال،عبد الله بن إبراهيم،(ت:ق5هـ/617م)،الفلاحة،نشر وترجمة فوسي مياس بيكروسا،محمد عزيحان،معهد مولاي الحسن،تطوان1955م،ص39.وسيشار إليه فيما بعد:ابن بصال،الفلاحة.

(4)هياجـــنة، محمد،الوضع الزراعي بالأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطيـــن، رسالة ماجستير، إشراف محمد حتاملة، الجامعة الأردنية 1989م، ص 48. وسيشار إليه فيما بعد: هياجنة، الوضع الزراعي.

(5)الميزيتا(Meseta):اسم مشتق من كلمة أسبانية،تعني أرض على شكل منضدة أو السـهل الواســع المرتفع وقد تكونت هذه الهضبة من صخور قديمه يرتفع معظمها أكـــثر مـــن 600م،وتشكل اقليماً طبيعياً.أنظر:الجمل،أوروبا،ص483؛ذنون طه،الفتح والاستقرار،ص68؛حتاملة،الأندلس،ص49.

فأمطارهـــا قلـــيلة،ومعظم أراضيها جافة[1]،وتحيط بهذه الهضبة سلسلة من الجـــبال، فمـــن الشـــمال تقع جبال كاتتبريان الإلتوائية، ومن الجنوب جبال ســـيرانيفادا(SierraNevada)، وتـــرتفع فوق الهضبة بعض السلاسل الجبلية القديمـــة مـــثل ســـيرادي جوادا راما التي تقسم الهضبة إلى قشتالة القديمة وقشـــتالة الجديـــدة.والمهم أن العرب استغلوا كميات الأمطار المتساقطة من الجبال، فجمعوها في خزانات كبيرة لاستخدامها في الزراعة وغيرها [2].

ب-مـــياه الأنهار:وتعتبر من المصادر الرئيسية التي يعتمد عليها السكان فى الشـــرب وري المزروعات، وقضاء حوائجهم، ولذلك فقد أصبحت المناطق التـــي تمـــر بها الأنهار من مناطق جذب السكان،ولا سيما أن أنهار الأندلس تميزت بالغزارة [3]، وأكثر ما يتجه انسياب مياه الأنهار باتجاه الغرب لتصب في المحيط الأطلسي، والسبب هو انحدار سطح الأرض نحو الاتجاه المذكور [4].هـــذا ويوجد بالأندلس أنهار كثيرة وعظيمة [5]، والتي بدورها تنقسم إلى قسمين اثنين وذلك حسب مصباتها:

القسم الأول:الأنهار التي تصب في المحيط الأطلسي وأهمها:

1-نهر الوادي الكبير(Quadaiquivir): ويعرف بنهر اشبيلية، وهو من أحسن أنهار الأندلس، فتحيطه البساتين والدور والقصور، وينبع مـــن جبل شقورة

---

(1)الجمل،أوروبا، ص488.

(2)حتاملة، الأندلس، ص1029؛ الأنصاري،فاضل،الجغرافية الاجتماعية،د.ط، جامعة دمشق 1978م، ص341.وسيشار إليه فيما بعد:الأنصاري،الجغرافية الاجتماعية.

(3) المقري، نفح الطيب، مج1، ص140/130؛القزويني،آثار البلاد، ص502-503.

(4)المسعودي، التنبيه والإشراف، ص68؛عسل، أوروبا، ص242-247.

(5)القزويني، آثار البلاد، رواية العذري، ص503؛ المقري، نفح الطيب، مج 1، ص 226؛ابن حوقل،أبو القاسم محمد النصيبي،(ت:367هـ/977م)،صورة الأرض، ط2، ليدن،1938، ق1 ،ص108. وسيشار إليه فيما بعد: ابن حوقل، صورة الأرض.

شرقاً ويصب في المحيط الأطلسي غرباً[1]، ويصـــل طوله ما يقارب 579 كلـــيو مـــتر في حين تبلغ مساحته (63700 كم مربع) [2]، ومن أشهر مدنه قرطبة [3].

2-نهر وادي آنه(Guadaina):وينبع من موقع يعرف"بفج العروس"،ويمر بقرية من قـــرى قلعة رباح يقال لها آنه،وربما من هنا جاءت تسمية هذا النهر،ثم يتجه هـــذا الـــنهر من هذه القرية إلى حصن أرنْد ومنه إلى ماردة ثم يمر بمدينة بطليوس،فيسير منها إلى مدينة شريس ليصب في المحيط الأطلسي [4].

3-نهـــر دويــــرة(GuadDouro):ويطلق عليه العرب"الوادي الجوفي"[5]،ومجراه لا يـــتجاوز125كم،ويسير في هضبة الميزيتا،ويصب في المحيط الأطلسي عند هضبة بورتو شمال قلمرية [6].

4-نهـــر وادي لُكّه(GuadTere) : ومنبعه جبل كاترونة في الجهة الشرقية من مدينة قادش، وتبلغ مساحته حوالي 40 فرسخاً [7]، ويصب في المحيط الأطلسي.

القسم الثاني:الأنهار التي تصب في البحر الأبيض المتوسط وأهمها:

1-نهـــر ابرو(RioEbro):ويسمى نهر سرقسطة(GuadSaragoss) وهو نهر كبير ومتسع الجوانب،ومياهه غزيرة،والذي ينبع من عين يقال لها "فونت

---

(1)العمري،مسالك الأبصار ،ج1،ص74؛ المقري، نفح الطيب، مج 1، ص226؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص145.

(2)الإدريسي، نزهة المشتاق،مج2، ص560؛ عسل، أوروبا، ص280.

(3)الإدريســـي،القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس-مقتبس من كتاب نزهة المشتاق-، ديـــوان المطـــبوعات الجامعـــية،د.ط، الجزائر 1983م ،ص264. وسيشار إليه فيما بعد:الإدريسي، القارة الإفريقية.

(4)القزويني، آثار البلاد، ص505-506 .

(5)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص273-274.

(6)الجمل،أوروبا،ص487.

(7)المقري، نفح الطيب، مج 1، ص 249 .

ابرهـــي"[1]،ويصب في البحر الأبيض المتوسط بنواحي طرطوشة [2]،ويبلغ طوله حوالي 200 ميل [3].

2-نهــر تاجـــه(Tago):وينبع من مدينة شنتبرية[4]،ويشق مدينة طليطلة،وتقع عليه مدينة طلبيرة،وهو من أطول أنهار الأندلس،حيث يبلغ طوله 1006كم[5].

3-نهرشقورة(Segura):ويسمى النهر الأبيض[6]،وينبع من مدينة شقورة في ويمر ببلنسية،ويسقي مسافات واسعة من المنطقة الشرقية من الأندلس [7].

وأنهـــار الأندلس كثيرة فقد ذكر المقري والزهري أن الأندلس يشقها أربعون نهراً [8]، منها ما يستخدم للزراعة كالتي ذكرناها،ومنها انهار عذبة [9]،كنهر العسل فـــي جـــنوب الأندلس [10]. ونظراً لكثرة أنهـــار الأندلس فقد ذكـــرنا أهمها كعامل هـــام من عوامل قيام وازدهار الزراعة في الأندلس.

ج-مـــياه العـــيون والآبـــار:ذكر الإدريسي أنّ:"بالأندلس مياه جارية وعيون مطردة،وكثير من مياه الآبار"[11]وذكر المقري أن الأندلس:"بها من العيون ما لا يحصى،ولا يتزود فيها أحـــد ماءً حيث سلك لكثرة أنهارها وعيونها"[12]

---

(1) العمري، مسالك الأبصار،ج1، ص76.

(2)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص278.

(3)القزويني،آثار البلاد، ص505.

(4)الاصطخري، المسالك والممالك، ص36.

(5)الحميري، الروض المعطار، ص127؛ عسل، أوروبا، ص251.

(6)الإدريسي، القارة الأفريقية، ص287-288.

(7)الزهري، الجغرافية ، ص99.

(8)المقري، نفح الطيب، مج 1، ص226؛ الزهري ، الجغرافية،ص80.

(9)ابن حوقل، صورة الأرض، ق1، ص108.

(10)الإدريسي، نزهة المشتاق، مج2، ص539.

(11)الإدريسي، نزهة المشتاق، مج2، ص528-530.

(12)المقري، نفح الطيب، مج 1، ص226.

وذكر ابن حوقل الأندلس فقال:" ويغلب عليها المياه الجارية" [1].

ومما سبق يتضح لنا أن الأندلس لا تخلو من مياه العيون والآبار،فمنها على سبيل المثال لا الحصر بئر تبعد عن مدينة طليطلة مسافة 40كم، والذي يقع على مسافة 16كم من مدينة مدريد [2]،كما ويوجد في مدينة الجزيرة الخضراء بئر عميقه ومياهها كثيرة وحلوة [3].أما بالنسبة لعيون المياه، فبلاد الأندلس مليئة بالعيون،وقد ذكر الحميري أن قرطبة "تروق بالعيون"[4]،وذكر أبو الفداء أن جيان"جمعت الكثير من العيون"[5].وتتغذى هذه العيون والآبار على مياه الأمطار الساقطة في فصل الشتاء، وقد جذبت هذه المياه السكان الذين استقروا بجوارها واستفادوا منها في شؤون حياتهم، وتعتبر المصادر المائية في الأندلس مختلفة ومتعددة فاستغلها السكان في الشرب وسقاية الأشجار والبساتين .

3-خصوبة التربة: تتمتع الأندلس بتربة خصبة [6]،تجعلها أكثر ملائمة لزراعة الأشجار وتنوعها،فذكر الحميري:" والأندلس بقعة كريمة طيبة التربة كثيرة الفواكه" [7]،فتعتبر السهول الداخلية من المناطق الواسعة داخل الأندلس،والتي تشتهر بخصوبتها، ولا سيما تلك التي تتكون تربتها من رواسب غرينية، كما هو الحال في السهول المحيطة بنهر الوادي الكبير [8]،وأما السهول الساحلية فهي كذلك تعتبر خصبة،فقد استغلها السكان بما عرفوا من المزروعات.

---

(1)ابن حوقل، صورة الأرض،ق1، ص108.

(2)الحميري، الروض المعطار، ص135.

(3)الإدريسي، القارة الإفريقية ،ص 263.

(4)الحميري،الروض المعطار، ص457؛الإدريسي، القارة الإفريقية، ص303؛ المقري،نفح الطيب،مج1، ص129-130.

(5)أبو الفداء،تقويم البلدان، ص177.

(6)الاصطخري، المسالك والممالك،ص35؛الإشبيلي، الفلاحة، ص أ.

(7)الحميري، الروض المعطار، ص32.

(8)الإدريسي، نزهة المشتاق، مج2، ص560.

وهذه السهول تقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

أ-السهول الساحلية الشرقية،وتحاذي ساحل البحر الأبيض المتوسط من أربونة في الشمال إلى قرطاجنة في الجنوب [1].

ب-السهول الساحلية الغربية،وتمتد على ساحل الأطلسي،وهي أكثر اتساعاً من السهول الساحلية الشرقية،لبعد السلاسل الجبلية عن تلك السواحل [2].

ج-السهول الساحلية الجنوبية،وتمتد من الركن الغربي عند جزيرة قادش إلى الركن الشرقي عند ميورقة [3].

أما بالنسبة للمرتفعات الجبلية،فتشتمل على أراضٍ واسعة وكثيرة الخيرات،وتعتبر أسبانيا من البلاد الجبلية التي استغلها السكان في الزراعة، ومن هذه الجبال:

أ-سلسلة جبال البرت(Albert) وتمتد من طرطوشة على ساحل البحر الأبيض المتوسط شرقاً وتنتهي عند المحيط الأطلسي غرباً [4].

ب-جبل الشارات، ويمتد هذا الجبل من الشرق إلى الغرب في وسط بلاد الأندلس،فيقسم الأندلس إلى قسمين جنوبي وشمالي، وفي جنوب هذا الجبل تأتي مدينة طليطلة [5].

ج-جبل الأغر،الذي يمر بالساحل الجنوبي حتى يصل بجبال البرت[6].

د-توجد سبعة جبال صغيرة متصلة ببعضها البعض،طولها من الغرب إلى الشرق نحو ميل، ويتصل بها من جهة الغرب جبل موسى بن نصير[7]،

---

(1)الأنصاري، الجغرافية الاجتماعية، ص269.

(2)القزويني،آثار البلاد، ص542.

(3)القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص212.

(4)أبو الفداء، تقويم البلدان، ص169.

(5)الإدريسي،قارة الإفريقية،ص256-257؛حميدة، جغرافية أوروبا،ص401-402.

(6)العمري، مسالك الأبصار،ج1، ص56-57.

(7)المقري، نفح الطيب، مج1، ص129.

وبالأندلس جبل يمتد من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي ماراً ببلنسية[1].

وقد وصف ابن سفر المريني أراضي الأندلس فقال[2]:

فــي أرض أندلــسٍ تُلتــــذُّ نَعمــاءُ ... ولا يفــارق فيــها القــلب ســرّاءُ
وليس مــن غيــرها بالعيــش منتفعٌ ... ولا تقوم بــحق الأُنــس صَهبــاءُ
وأين يُعــدلُ عــن أرضٍ تَحُضُ بــها ... علــى المــُدامــة أمــواهٌ وأفيــاءُ
فيها خلعــتُ عذاري ما بــها عِوضٌ ... فهي الرياضُ وكلُّ الأرض صحراءُ

4-دخول عناصر بشرية جديدة وخبرات جديدة مع الفتوحات الإسلامية إلى الأندلس، وتلا ذلك توسيع رقعة الأراضي المزروعة، وتطوير الزراعة[3].

وممــا ســبق نلاحظ أن كل من المناخ المعتدل وتنوع مصادر المياه من أمطار وأنهــار وعــيون وآبــار،وكذلك خصوبة التربة قد ساهمت كل هذه العوامل عملياً وواقعــياً فــي التنوع الزراعي وكثرة الاهتمام بالإنتاج الزراعي، فأصبحت الأندلس بذلك بطاحاً أخضراً [4].وفيما يلي عرض لأهم نباتات الأندلس ومدنها الزراعية.

ب:نباتات الأندلس ومدنها الزراعية

كانت الزراعة عماد الاقتصاد الأندلسي، فقد اهتم المسلمون بزراعة النباتات، فأصــلحوا وســائل الــري، وبنوا السدود، وشقوا القنوات والأنهار، وأقاموا عليها الجسور والقناطر [5].

ومــن مظاهر التقدم الزراعي عند المسلمين، أنهم زرعوا كل نوع من النباتات في التربة التي تلائمه، بعد أن درسوا صلاحية كل تربة، والنباتات التي تصلح للنمو

---

(1)أبو الفداء، تقويم البلدان، ص168؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص213.

(2)المقــري،نفح الطيــب،مج1،رواية ابن اليسع،ص209،مصطفى،عدنان صالح،في الشعر الأندلسي، نشر وتوزيع دار الثقافة،ط1،الدوحة 1987،ص17.وسيشار إليه فيما بعد:مصطفى،في الشعر الأندلسي.

(3)الإشبيلي، الفلاحة، ص أ.

(4)الإشبيلي، الفلاحة، ص أ.

(5)حتاملة ،الأندلس، ص1029.

فـيها، وبهـذه الطريقة أمكن استغلال الأراضي الزراعية، وكذلك اعتنى المسلمون بتسميد الأرض،بعد أن عرفوا السماد الصالح لكل نوع من النباتات [1].

لقـد تنوعـت النباتات والأشجار والمحاصيل الزراعية في الأندلس،واشتهرت الكثـير من المدن الأندلسية بالزراعة، ومن هذه النباتات،الزيتون وقد ذكر الإشبيلي الزيـتونة في الأندلس فقال:"فصارت الزيتونة شجرة الأندلس الأولى"[2]،حيث تكثر زراعـة الزيـتون فـي اشبيلية وخاصة بجبل الشرف [3]، وكذلك في سرقسطة[4]، وقسطلة، وشوذر[5]،ولبلة وافراغة،ولاردِة، ومكناسة [6].

وأمـا بالنسـبة لـزراعة التين فقد كانت أكثر بلدان الأندلس تيناً هـي بلّش أو(بلّس)[7]،ومن البلدان التي اشتهرت بالتين اشبيلية[8]،ومرسية[9]،ومالقة، ومربلة[10] وشريش[11]، وكذلك اشتهرت سرقسطة بـالتين اليابس[12] ولشبونة بالتين البري[13]،

---

(1)حتاملة ،الأندلس، ص1029.

(2)الإشبيلي، الفلاحة، ص أ.

(3)المقـري،نفح الطيـب، مـج1 ،ص208؛ الحمـيري،الروض المعطار،ص58؛ الإشبيلي، الفلاحة، ص أ.

(4)القلقشندي، صبح الأعشى،ج5،ص218.

(5)أرسـلان، الحلل السندسية،رواية المقدسي، ص269؛الإدريسي، القارة الإفريقية، ص266.

(6)الإدريسي،نزهة المشتاق، مج2،ص538.

(7)القلقشندي، صبح الأعشى،ج5، ص218.

(8)المقري، نفح الطيب، مج1، ص208؛ الإشبيلي، الفلاحة، ص أ.

(9)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص285؛ الإشبيلي، الفلاحة، ص أ.

(10)أبو الفداء،تقويم البلدان،ص175؛الإدريسي، القارة الإفريقية، ص298.

(11)الإدريسي، القارة الإفريقية،ص301؛ الإشبيلي، الفلاحة، ص أ.

(12)الزهري، الجغرافية، ص82.

(13)الحميري، الروض المعطار،ص61؛الإدريسي، القارة الإفريقية، ص272.

وللتين في الأندلس أنواع أخرى،كالأخضر في بلنسية[1].

أما شجر الموز فذكر القزويني أنه يكثر بسواحل البيرة [2]،في حين ذكر المقري أن الموز يزرع في سواحل الأندلس[3]،وقد اشتهرت بزراعته منطقة المنكب [4].

اشتهرت بعض المدن الأندلسية بزراعة الرمان،ومن هذه المدن طليطلة[5]،وذكر الإدريسي أن في الأندلس وادي للرمان يقع غرب حصن المدور قرب قرطبة[6].

وكان لغلات الحبوب كالقمح والشعير مدنها التي اشتهرت بها ،فجيان من أشهر بلاد الأندلس زراعة للقمح والشعير [7]، واشتهرت مدينة يبورة بزراعة الحنطة بكثرة[8]،ومن مدن الحبوب بلشانة[9]،وشنترة[10]،وحصن بيانة[11]،وطلبيرة[12]، وبرشلونة[13]،وأرجونة[14] وكانت الحنطة تزرع بشكل واسع في منطقة تطيلة وفي جهات استجة،ويبدة،وبياسة، وشريش [15]،ووجدت مدن اشتهرت بزراعة الحبوب

---

(1)الزهري،الجغرافية، ص102.

(2)القزويني، آثار البلاد، ص502.

(3)المقري، نفح الطيب، مج1، ص200/137.

(4)القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص218.

(5)القلقشندي، صبح الأعشى،ج5، ص228.

(6)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص302.

(7)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص296.

(8)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص268.

(9)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص300.

(10)المقري، نفح الطيب، مجلد1، ص164.

(11)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص299.

(12)الزهري، الجغرافية، ص85.

(13)الحميري،الروض المعطار،ص87.

(14)أرسلان، الحلل السندسية، ج1،رواية المقدسي، ص269.

(15)الإشبيلي، الفلاحة، ص أ .

وحفظه لفترات طويلة كسرقسطة التي كانت تحفظ القمــح[1]،وطليطلة التي اشتهرت بحفظ مختلف الغلال [2].

أمـــا زراعة الأعناب فقد اشتهرت به كل من شنتمرية (شنت مارية)[3]التي تقع فـــي الجــنوب الغربـــي مـــن الأندلس،و بجاية[4]،وسرقسطة[5]،وبلّش[6]، ومرسية، وقلمرية، وشريش، ودورقة،ووادي آش[7].

ومن النباتات أيضاً الجوز الذي يزرع في مالقة[8]،وغرناطة،وحصن فريرة[9]، القريب من مدينة بجانة والنخيل في ألش[10]،وفاكهة الكــمثري[11]،في بلنسية،وحصن كلـــر القريـــب من مدينة بجانة[12].وأما شجر التوت الذي يستفاد منه في تربية دودة الحريـــر،فقد زرعـــه الأندلسيون بكثرة في حصن شنش[13]،وكذلك كانت جيان تقوم بتربية دودة الحرير[14].

---

(1)المقـــري، نفـــح الطيب، مج1، ص197؛ الزهري، الجغرافية، ص82؛الإشبيلي، الفلاحة، ص ب.

(2)القزويني، آثار البلاد، ص545؛ الزهري، الجغرافية، ص83.

(3)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص266؛ الإشبيلي، الفلاحة، ص ب.

(4)القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص216.

(5)المقري، نفح الطيب، مج1، ص197.

(6)القلقشندي، صبح الأعشى، ج54، ص218.

(7)الإشبيلي، الفلاحة، ص ب.

(8)الزهري، الجغرافية، ص94.

(9)القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص216.

(10)القزويني، آثار البلاد، ص502.

(11)الإشبيلي، الفلاحة، ص ب.

(12)المقري، نفح الطيب، مج1، ص179؛ الإدريسي، القارة الإفريقية. ص294.

(13)المقري، نفح الطيب، مج1، ص164.

(14)أبو الفداء،تقويم البلدان،ص177؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص219.

بجاية من أكثر المدن التي اشتهرت بزراعة الكتان بكثرة[1].

وزرعت بالأندلس أشجار أخرى كالقسطل في غرناطة[2]،ومالقة[3]،والتفاح في مديـــنة شلب[4]،وأشبونة[5]،ومالقة[6]،واللوز في غرناطة[7]،فذكر أبو الفداء أن اللوز يكـــثر فـــي مديـــنة مالقة[8]،وأما زراعة القطن فذكر الزهري[9]أن القطن يزرع في سرقسطة وذكر الإشبيلي أن اشبيلية اشتهرت بالقطن[10].

ذكر المقري أن باشبيلية القرمز[11]،وذكر أيضاً أن الأندلسيين زرعوا الأفاوية (التوابل والبهارات) وهي على عدة أصناف منها السنبل والقرنفل والصندل والقرفة وقصب الذريرة[12] ،والتي انتشرت زراعتها في غرناطة [13].

هـــذا وقـــد اشتهرت سرقسطة بزراعة الفول والحمص والأجاص والخوخ[14]، واشتهرت طرطوشة بزراعة الخرّوب "الذي يقطر عسله تحت شجره"[15]، واشتهرت

---

(1)القزويني،آثار البلاد، ص159.

(2)القلقشندي، صبح الأعشى،ج5،ص216.

(3)الزهري، الجغرافية، ص94.

(4)الحميري،الروض المعطار،ص342.

(5)الزهري، الجغرافية، ص84.

(6)الزهري، الجغرافية، ص94.

(7)الحميري، الروض المعطار، ص46.

(8)أبو الفداء، تقويم البلدان، ص175.

(9)الزهري، الجغرافية،ص82.

(10)الإشبيلي، الفلاحة، ص ب.

(11)المقري، نفح الطيب، مج1، ص208.

(12)المقري، نفح الطيب، مج1، ص199/130.

(13)القزويني، آثار البلاد، ص547.

(14)الزهري، الجغرافية، ص82.

(15)الزهري، الجغرافية، ص103.

معظم المدن الأندلسية بزراعة الفستق والبندق(1).

ج:القحط والجوع في الأندلس سنة 131-136هـ/748-753م:

شـــهدت بلاد الأندلس في أعقاب سنة 130هــ/747م أزمة اقتصادية شديدة ،فقد أصـــيب المسلمون بالقحط والجوع، إذ أمحلت الأندلس سنة 131هــ/748م(2)،واستمر هـــذا القحط والجوع حتى سنة 136هــ/753م، حيث "استحكم الجوع والقحط في سنة أربع وثلاثين وسنة خمس وبعض سنة 136هــــ"(3)وخرج أهل الأندلس إلى المغرب، وخفّت البلاد من سكانها(4).

ومما لا شك فيه أن هذا القحط والجوع قد أصاب بلاد الأندلس عملياً وواقعياً، وسبّب أزمة اقتصادية التي تعود أسبابها إلى :

1-الحـــروب العنيفة المتواصلة التي شهدها عصر الولاة على العموم، والتي قامت بين العرب والبربر،وبين العرب أنفسهم (القيسية واليمنية)،بالإضافة إلى قيام الـــثورات ضد ولاية يوسف الفهري بسبب ارتفاع نسبة الجباية،كثورة عروة بـــن يـــزيد فـــي باجة(5)، وليس من شك في أن هذه الحروب والثورات قد ســـاهمت إلـــى حدٍ كبير في انتشار القحط والجوع الذي عمَّ الأندلس،ويمكن تفسير ذلك كما يلي :

أ-من المؤكد أن هذه الحروب المتواصلة قد أشغلت الأطراف المشاركة في الحرب من عرب وبربر عن تعمير الأرض والقيام بزراعتها والاهتمام بها، الأمر الذي أدى إلى تدهور الإنتاج النباتي شيئاً فشيئا،ومن ثم انتشار القحط .

---

(1)المقـــري، نفـــح الطيـــب، مـــج1، ص137؛ القزوينـــي، آثار البلاد، ص505.

(2)ابـــن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص38؛ أخبار مجموعة، ص83؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج5، ص492.

(3)ابـــن عـــذاري، البـــيان المغـــرب،ج2، ص38؛ أخـــبار مجموعة، ص83؛ ابن الأثير،الكامل في التاريخ، مج5، ص492.

(4)أخبار مجموعة، ص83؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص38.

(5)أنظر: الدراسة ص63-64.

ب-انشغال ولاة الأندلس أنفسهم بهذه الحروب،فقد اضطربت الأندلس سياسياً خـــلال فـــترة عصـــر الولاة،ولم يستطع ولاة الأندلس المحافظة على الأمن والاستقرار والهدوء،لأن الوالي نفسه كان يشارك أحياناً بهذه الحروب، فعبد الملك بن قطن الفهري استدعى بلـــج بن بشر القشيري للقضاء على ثورات البربر،ثم قام هذا الأخير بعد أن تولى ولاية الأندلس بالقضاء علـــى البربر فـــي مـــوقعة وادي سليط سنة 124هـــ/742م، وأخيراً عندما تولـــى يوسف الفهري ولاية الأندلس سنة 129-138هـ/747-756م ،قاد بتدبير الصميل ابن حـــاتم حرباً على اليمنية،والتي تمثلت في موقعة شقندة سنة 130هـ/748م. ولا ننسى أن الأمن والاستقرار من أهم عوامل النمو الاجتماعي والاقتصادي وخاصـــة الـــزراعة،فهذه الحروب قد حالت دون توفر هذين العاملين، مما انعكس سلباً على الاستقرار الاجتماعي والإنتاج النباتي،ففي تلك الفترة كانت الزراعة تتراجع إلى أن عمّ القحط والجوع كل أنحاء الأندلس،وربما لم يدرك الولاة خطر هذا التراجع .

ج-كانـــت هذه الحروب غالباً ما تقع في المناطق الزراعية الخصبة، فعملت هذه الحروب على تدمير هذه المناطق وتخريبها(1).

2-أشار بعض المؤرخين إلى امتداد القحط والجوع عدة سنوات،فيقول ابن عذاري: "وفـــي سنة 131أمحلت الأندلس،وعمّ المحل،وتمادى إلى سنة136"(2) "وخرج أكـــثر الـــناس إلى طنجة"(3)ويقول ابن الأثير:"ثم توالى القحط على الأندلس وجلا أهلها عنها وتضعضعت إلى سنة 136"(4)،وكان خروج أهالي الأندلس إلى المغرب من وادي"وادي برباط" بكورة شذونة في جنوب الأندلس(5)،

---

(1)حتاملة، الأندلس، ص159.

(2)ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص38.

(3)ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص38.

(4)ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج5، ص492.

(5)الإدريسي، نزهة المشتاق، مج2، ص540.

كمـــا أخبر عنها صاحب أخبار مجموعة بقوله: "فتلك السنون سني برباط"[1] وقــد بلـــغ من تأثير السنين أن مات كثير من الناس جوعاً[2].

وبالتالـــي ليس من شك في أن خروج أهل الأندلس إلى المغرب بسبب القحط والجوع قد أدى إلى زيادة حجم القحط،ولذلك فقد تمادى القحط والجوع حتى استمر ســنيناً طويلـــة.هذا ولم يسلم من المجاعة التي حلّت بالأندلس سوى إقليم سرقسطة، وربمـــا يكـــون السبب أن العـــرب –ومعظمهم من اليمنية –الذين استقروا في ذلك الإقليم لم يشتركـــوا في الحروب، بل ظلـــوا على حالهم يزرعون الأرض ويعتنون بهـــا[3]،وبقي هذا الإقليم في حال من الرخاء ووفرة الخير، ولما وصله الصميل بن حـــاتم وجـــد قومه في سعة،وأن العرب الذين مستهم المجاعات بدأوا يتوافدون إليه لوفرة الخير،وأقام الصميل في سرقسطة فترة الشدائد التي تتابعت على الأندلس[4].

2.5الصناعة

تشـــكل الصـــناعة الجانـــب الثاني من جوانب الحياة الاقتصادية التي انتشرت وازدهرت في الأندلس،فقد عرفت المدن الأندلسية أنواعاً مختلفة للصناعة،كالغذائية والنســيجية والتعدينـــية،وقد اعـــتمدت هـــذه الصـــناعات على مجموعة من المواد الأولية،فالصـــناعة الغذائية والنسيجية،قامتا على الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية، وأما الصناعة التعدينية فقد نشأت وتطورت نظراً لتوفر المعادن بكثرة في الأندلس.

وسأتحدث ضمن الجانب الصناعي، حـــول موضوعين هما :

أ-المواد الأولية التي تدخل في الصناعة الأندلسية

ب-أنواع الصناعات وأهم مراكزها

أ-المواد الأولية التي دخلت في الصناعة الأندلسية

نشأت الصناعة في الأندلس بالاعتماد على مجموعة من المواد الأولية الهامة

---

(1)أنظر:أخبار مجموعة، ص83؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص38.

(2)أخبار مجموعة، ص83.

(3)أخبار مجموعة، ص83-84.

(4)مؤنس، فجر الأندلس، ص235.

التي توفرت بالأندلس قبل مجيء المسلمين،حيث كان لهذه المواد أثرٌ كبيرٌ في إنشاء المصانع، وأهم هذه المواد:

1-المنــتجات الزراعية:وهي من أهم المواد التي دخلت في الصناعة، فقد انتشرت الــزراعة وتنوعــت بشكل كبير في شتى أنحاء المدن الأندلسية [1]،و دخلت المنتجات الزراعية في الصناعة الغذائية والنسيجية.

2-الــثروة الحيوانــية:ونظــراً لاهــتمام أهالي الأندلس بتربية المواشي كـــالأبقار والأغــنام[2]،فقــد استفادوا من مشتقاتها الغذائية، فانتشرت لذلك الصناعات الغذائية من المنتجات الحيوانية.

3-الثروة المعدنية:اشتهــرت الأندلس في الصناعة التعدينية،بسبب توفر ثروة كبيرة مـــن المعـــادن كالذهب والزئبق[3] و الــرصاص[4] والفضة والـــلازورد والتوتيا[5] والزاج[6]،والنحاس[7]،والحـــديد[8]،والكبريت[9]الأحمر، والأصفر،

---

(1)انظر الدراسة: ص118-122.

(2)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص271/276.

(3)الزهري،الجغرافية،ص82/87/95؛الإدريسي،القارة الإفريقية،ص271/275.

(4)ابـــن حوقل،صورة الأرض،ق1،ص114؛ابن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص1؛ القزويني،آثار البلاد،ص503.

(5)الحميري، الروض المعطار، ص32؛ القزويني، آثار البلاد،ص503؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص 1.

(6)ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص1؛ الحميري، الروض المعطار، ص32/ صفة جزيرة الأندلس، ص1.

(7)ابـــن عذاري،البيان المغرب،ج2، ص1؛الحميري،صفة جزيرة الأندلس، ص1؛ الزهري،الجغرافية،ص90؛المسعودي،التنبيه والإشراف،ص76.

(8)القزويني، آثار البلاد، ص503؛الحميري، الروض المعطار، ص32/صفة جزيرة الأندلس، ص1؛ الإدريسي،القارة الإفريقية، ص267/302.

(9)الزهري، الجغرافية، ص99؛ابن حوقل، صورة الأرض،ق1، ص114.

والكحل[1]، والصفر[2] وبالإضافة إلى ذلك فقد توفرت بالأندلس الأحجار الكريمة كالياقوت والبلور[3]،كما ويوجد في الأندلس أنواع أخرى للمعادن كالمغناطيس[4]، والعنبر الذي يوجد في جهاتها الغربية[5] وخاصة شنترين، فقد ذكر الاصطخري العنبر فقال:"ولم نعلم ببحر الروم والبحر المحيط موضع عنبر إلا بشنترين"[6]،وذكر أيضاً أن بمالقة"السَّفَن"وهو جلد خشن غليظ كجلود التماسيح يكون على قوائم السيوف[7]،ويوجد بالأندلس الزجاج[8]، والمنغنيسيا واللؤلؤ والمرجان والقصدير والطَّلق[9]،وأما برادة الذهب والتبر فتوجد في لشبونة[10]،كما وتشتهر الأندلس بكثرة الرخام[11] كالخمري،والأحمر،والأبيض[12]،ويكثر الرخام في حصن قسنطينة[13].

---

(1)القزويني، آثار البلاد،ص503.

(2)الحميري، الروض المعطار، ص46.

(3)القزويني،آثار البلاد، ص503.

(4)القزويني،آثار البلاد، ص503؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص142.

(5)القزويني،آثار البلاد، ص503.

(6)الاصطخري، المسالك والممالك، ص35.

(7)الاصطخري، المسالك والممالك، ص35.

(8)الزهري،الجغرافية، ص87؛القزويني،آثار البلاد،ص245؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص374.

(9)المقري، نفح الطيب، مج1، ص142-143.

(10)ابن عذاري، البيان المغرب،ج2، ص16؛القزويني،آثار البلاد، ص547؛ الإدريسي، القارة الإفريقية، ص271.

(11)الزهري، الجغرافية، ص82/86؛القزويني،آثار البلاد، ص502.

(12)أبو الفداء، تقويم البلدان،ص147.

(13)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص302.

ب-أنواع الصناعة في الأندلس:

لقد نشأت مختلف الصناعات الأندلسية الغذائية والنسيجية والتعدينية إبان عهود المسلمين في الأندلس،حيث تعتبر المواد الأولية السابقة الذكر بالإضافة إلى دخول الخبرات الجديدة مع العناصر العربية والبربرية إلى الأندلس زمن الفتح الإسلامي لهـا يُشكِّلان معاً عاملاً هاماً لتطور هذه الصناعات،ومن ثم ازدهارها في الاندلس خلال عصر الإمارة والخلافة(1).وفيما يلي عرض لأهم الصناعات في الأندلس:

1-**الصناعة الغذائية**:وتقسم إلى قسمين حسب مصدرها:

أ-المنتجات الحيوانية:انتشرت في الأندلس تربية المواشي، فذكر ابن حوقل أن الأندلس "رخيصة الماشية لكثرة المراعي، وغزيرة النتاج والمواشي"(2) فاشتهرت مدينة طليطلة بتربية الأبقار والأغنام وخاصة في جبل الشارات الذي يقع في الجهة الشمالية من طليطلة(3)،وقد اهتم الأندلسيون بتربية المواشي واستفادوا من مشتقات الأبقار والأغنام كاللبن والسمن واللحم، فكانت مدينة القصر تشتهر بكثرة هذه المشتقات(4)،ومن المدن التي تشتهر بتربية الأغنام والأبقار بشكل كبير مدينة قلمرية(5).وبمدينة لشبونة"غنم ما لا يؤخذ عده"(6)،كما واشتهرت مدينة شقورة وخاصة جبلها المسمى جبل شقورة بتربية الماشية(7)، وقد اشتهرت مدن أخرى بإنتاج اللحوم وبيعها كمدينة

---

(1)حتاملة،الأندلس، ص1056.

(2)ابن حوقل، صورة الأرض،ق1، ص115.

(3)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص276.

(4)ابن حوقل، صورة الأرض،ق1، ص115؛ الزهري، الجغرافية، ص98، الحميري، الروض المعطار، ص60؛ الإدريسي، القارة الإفريقية، ص268/271/272 /276.

(5)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص271.

(6)الحميري،الروض المعطار،ص60؛ الإدريسي، القارة الإفريقية، ص272.

(7)الزهري، الجغرافية، ص98.

جيان[1]،واهتم الأندلسيون كذلك بتربية النحل لإنتاج العسل فاشتهرت به مدينة باجة [2]،وقد ذكر الحميري أن العسل يوجد بمدينة برشلونة [3]،وذكر الإدريسي أن العسل يكثر في مدينة جيان[4]،ووجه الأندلسيون اهتمامهم. بتربية الخيول لأغراض القتال والحروب[5].وذكر الزهري أن وجود حيوانات كالأسود والنمور والغزلان بالأندلس يعتبر قليل [6].

ب-المنتجات الزراعية:ذكر الإشبيلي أن بعض الصناعات الأندلسية تقوم على أساس الزراعة[7]،فقد اشتهرت الأندلس وخاصة مدينتي سرقسطة وطليطلة[8]بحفظ حبوب القمح والشعير،وكذلك حفظ الفواكه وتجفيفها للاستفادة منها في أوقات لا تكون فيه متوفرة[9]، وأما صناعة الزبيب فقد ذكر الإدريسي أن" بقرية شاط زبيب حسن الصفة كبير المقدار،أحمر اللون يصحب طعمه مزازة ويتجهز به إلى كل البلاد الأندلسية، وهو منسوب إلى هذه القرية" [10]،وانتشرت صناعة الزبيب في الأندلس[11]وذكر القزويني[12]

---

(1)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص259.

(2)أبو الفداء، تقويم البلدان، ص147.

(3)الحميري، الروض المعطار،ص87.

(4)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص295-296.

(5)الزهري، الجغرافية، ص 114.

(6)الزهري، الجغرافية، ص117.

(7)الإشبيلي، الفلاحة، ص أ.

(8)المقري،نفح الطيب،مج1،ص197؛ القزويني،آثار البلاد،ص545؛الزهري، الجغرافية،ص82/83.

(9)المقري، نفح الطيب، مج1، ص197؛الإشبيلي، الفلاحة، ص32-33.

(10)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص291-292.

(11)القلقشندي،صبح الأعشى، ج5، ص218.

(12)القزويني، آثار البلاد، ص502.

أن الزبيب يكثر في مدينة ألش،وذكر الإشبيلي أن الأعناب استخدمت في الطبيخ والحلوى،و لصناعة النبيذ بين غير المسلمين[1]، كما وكان لتوفر القمح بكثرة أهمية كبيرة لصناعة الخبز[2]، فقد صنعوا آلة يدوية تستخدم لطحن الحبوب تسمى "الأرحاء"[3].وأما بالنسبة للزيتون فلكثرته اشتهرت الكثير من المدن وخاصة اشبيلية بإنتاج زيت الزيتون[4].

2-الصناعة النسيجية:كان لتربية دودة القز أثرُ كبيرُ في اهتمام المسلمين بزراعة التوت،حيث يستفاد من دودة القز إنتاج مادة الحرير التي تدخل في صناعة الملابس الحريرية[5]،وتعتبر مدينة المرية من أشهر المدن صناعةً للثياب[6]، وأنتشرت في الأندلس صناعة الملابس الكتانية[7]،والقطنية[9]،وكذلك الصناعة الصوفية في مدينة سرقسطة[9]،وذكر الزهري أن غزل الملابس انتشر عند نساء المرية[10]،وكانت الأندلس كما ذكر المقري وابن الخطيب[11]"تتميز

---

(1)الإشبيلي، الفلاحة، ص ب.

(2)الزهري، الجغرافية، ص80.

(3)الحميري، الروض المعطار، ص45؛الإدريسي، القارة الإفريقية،ص285/274.

(4)المقري، نفح الطيب، مج1، ص208؛ الإدريسي، القارة الإفريقية، ص264؛ الزهري،الجغرافية، ص89؛الحميري،الروض المعطار،ص58.

(5)القلقشندي،صبح الأعشى، ج5، ص229/219؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص177؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص164.

(6)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص289.

(7)القزويني، آثار البلاد، ص159؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص159؛ الزهري، الجغرافية، ص102،ابن حوقل، صورة الأرض، ق1، ص113.

(8)الزهري، الجغرافية، ص82.

(9)ابن حوقل ، صورة الأرض،ق1، ص114؛الزهري، الجغرافية، ص82.

(10)الزهري، الجغرافية، ص102.

(11)المقري، نفح الطيب، مج1، ص126؛ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص4.

بجـــودة اللباس،وتـــنوع الصنائع"،ففي المرية ثياب السندس الأبيض والجبة العظيم[1]، وفي ألش صناعة البسط[2].

لقد ذكرنا في الفصل الثالث من هذه الدراسة،أن يوسف الفهري بعث مجموعة مـــن الملابـــس مـــن بين تلك الهدايا التي أرسلها إلى عبد الرحمن بن معاوية عندما دخل الأندلس. وربما تكون هذه الملابس من الصناعات الداخلية في تلك الفترة.

3-**الصـــناعة التعدينـــية**:كان لتوفر المعادن أثرُ كبيرُ في إنشاء الصناعة التعدينية وتـــنوعها،فأما الصـــناعة العسكرية فقد أشار المقري إليها بقوله:"أن مرسية كانت تصنع آلات العسكر بشكل بهر العقول"[3]فقد تميزت الأندلس بصناعة الأسلحة ولا سيما المقبض والغمد بالإضافة الى صناعة السيوف[4]والخناجر والـــدروع والـــتروس والـــرماح والسكاكين[5]،وقد اشتهرت عدة مدن بهذه الصـــناعات كمديـــنة طليطلة و قرطبة وغرناطة واشبيلية ومرسية والمرية، فكانت أكثر همم أهل الأندلس متجهة إلى هذا المجال[6]،وقد ذكر الزهري أن الدروع تصنع من النحاس والحديد في وشقة[7].

هـــذا وكانـــت مالقة مركزاً مهماً لصناعة الجلد كالأغشية والحزم والمدورات ومختلف الأدوات من الحديد كالسكاكين والمقصات[8]، وذكر الإصطخري مقـــابض السيوف التي تصنع من السّقن[9] ،الذي تحدثت عنه سابقاً.

---

(1)الزهري، الجغرافية،ص101-102.

(2)القزويني، آثار البلاد، ص502.

(3)المقري، نفح الطيب، مج1، ص202.

(4)المقري، نفح الطيب، مج1، ص162.

(5)المقري، نفح الطيب، مج1، ص202.

(6)المقري،نفح الطيب، مج1، ص162.

(7)الزهري، الجغرافية، ص82.

(8)القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص219.

(9)الاصطخري، المسالك والممالك، ص 35.

أعتقد أن نشأة صناعة هذه الأسلحة في الأندلس، بدأت خلال فترة عصر الولاة، ونستدل على ذلك من خلال ما ذُكر في المصادر العربية[1]،حول موقعة شقندة 130 هـ/747م،من أن المتحاربين تضاربوا بالسيوف والرماح،وأن يوسف الفهري والصميل بن حاتم استقدما الجزارين وأهل السوق من قرطبة،ومعهم السكاكين والعصي.وبالتالي من المحتمل وجود دار لصناعة هذه الأسلحة خلال هذه الفترة.

وذكر الإدريسي أن مدينة شلطيش أشتهرت بصناعة المراسي التي ترسي بها السفن والمراكب من الحديد[2]،وتشير بعض الروايات أن مدينة طرطوشة اشتهرت بصناعة المراكب من خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ ولا يفعل فيه التسوس ما يفعله في غيره من الخشب[3]،كما واشتهرت لقنت بصناعة المراكب الصغيرة والكبيرة[4]،ولا يخفى فائدة الخشب ومدى الفوائد التي تعود على البلاد التي تزرعه نظراً لتعدد الحاجة إليه وتعدد الأبواب التي يستفاد منه فيها في مجالات الصناعة وخاصة صناعة الأثاث والآلات الحربية على حد سواء[5].

ومن الصناعات الأخرى التي انتشرت في الأندلس،صناعة الفخار المذهب، فكانت مدينة مالقة متخصصة في هذا المجال[6]،وقد اشتهرت مدينة أندراش بصناعة الفخار عالي الجودة نظراً لجودة تربتها[7]،واشتهرت كل من مرسية،ومالقة، والمرية بصناعة الزجاج [8]،وذكر الحميري أن مدينة قرطبة اشتهرت بسائر الصناعات [9].

---

(1)أنظر الدراسة، ص60-61.

(2)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص256.

(3)الحميري، الروض المعطار، ص390؛الإدريسي، القارة الإفريقية، ص279.

(4)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص284.

(5)حتاملة، الأندلس، ص1038.

(6)القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص219.

(7)القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص221.

(8)المقري، نفح الطيب، مج1، ص202.

(9)الحميري، الروض المعطار، ص456.

3.5التجارة:

تُعــدُّ التجارة من أهم الجوانب الاقتصادية التي نشأت وانتشرت داخل وخارج المدن الأندلسية ،وسأتحدث ضمن الجانب التجاري حول:

أ-العوامل التي ساعدت على قيام التجارة الأندلسية

ب-المواد والسلع التي تاجر بها الأندلسيون

ج-العملة في الأندلس

أ- العوامل التي ساعدت على قيام التجارة الأندلسية:

لقــد توفــرت في الأندلس مجموعة من العوامل ساعدت إلى حد كبير في قيام التجارة الداخلية والخارجية،وأهم هذه العوامل:

1-الموقــع الجغــرافي، حيث تقــع الجهة الشرقية من الأندلس على إمتداد سواحل البحــر الأبــيض المتوســط[1] وهــذا يساعد على إقامة الموانئ على المدن الساحلية كميناء قليبرة جنوب بلنسية[2]، وبالتالي تشجيع التجارة البحرية، وقد ذكر الإدريسي أن السفن الكبار والمراكب الصغار تنقــل البضائع وذلك من خــلال البحر المتوسط ما بين مدينة دانية ومدينة بلنسية الساحليتين [3]، كما وتوجـــد طرق تجارية بحرية أخرى تربط ما بين المدن الأندلسية الساحلية ومــنطقة الشــمال الإفــريقي[4]،وكذلك وجدت في الأندلس مجموعة طرق بحرية،من خلال الأنهار،وأخرى برية، والتي تربط بين المدن الداخلية .

2-تقوم بعض من جوانب التجارة على أساس المنتجات الزراعية التي اشتهرت بها

---

(1)ابــن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص1؛ المقري، نفح الطيب، مج2، ص131؛ الحمــيدي، جــذوة المقتبس، ق1، ص36؛ الحميري،الروض المعطار، ص23-33؛ الاصطخري،المسالك والممالك،ص35؛العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص56-57.

(2)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص286.

(3)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص286-287.

(4)كونســتَيل،أوليفيا ريمـــي، التجارة والتجار في الأندلس، تعريب فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان ،ط1، 2004م،ص135.وسيشار إليه فيما بعد: كونستيل، التجارة.

الأندلس بشكل كبير[1]،فكان لا بدّ من وجود الأسواق من أجل البيع والشراء.

3-كان لتربية الثروة الحيوانية المختلفة كالأبقار والأغنام،والتي انتشرت بغزارة في بعض المدن الأندلسية [2]دورٌ كبيرٌ في إقامة الأسواق لبيع الماشية وشرائها، بالإضـــافة إلـــى بيع وشراء مشتقاتها الغذائية كاللبن واللحم والسمن،ومـــن المـــدن التـــي اشتهرت بتربية الأغنام وتجارة مشتقاتها الغذائية طليطلة [3]، وقلمـــرية[4]،وكـــان بســـوق قرطبة الكثير من الجزارين أثناء ولاية يوسف الفهري،الذي استقدمهم لقتال اليمنية في موقعة شقندة سنة 130هـ/747م[5].

4-كـــان لـــتوفر المغـــادن المخـــتلفة فـــي الأندلس أثرٌ كبيرٌ في استغلالها تجارياً ،وتصـــديرها إلى الخارج[6]، حيث يعتبر الإنتاج الصناعي التعديني وخاصة الأسلحة عاملاً هاماً من عوامل قيام التجارة الداخلية والخارجية.

5-نكـــر الإشبيلي أنّ العناصر الجديدة التي دخلت الأندلس زمن الفتح الإسلامي، قد أدخلـــت معها خبرات زراعية جديدة إلى الأندلس، وقد تلا ذلك توسيع رقعة الأراضي الزراعية[7]، ومن الممكن أنّ هذه العناصر وهي بلا شك المسلمون من العرب والبربر قد أدخلت معها أيضاً خبرات في التجارة لا سيما البرية مـــنها والبحرية، حيث كانت هذه العناصر تهتم بالتجارة البرية والبحرية في مختلف البلاد الإسلامية وذلك قبل مجيئهم الأندلس.

---

(1)الإشبيلي، الفلاحة، ص أ.

(2)ابن حوقل، صورة الأرض، ق1، ص115.

(3)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص 276.

(4)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص271.

(5)أخـــبار مجموعـــة،ص82؛ابـــن عذاري،البيان المغرب،ج2،ص36؛المقري،نفح الطيب،مج3،ص25؛ ابن خلدون،تاريخ،مج4،ص154.

(6)المقري، نفح الطيب، مج1، ص201.

(7)الإشبيلي، الفلاحة،ص أ.

وعندما دخل المسلمون إلى الأندلس مارسوا التجارة، حيث حملوا البضائع وجابوا الطرقات بين موانيء الأندلس والمناطق الأخرى من عالم البحر الأبيض المتوسط وقد تعاطى التجار بتجارة الأندلس بصورة دائمة، ولم يكن هناك زمن وهنت به التجارة بصورة ملحوظة [1].

ب- المواد والسلع التي تاجر بها الأندلسيون:

بالنسبة للصادرات الأندلسية الخارجية فقد ذكر الزهري أن الأندلس تصدر كل شيء حسن من المتاع والسلع الغالية الأثمان إلى القيروان وبقية المناطق[2]، ونظراً لتوفر صناعة الثياب الكتانية والحريرية فقد كانت الأندلس تتميز بتصدير هذا النوع من السلع إلى منطقة أرجان [3] ،حيث كانت مراكب البحر تقصد المرية من الإسكندرية والشام[4]،لما اشتهرت به المرية من كثرة صناعاتها الحريرية وأصناف تجاراتها[5].

ومن صادرت الأندلس الخارجية المعادن[6] كالزئبق في جبل البرت حيث يتجهز به إلى الآفاق[7]،ومعدن الكحل والحديد والنحاس فيحمل من الأندلس إلى جميع البلاد[8]،والعنبر الذي يحمل من منطقة وجوده في شنترين[9]ويصدر إلى مصر[10].

---

(1)كونستيل، التجارة، ص 135.

(2)الزهري، الجغرافية، ص114.

(3)الزهري، الجغرافية، ص118-119.أرجان:مدينة بين فارس وأهواز، بناها ملك الفرس"قباذ بن فيروز".أنظر: الحميري، الروض المعطار، ص25.

(4)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص289.

(5)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص289.

(6)المقري، نفح الطيب، مج1، ص201.

(7)المقري، نفح الطيب، مج1، ص143.

(8)المقري، نفح الطيب، مج1، ص143.

(9)الاصطخري، المسالك والممالك، ص35.

(10)المقري، نفح الطيب، مج1، رواية المسعودي في مروج الذهب، ص143.

وتصدر الأندلس الزعفران فيتجهز به الرفاق إلى الآفاق[1]،وذكر الإدريسي أن السفن تخرج إلى المشرق من مدينة دانية الساحلية[2]،وتميزت اشبيلية بنشاط تجاري كبـير، فجـل تجارة أهلها بالزيت [3]وذلك نظراً لتوفر أشجار الزيتون بكثرة،حيث يصدر الزيت إلى أقصى المشارق والمغارب براً وبحراً [4].

أمـا الـتجارة الداخلـية فقد تميزت المدن الأندلسية بنشاطها التجاري ،فنظراً للإنـتاج الزراعـي الفائض كانت المراكب تنقل شجر الصنوبر من مناطق زراعته كطرطوشـة[5] وحصـن قلصة من أعمال شنتبرية إلى مختلف مدن الأندلس كدانية وبلنسية [6]،حيث تستخدم أشجار الصنوبر في الأبنية والديار.

أمـا بالنسـبة لعملية الاستيراد فقد كانت الأندلس تستورد بعض المواد والسلع الضـرورية كالسـكر السوسي من منطقة السوس الأقصى [7]،وتستورد من تلمسان الصوف والأسلحة لسروج الخيول[8].

لقـد جـاءت أهمـية فتح الأسواق لأغراض البيع والشراء وذلك نظراً لتوفر المنتجات الغذائية كالفاكهة وزيت الزيتون وغلات الحبوب من القمح والشعير،وكذلك مشـتقات الأبقـار والأغنام الغذائية كاللبن والسمن واللحوم، وقد ذكر الحميري أن بمدينة شلب أسواق مرتبة فيها الغلات والتفاح[9]، وتميزت أسواق بلنسية عن غيرها

(1)أبو الفداء، تقويم البلدان ،ص146؛المقري، نفح الطيب، مج1، ص143.

(2)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص282.

(3)الحميري، الروض المعطار، ص58؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج2، ص541.

(4)الإدريسي، نزهة المشتاق، مج2، ص541.

(5)الإدريسي، القارة لإفريقية، ص268.

(6)الإدريسي، القارة الإفريقية، ص286.

(7) الزهري، الجغرافية، ص118.

(8)الزهري،الجغرافية، 114.

(9)الحميري، الروض المعطار، ص342.

من الأسواق،ففي أسواق بلنسية بضائع وسلع كثيرة ورخيصة [1]،وربما يكون السبب هـو موقعها على ساحل البحر البيض،حيث كانت هذه المدينة تصدر مختلف السلع إلـى الشـرق مـن خلال مينائها(قليبرة) [2]،كمـا وفتحت الأسواق في سائر مدن الأندلـس كأوريولـة[3]،وطـرطوشـة[4]، وقرطـبة التي تميزت بـاتساع أسواقها ونظافتها[5].

ج- العملة في الأندلس:

كانت العملة المتداولة في البلاد العربية حتى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان هـي الفارسية والبيزنطية، وكانت الأولى متداولة بشكل رئيسي في العراق وفارس، والثانـية فـي الشام ومصر،وكانت العملة الفارسية هي الدراهم الفضية بينما العملة الرومانية (البيزنطية) هي الدنانير الذهبية [6].

ذكر السيوطي أن أول من ضرب الدنانير في المشرق هو عبد الملك بن مروان وكتـب عليها (قل هو الله أحد) وفي الوجه الآخر (لا إله إلا الله) وطوقه بطوق من فضـة، وكتـب فيه (ضرب بمدينة كذا) وكتب خارج الطـوق "محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق"[7].

لم يتم سك العملة في الأندلس أثناء ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري(129-138هـ/747-756م)، فقـد ذكر السيوطي أن عبد الرحمن الثاني (الأوسط) ضرب الدراهم[8]، وبالتالي لم يكـن بالأندلس دار ضرب (للنقود) منذ فتحها، وإنـما كانوا

---

(1)الحميري، الروض المعطار، ص96-97.

(2)الإدريسي، القارة الإفريقية، 268/282.

(3)الحميري، الروض المعطار، ص67.

(4)الحميري، الروض المعطار، ص390.

(5)ابن حوقل، صورة الأرض، ق1، ص111.

(6)حتاملة، الأندلس، ص1072.

(7)السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص173.

(8)السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص405.

يتعاملون بما يحمل إليهم من دراهم أهل المشرق[1].

ومما لا شك فيه أن الأوضاع السياسية التي كانت مضطربة قد حالت دون سك العملة أثناء ولاية يوسف الفهري[2]،ففي هذه الفترة لم تثبت قواعد الملك،وكانت تكثر الخلافات بين العرب أنفسهم من يمنية ومضرية، وكذلك بين العرب والبربر [3].

---

(1)حتاملة، الأندلس، ص1073.

(2) S. M. Imamuddin Economic History Of Spain ،P 413.

(3)أميـــن،أحمد، ظهر الإسلام – يبحث في الحياة العقلية في الأندلس من فتح العرب إلى خروجهم منها، ط5، بيروت 1969م، ج3، ص41-42.وسيشار إليه فيما بعد: أمين، ظهر الإسلام.

الفصل السادس

الحياة العلمية في الأندلس(129-138هـ/747-756م)

لعـــل أهم جوانب الحياة الأندلسية، والذي يمكن دراسته، ذلك الجانب المتعلق بالحياة العلمية، فعلى مدى ثمانية قرون زخرت بلاد الأندلس بإنتاج حضاري علمي كبـــير، كان لـــه أثر واضح في تغيير معالم الحياة في الأندلس خاصة،وفي أوروبا عامة.

وعلـــى الـــرغم من السلبيات التي تميزت بها فترة عصر الولاة وأهمها الفتن والحروب الأهلية،فإنها لا تخلو من إيجابيات مهمة أبرزها:التقدم السريع للإسلام بين جماهـــير شعب شبه الجزيرة،ومع الإسلام انتشرت اللغة العربية التي أصبحت لغة الثقافة والحضارة،فقد انتهج المسلمون سياسة متسامحة مع أهل البلاد[1].

وقبل الحديث عن ملامح الحياة العلمية في الأندلس خلال فترة الدراسة، نود أن نستعرض بإيجاز أهمية العلم عند المسلمين كما جاء في القرآن والسنة.

1.6العلم وأهمية نشره كما جاء في القرآن والسنة:

ورد فـــي القـــرآن الكـــريم والســـنة النبوية الشريفة أدلة لا تكاد تحصى،تحث المسلمين على أهمية العلم وكسبه ونشره بين المسلمين أنفسهم وبين صفوف الشعوب الأخـــرى، وذلك من أجل إخراج الناس من الظلمات إلى النور،والقضاء على الجور والظلم والجهل ، حتى يسود الأمن والتسامح في المجتمع الإسلامي.

ومن الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي حثّت المسلمين على العلم وأهمية نشره، مايلي :

قوـــله تعالى:"وكذلك أنزلناهُ حُكماً عربياً ولئن اتبعتَ أهوآءَهُم بعد ما جآءَك من العلمِ ما لك من اللهِ من وليّ ولا واق"[2].

---

(1)جـــودة، صـــادق، تاريخ المغرب والأندلس، جامعة القدس المفتوحة، ط1، عمان 1997م،241-245. وسيشار إليه فيما بعد: جودة، تاريخ المغرب .

(2)الرعد،آية 37.

وقولـه تعالى:"شهد اللهُ أنّهُ لا إله إلاّ هو والملائكة وأُلوا العلمِ قائماً بالقسطِ لا إله إلا هو العزيزُ الحكيمُ"(1) .

وقوله تعالى:"وليعلمَ الذين أُوتُوا العلم أنّهُ الحقُّ من ربك فيؤمنوا به فتُخبِتَ له قُلُوبُهم وإن الله لهادِ الذين أمنوا إلى صراط مستقيم"(2).

وقوله تعالى:"يَرفع اللهُ الذينَ أمنوا منكـم والذينَ أُوتوا العِلمَ درجات واللهُ بما تعلمونَ خبير" (3).

وأمـا مـن الأحاديث النبوية،فقد ورد عن الرسول-عليه الصلاة والسلام-أنه قال:"من سلَكَ طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل اللهُ له طريقاً إلى الجنة،وإن العلماء ورثة الأنبيـاء"(4). وعن أنس بن مالك قال،قال عليه السلام:"طلب العلم فريضة على كل مسلم"(5)،وقال عليه السلام:"من سُئل عن علم فكتمه،أُلجم يوم القيامة بلجام من نار"(6)

وقد أوصى الرسول-عليه الصلاة والسلام-بطلبة العلم خيراً فقال:"سيأتيكم أقوام يطلبون العلم،فإذا رأيتموهم فقولوا لهم:مرحباً مرحباً بوصية رسول الله، وأقنُوهُم"(7).

وفيما يتعلق بالعلوم الدنيوية،كعلم الطب والصيدلة والعمارة والرياضيات والفلك

---

(1)آل عمران ،آية 18.

(2)الحج،آية 54.

(3)المجادلة،آيـة 11.أنظـر أيضـاً الآيات الآتية:البقرة:247/145/130،النساء:162، محمد16،مريم43، القصص80،طه،114.

(4)ابـن ماجـة،الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت:275هـ/889م)،سنن ابـن ماجة،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،د.ط.د.ت، ج1، ص81.(وسيشار إليه فيما بعـد: ابـن ماجـة ،السـنن)؛النووي،أبـي بكر زكريا بن يحيى بن شرف النووي الدمشقي(ت:676هـ/1278م)،رياض الصالحين،مؤسسة الرسالة،ط10،بيروت 1986، ص385.وسيشار إليه فيما بعد: النووي، رياض الصالحين.

(5)ابن ماجة،السنن، ج1، ص81.

(6)النووي،رياض الصالحين، ص387.

(7)أقنُوهُمْ: أي علِّمُوهُمْ. أنظر:ابن ماجة، السنن، ج1، ص91.

والهندســة والفلســفة والــتاريخ والجغرافــيا ،وغيرها، فــإن الحديث عنها يحيطه صعوبات منها :

أ-نــدرة المعلومــات التــي تلقي الضوء على هذه العلوم ،وذلك خلال فترة الدراسة (129-138هـ/747-756م).

ب-أن عــدداً من النصوص والروايات التاريخية لا يمكن الإفادة منها،وذلك لتعذر تحديد تواريخ أحداثها.

2.6الحياة الدينية

نــزل القــرآن الكــريم علــى الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وفيه التشريع الإســلامي، وقام الرسول بكثير من الأعمال،وحدّث كثيراً من الأحاديث، لحل جميع القضايا الدينية والاجتماعية التي اعترضت لــه، وكان الناس يرجعون إليه في حل مشاكلهم، ولكن بعد وفــاة الرسول أصبح لزاماً على المسلمين أن يفهموا أو يدرسوا أقوالــه ،ويقيسوا الأشياء بنظائرها، وكــان لا بدّ مــن أن تنشأ علوم دينية مختلفة، بعضها يتعرض لتفسير القرآن وآخــر يبحث في الحديث ،وثالث فــي الفقه[1].

ذكــر المؤرخ الأندلسي"ابن صاعد"[2]، أن الأندلس قبل دخول المسلمين كانت خالــية مــن العلــم، ولــــم يشتهر عند أهلها أحــد بالاعتناء به، وذكــر أيضاً أن المســلمين عندما دخلوا الأندلس لم يهتموا إلا بالعلوم الشرعية ،وهي: علــم القرآن وتفسيره وتلاوته وتحفيظه، وعلم الفقه والقضاء، وعلم الحديث،ومن المؤكد أن هناك عــدداً مــن حملة العلم قد نقلوا هذه العلوم معهم من المشرق إلى الأندلس،وذلك مع حملات الفتح الإسلامي.

وتُعدُّ علوم الشريعة الإسلامية، مــن أهم عوامل نمو وازدهار الحياة العلمية في

---

(1)الرفاعــي،أنور، الإنســان العربي والحضارة، دار الفكر، د.ط، د.ت،ص 417. وسيشار إليه فيما بعد: الرفاعي، الإنسان العربي.

(2)ابــن صاعد،صــاعد بــن أحمــد بن صاعد التغلبي الأندلسي(ت:462هـ/1070م)،طــبقات الأمــم، وضــع المقدمة محمد بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، 1967م، ص81-82. وسيشار إليه فيما بعد: ابن صاعد، طبقات الأمم.

الأندلــس[1]، وبالتالـــي فإن عصر الولاة بشكل عام يعتبر بداية لنشأة العلوم الجديدة المتنوعة التي نضجت ثمارها على مراحل متعددة،ابتداءاً من عصر الإمارة.

أ-ظهور العلوم الدينية الإسلامية، وأثرها على أهل الذمة في الأندلس:

بدأت العلوم الدينية في الأندلس بانتقال بعض الصحابة التابعين حينما همَّ موسى ابــن نصـــير بفتح الأندلس، فكان معه بعض الصحابة منهم:المنذر أو المُنيذر،وهو صــحابي جليل،وممــن دخلهــا من التابعين موسى بن نصير الفاتح،وكذلك علي بن رباح،وحنش بن عبد الله الصنعاني،اللذان كانوا جنوداً في الجيش الفاتح،وهم مع ذلك حملـــة علم،وكان علي بن رباح بصري تابعي وله مكانة عند عبد العزيز بن مروان الأمـــوي في المشرق،وكان حنش من أصل يماني،ومن أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه،وهؤلاء وأمثالهم بذروا البذرة الأولى في العلوم الدينية في الأندلس، وكانـــت أشـــبه بـــبذرة المشرق،فهي عبارة عن قرآن يتلى ويحفظ ويُقرأ بالقراءات السـبع،وحديث يفسرعن النبي-صلى الله عليه وسلم-وعن أصحابه، والحديث كان يتضـــمن أحكامـــاً دينية،وأخباراً عن سيرة الرسول وغزواته وغير ذلك، وكان هذا عملاً جليلاً قام به هؤلاء الصحابة والتابعون،فكانوا يمثلون الرعيل الأول[2] .

اســـتمر المسلمون يفسرون القرآن الكريم وينشرون تعاليم الدين الإسلامي في الأندلس بين شعوب غالبية ديانتها مسيحية وعلى المذهب الكاثوليكي[3]،ولذلك نجــد

---

(1)حسين، كريم عجيل، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية(92-494هـ/711-1102م)، رســالة ماجستير، إشراف:عبد الرحمن الحجي، جامعة بغداد 1975م، ص 161.وسيشار إليه فيما بعد: حسين، الحياة العلمية .

(2)الضــبي،بغية الملــتمس،ص278؛المقــري،نفح الطيب،مج1،ص221؛أمين،ظهر الإســلام،ج3،ص48؛القاسمي،جاسم بن محمد،تاريخ الحضارة العربية في الأندلس، مؤسسة الشباب،د.ط،الإسكندرية2000م،ص89.وسيشار إليه:القاسمي،تاريخ الحضارة.

(3)ابــن صـــاعد،طبقات الأمم، ص82؛ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي،ص86؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج1، ص309.

أن الكثـــير من النصارى دخلوا في الدين الإسلامي ،وربما يرجع ذلك لتعاليم الدين الإســـلامي الســـمحة التي تدعو إلى الحرية الدينية والعدل والمساواة،والتي نشرها المسلمون بين فئات السكان.

وكـــان أهـــل الذمـــة مـــن النصارى واليهود في المجتمع الإسلامي الأندلسي، يتمـــتعون بحـــرية دينـــية كبيرة ، فالنصارى يمارسون طقوسهم الدينية في الأديرة والكنائس بكل حرية، وفي كل مدنهم رئيس يعرف بقومس أو زعيم النصارى،ولهم قاضي خاص بهم،وكذلك تمتع اليهود بقسط كبير من الحرية الدينية [1].

ب-العلوم الإسلامية في الأندلس:

1-علم الفقه:

وأمـــا بالنسبة للفقه عند المسلمين "فكان لـــه رونق ووجاهة" [2] فقد انتشر في الأندلس مذهب الإمام الأوزاعي [3] (رحمه الله):وهو أبو عمرو،عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي،شيخ الإسلام،وعالم أهل الشام،واختلفت الروايات في أصل الإمام الأوزاعي،ولكـــن علـــى الأرجح أنه عربي حميري الأصل،ويرجع نسبه إلى قرية الأوزاع التي تقع في دمشق [4]، وكان مولده بمدينة بعلبك في بلاد الشام سنة88 هـــ/

---

(1)أنظر الدراسة: ص108-109.

(2)المقري، نفح الطيب، مج1، ص221.

(3)أنظر ترجمة الإمام الأوزاعي: ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج3، ص127-128؛ الذهبي،سير أعلام النبلاء، اشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط، تحقيق علي أبـــو زيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1982م،ج7، ص107-113. (وسيشار إليه فـــيما بعد،الذهبي،سير أعلام النبلاء)؛الذهبي،تذكرة الحفاظ،تصحيح عبد الرحمن بن يحـــيى المعلمي،دار الكتب العلمية،د.ط ،بيروت د.ت،ج1،ص178-183. (وسيشار إليه فيما بعد:الذهبي:تذكرة الحفاظ)؛أمين، فجر الإسلام، ج3، ص29.

(4)الجـــبوري، عـــبد الله محمد،فقـــه الإمام الأوزاعي(أول تدوين لفقه الإمام)،إحياء التراث الإسلامي، مطبعة الإرشاد، بغداد 1977م، ج1، ص14.وسيشار إليه فيما بعد: الجبوري، فقه الإمام الأوزاعي.

عبد الرحمن[1].

وبالتالـــي نســتطيع القول أن مذهب الإمام الأوزاعي كان قد انتشر إلى حد ما أثناء ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري،وعلى ما يبدو أن يوسف الفهري لم يكن مهـتماً بهـذا المذهــب وبالحياة الدينية على العموم،وربما يرجع ذلك لانشغاله في الخلافــات الداخلية التي قامت بين العرب أنفسهم وبين العرب من جهة والبربر من جهة أخرى،ويبدو لنا أيضاً أن مذهب الإمام مالك لم يكن قد انتشر في الأندلس خلال عصر الولاة.

2-علم القضاء:

أمــا بالنســبة للقضاء، فقد ذكر المقري أن خُطة القضاء بالأندلس هي أعظم الخطط عند الخاصة والعامة، لتعلُّقها بأمور الدين[2]،وقد تميز منصب القاضي بأهمية كبــيرة بيــن صــفوف المســلمين على السواء،وكــان القاضي ملماً بأحكام القرآن الكــــريم والسنة النبوية الشريفة،وهو الذي يحكم بين الناس بالعدل، فكان الحاكم لو توجــه علــيه حكــم حضــر بين يدي القاضي [3]،فيوسف بن عبد الرحمن الفهري وصـــاحبه الصميل بن حاتم حضرا لقاضي الأندلس زمن ولاية يوسف الفهري وهو "يحــيى بن يحيى التجيبي"، وذلك من أجل إجراء الصلح بين يوسف والصميل وبين الأمــير عبد الرحمن الداخل،وذلك بعد أن قبض هذا الأخير على يوسف والصميل، سنة 140هـ/758م[4].

ج-المؤسسات التعليمية،ومواضيع العلم في الأندلس:

كان المسجد من الأعمال الأولى لكــل مدينة ،كما فعل الرسول -عليه السلام-

---

(1)الجــبوري، فقه الإمام الأوزاعي،ص67؛ الملاح،حسنين محمد،الإمام الأوزاعي محدثــاً حافظاً،المكتــبة العصــرية،د.ط،بيروت 1993م، ص210. وسيشار إليه فيما بعد:الملاح،الإمام الأوزاعي.

(2)المقري، نفح الطيب، مج1، ص217.

(3)المقري، نفح الطيب، مج1، ص217؛أمين، فجر الإسلام، ج3، ص18.

(4)أنظر الدراسة: ص98.

ومن ثم سار المسلمون على هذه السنة الحميدة ،فبناء المسجد أول ما يفكرون به عند فتحهم البلاد،وكان المسجد يؤدي بالإضافة إلى مهمة الصلاة،كان أيضاً يؤدي المهمة العلمـــية[1]،فيدرَّس به علوم القرآن الكريم من تفسير وتلاوة وقراءة وتحفيظ،وكذلك تفسير الحديث النبوي،والنظر في المسائل الفقهية والقضائية،ومما لا شك فيه أنه قد وجـــدت فـــي الأندلـــس خلال فترة عصر الولاة مساجد كثيرة تؤدي المهمة العلمية بالإضافة إلى مهمتها الدينية.وهكذا كان المسجد يحفل بنشاط علمي كبير،ولم تبين لنا المصـــادر أن هـــناك مؤسسات أخرى خاصة بالتعليم،خلال فترة عصر الولاة.ولقد أشـــارت بعـــض المصـــادر إلى وجود مدرسين لتعليم الصبيان آيات القرآن الكريم وتفسيرها[2].

3.6الحياة الأدبية:

لم تعرف المجتمعات العربية الاسلامية أعجب من مجتمع الأندلس،فهو مجتمع مـــوزع العناصـــر بين أهل البلاد الأصليين وبين الفاتحين من العرب والبربر،وهو كذلـــك مـــتفرع المذاهب من يهودية ومسيحية وإسلامية،وفي هذا المجتمع استطاع العنصـــر العربـــي أن يفرض نفسه على مختلف هذه العناصر ،كما استطاعت اللغة العربية أن تفرض نفسها على مختلف العناصر التي عاشت في الأندلس، لا سيما أن العـــرب قد اختلطوا بسكان البلاد الأصليين ،فعاشروهم وصاهروهم وامتزجوا بهم وتبادلوا العادات والتقاليد [3].

أ- الشعر الأندلسي

وقـــبل الحديث عن أشهر شعراء فترة عصر الولاة، وخاصة ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري ،لا بدّ من استعراض أهم عوامل نشأة الشعر في الأندلس .

---

(1)المقري، نفح الطيب، مج1، ص220؛حسين،الحياة العلمية، ص207.

(2)أنظر الدراسة،ص40.

(3)محمـــود، نافع،اتجاهـــات الشـــعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري،دار الشـــؤون الثقافـــية العامة،ط1، بغداد 1990م، ص9.وسيشار إليه فيما بعد: محمود، اتجاهات الشعر .

1-عوامل نشأة الشعر الأندلسي

أ-من المعروف لدى الجميع أن العرب أمة شعر منذ الجاهلية،فإذا كان العرب عبر عصـــورهم الأولى في صدر الإسلام ،والعصر الأموي والعباسي قد تفننوا بالشـــعر،وأعطوه الأهمـــية القصـــوى بين الفنون القولية،فان الأندلسيين لم ينسلخوا عن عرقهم أو ماضيهم وعن تركيبتهم القابلة لقرض الشعر.

ب- لقد عرفت الأندلس خلال فترة عصر الولاة قدراً ضئيلاً من الأدب العربي من شـــعر وكـــتابة وخطابة، وربما دخل هذا الأدب مع الفاتحين المسلمين، ومع ذلـــك فـــإن القدر الضئيل من الأدب العربي كان بمثابة الإشعاع الأول لفجر الأدب العربـــي فـــي الأندلـــس[1]،وبالتالي فالشعر الأندلسي نبع من الشعر المشرقي[2].

ج-لعـــل بـــلاد الأندلـــس الطبيعية، التي تميزت باعتدال مناخها، وغزارة أنهارها، وكـــثرة عيونها،وينابيعها،وأشجارها،وهضابها،ومرتفعاتها الجبلية[1]، ق أسهم كـــل ذلك في تكوين الشخصية الأندلسية،فقد غرست هذه العوامل الإحساس بجمال البيئة،والميل إلى الأدب ،ولا سيما الشعر.

2-أبرز شعراء الأندلس

لقد حفظت لنا بعض المصادر أسماء نفر قليل ممن كانوا يقرضون الشعر أثناء ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وهم:

أ-يوسف بن عبد الرحمن الفهري،والي الأندلس،ومن شعره ما قاله بعد هزيمته من موقعة المصارة،حيث نفر الناس من حوله،فاستقر بقرطبة دهراً،وانشد يقول:

فبتنـــا نســـوس الأمرَ والأمرُ أمـــرنا   إذا نحـــن فيهـــم سوقـــةٌ نتنصـــَّف[3]

---

(1)أمين، فجر الإسلام، ج3، ص82 ؛محمود، اتجاهات الشعر، ص14.

(2)بالنثيا،آنخيل جنثالث،تاريخ الفكر الأندلسي،نقله عن الأسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية،د.ط،القاهرة د.ت،ص42.وسيشار إليه :بالنثيا،تاريخ الفكر .

(3)ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج 5،ص495؛المقري، نفح الطيب، مج3، ص25؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج4، ص340.

فتبـاً لـدنـيـا لا يـدوم نعيمهـا تُقلّب ساعـات بـنـا وتصـرّف[1]

والــذي نفهمه من هذين البيتين أن الشاعر في ضيق ومعاناة من جور الزمن علـيه، فهو يصرح بهذا الجور وهو يكشف عن معاناة حقيقية،لأنه فقد نعيم السلطة والولاية، وأصبح أسيراً عند الأمير عبد الرحمن الداخل.

ب-محمـد بن يوسف الفهري(أبو الأسود)[2]،ومما بقي من شعره بيت واحد، ذكره ابن الآبار[3]،وذلك عندما خرج أبو الأسود بمن معه من الرجال،لملاقاة جيش عـبد الرحمن الداخل في مدينة قسطلونة،بعـد وفاة والده(يوسف الفهري)، فانهزم أبو الأسود،وذُكر أنه تمثل يوم قسطلونة، فقال يصف شجاعته :

ومـوقفٍ مثل حـدِ السيفِ قمتُ بـه أحمي الذمـارَ وترميني بـه الحَـدقُ

ج-الصـميل بـن حاتم[4]، وقد احتفظ لنا ابن الآبار ببيتان من شعر الصميل،قالهما عـندما غار الطائيُون على داره بشقندة يـوم المصارة، حينما انهزم يوسف ابن عبد الرحمن الفهري، هما[5]:

ألا إن مـالي عنـد طـيّ وديعـةٌ ولا بـدَّ يومـاً أن تـرُدَّ الودائـعُ

سَلُوا يمناً عن فعل رمحي ومنصلي فإن سكتـوا أثنـتْ علـيَّ الوقائـعُ

وتبدو من خلال هذين البيتين،شجاعة الصميل وهو يستذكر وبكل فخر أعماله العسكرية التي قادها أثناء ولاية يوسف الفهري لحرب اليمنية.

ج- جَعْوَنة بن الصمّة، أبو الأجرب الكِلابي[6]،مـن قدماء شعراء الأندلس، وكـان

---

(1)ابن الخطيب، الإحاطة، مج4، ص340.

(2)أنظر الدراسة: ص47.

(3)ابن الآبار، الحلة السيراء، ج2، ص 351-352.

(4)أنظر الدراسة:ص39-40.

(5)ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص68.

(6)أنظرتـرجمة جعونة:الحميدي،جذوة المقتبس،مج1،ص293؛الضبي،بغية الملتمس، ص261؛بـن سعيد،أبو الحسن علي(685هـ/1286م)المُغرب في حُلى المغرب،حققه شوقي ضيف،دار المعارف،ط3،القاهرة،ص131.وسيشار إليه،ابن سعيد،المغرب.

بمـــنزلة جرير والفرزدق،وكان فارساً شجاعاً يلقب بـ"عنترة الأندلس"،وقيل توفـــي قبل قيام الدولة الأموية،ولم يكن يقيم في مكان معين بل كان يتنقل في النواحـــي،وكان جعونـــة مداحاً للصميل بن حاتم،ولم يبقى لدينا من شعره ما يصوّر مذهبه العام وطريقته،ولكن يبدو أنه بدوياً،وذلك من خلال قوله[1]:

ولقد أرانـــي مـــن هـــواي بِمـــنزل ... عـــالٍ ورأســـي ذُو غَدائـــرَ أفـــرُع

والعيـــشُ أغيـــدُ ساقـــطٌ أفنانـــهُ ... والمـــاء أطْيَبُـــه لنـــا والمـــرتـــعُ

ويقول في مدح الصميل بن حاتم[2]:

دون الصـــميل شـــريعـــة مـــورودة ... لا يستطيـــع لهـــا العـــدو وريـــدا

فُتَّ الـــورى وجمعت أشـــتـــات العـــلا ... وحـــويت مجداً لا ينـــال وجـــودا

فـــإذا هلـــكـــت فـــلا تحمـــل فـــارس ... سيفـــاً ولا حمـــل النساء وليـــدا

د-أبو المخشّى،عاصم بن زيد،من الشعراء الطارئين على الأندلس في عصر الولاة كـــان والـــده قد دخل الأندلس مع جند الشام في فترة الولاة ،فنشأ ابنه عاصم واتجه لقرض الشعر فاشتهر به حتى صار من شعراء الأندلس المشهورين في عصر الولاة والدولة الأموية[3]، وبالتالي فهو مشرقي المولد أندلسي النشأة.

أما بالنسبة لشعره،فلم نعثر لـــه من الشعر إلا القليل، ويبدو أن شعره لم يصلنا

---

(1)الحميدي، جذوة المقتبس،ق1، ص293؛الضبي،بغية الملتمس،ص261-262؛ابن ســـعيد،المغرب، ص132؛عباس،إحســـان،تاريخ الأدب الأندلســـي(عصـــر ســـيادة قرطبة)،دار الثقافة، ط5، بيروت 1978م، ص44-45.(وسيشار إليه فيما بعد: عباس، تاريخ الأدب)؛ عبد، معجم الحضارة الأندلسية، ص11؛ هيكل،أحمد،الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،دار المعارف،د.ط، القاهرة 1982م،ص62. وسيشار إليه فيما بعد:هيكل، الأدب الأندلسي.

(2)محمود، اتجاهات الشعر، ص42.

(3)الحمـــيدي، جذوة المقتبس،ق2،ص 635؛ ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس، ص 56-57؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص59؛ ابن الخطيب، الاحاطة، مج4،ص 232-233؛بالنثيا، تاريخ الفكر،ص51؛هيكل،الأدب الأندلسي،ص 98.

أو ضاع كما ضاع كثير من الشعر الأندلسي . ويعتبر شعره من النسق البدوي(1):

وهـمّ صـافنـي في جـوف يـمّ ... كـلا مـوجيـهما عنـدي كبـيـرُ
فـبتـنا والقلـوب معـلـقـاتٌ ... وأجـنحـةُ الـريـاح بنـا تـطيـرُ

ويصـف أبـو المخشى انتصار الأمير عبد الرحمن على أبي الأسود،محمد بن عبد الرحمن الفهري،فيقول(2):

مـاذا تُسايل عن مواقـع معشر ... أودى بـهـم الـذي لـم يـقـدر
رَشِد الخليفة إذ غَـوُوا فرمـاهم ... بـالموبـذي بـالحـزم والمتـأزِّر
فغـدا سلـيمن السَّمـاح عليهـم ... كـالليث لا يـلـوى علـى مُتَعـذِّر
عـاداهـم مـتقنعـاً فـي مـأزق ... في الموت من نجس العوارض الممطر
أمـا سلـيمن السماح فإنـه جلى ... الـدُّجـا وأقـام سيـل الأصـْعَـر
وهو الذي ورَّث النَّدى أهـل النَّدى ... ومحـا دُجنَـة يـوم وادي الأحمـر
بعـد الـقتلى بالمخايض أصـبحت ... جيفاً تـلـوح عـظامهـا لم تُـقْبـر
فـالليل فيهـا للـذباب عـرائسُ ... ونـهـارهـا وقـفٌ لنهش الأنْسـر
أفنـاهـم سيـفٌ مبيـرٌ صـارم ... في قسطلـونة وبـل بوادي الأحمـر
هـات عنك مـا هربت مخافةً منه ... فـقـع يـا ابـن اللَّقيطـة أو طِـرِ

وكان آخر ما قاله من الشعر أبياتاً في العمى(3):

أم بنيـاتي الضعيـف حـويلهـا ... تعـول امرءاً مثلـي وكان يعولهـا
إذا ذكرت ما حـال بيني وبينهـا ... بكـت تستقيل الدهـر مـالا يقيلهـا

وتصـف هـذه الأبيات صورة العاجز الضعيف، والشاعر يبرز وفاء الزوجة لزوجها ويحض على الوفاء والإخلاص بين المرأة والرجل تحت أي ظرف.

---

(1)الحميدي، جذوة المقتبس،ق2، ص635؛عباس، تاريخ الأدب، ص45.

(2)ابن الخطيب،الإحاطة، مج4، ص234.

(3)ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 56-57.

و-عبد الرحمن الداخل[1]،وكان له أدب وشعر،فقد ذكر بعض المؤرخين[2]أبياتاً له من الشعر وهو يتشوق معاهده بالشام:

أيها الراكبُ الميممُ أرضي | أقرِ من بَعضيَ السلامَ لبعضِ
إن جسمي كما علمت بأرضٍ | وفؤادي ومالكيه بأرضِ
قُدِّر البين فأفترقنا | وطوى البينُ عن جفوني غمضى
قد قضى الله بالفراق علينا | فعسى باجتماعنا سوف يقضى

وذكر ابن الآبار وابن عذاري[3] أن عبد الرحمن الداخل أول نزوله الرصافة بقرطبة واتخاذها له، نظر إلى نخلة مفردة فهاجت شجنه وتذكر بلد المشرق فقال بديهاً:

تَبَدَّت لنا الرُّصافةِ نخلةٌ | تناءت بأرض الغرب عن بلد النخلِ
فقلت :شبيهي في التغرُّب والنَّوى | وطولِ التنائى عن بَنِيَّ وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة | فمثلُك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتكِ غوادي المُزنِ من صَوبِها الذي | يسحُّ ويستمرى السِّمكين بالوبل

ب-النثر

1- الخطابة

لا شك أن فترة عصر الولاة في الأندلس كان لها حظ ولو ضئيل من النثر، بل ربما كان هذا الحظ على ضآلته أوفر حظ من الشعر، ذلك أنه كانت هناك دواع للنثر أكثر من دواعي الشعر،فالخطابة كانت ضرورية تقتضيها ظروف الحرب والنزاع القبلي [4]،ولا يمكن أن نتصور المسلمين في الأندلس قد عاشوا فترة الولاة

---

(1)أنظر الدراسة (الحاشية)، ص10.

(2)الحميدي،جذوة المقتبس،ق1،ص38؛ المراكشي،المعجب،ص41؛ ابن الآبار،الحلة السيراء،ج1،ص36؛الضبي، بغية الملتمس، ص13.

(3)ابن الآبار،الحلة السيراء، ج1، ص37؛ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص60.

(4)هيكل، الأدب الأندلسي، ص64-65.

دون أن يصغوا إلى خطباء،كخُطبة الجمعة، وخُطب حركة الوعظ الديني الإسلامي.

لقــد كانــت الخُطــبة تستخدم لأغراض دينية وسياسية ،فقد بدأ هذا النوع من الخطابة العربية في الأندلس عندما دخل طارق بن زياد البلاد لفتحها، حيث انتشرت خُطبــته بيــن جــنوده[1]، والتي حثَّت الجنود على الحماس والجهاد في سبيل الله ، والتحلي بالصفات الخلقية الإسلامية، كالصبر والصدق والإخلاص.

لا بــدّ أن يكــون الصميل بن حاتم صاحب يوسف الفهري قد خطب لقيسيته، ليشــجعهم على قتال اليمنية، وذلك من خلال موقعة شقندة 130هـ/747م ، وكذلك أثــناء صراعه مع عبد الرحمن الداخل، في مــوقعة المصارة 138هـ/756م، ولا بــــدّ أيضاً أن يكــون عبد الرحمن الداخل عندما دخل الأندلس قد خطب لأنصاره مــن موالــي بني أمية، واليمنية، ولبعض القيسية التي صفّت بجانبه، ليحثهم جميعاً علــى الوقــوف معه ضد يوسف الفهري وصاحبه الصميل بن حاتم ومن معهما من القيسية.

كانــت الخُطــبة فــي المســجد تُستخدم أيضاً لأغراض سياسية،بالإضافة إلى أغراضها الدينية، ولدينا مثال واحد على ذلك، وهو بعد دخــول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس سنة 138هـ/756م ،وكانت الأجناد(الأردن ،فلسطين ،حمص) قد أيّدته، فــأمر قائد جند الأردن (جــدار بن عمرو) خطيب الجمعة بأن يخلع الولاء ليوسف الفهري، وأن يخطب لعبد الرحمن الداخل[2].

2-الكتابة

أمــا بالنســبة لموضوع الكتابة، فهي ضرورية تقتضيها ظروف الفتح والحكم وتسيير شؤون البلاد، وتتطلبها مناسبات رسمية وشخصية عديدة،كعهد يعطى وصلح يُبرم ورسالة توجّه.

وقــد حفظــت لنا المصادر العربية عدداً قليلاً من كتابات فترة الولاة، وبعض أسماء الكتّاب، فمما حفظ مــن كتابة هــذه الفترة رسالة حملة الإنقاذ القيسية والتي

(1)أنظر الدراسة:ص 23.

(2)أنظر الدراسة: ص93.

خرجـت لفـك حصـــار اليمنـية للصميل بــن حاتم صاحب يوسف الفهري في سرقسـطة سـنة 137هـــ/754م، وكانــت هذه الحملة قد تأخرت في سيرها نحو سرقسطة، بسبب حاجتها إلى الوقت لدعوة الأجناد للتجمع والسير معاً، فاشتدّ **حصار** الصـــميل، ولذلــك جـــاءت الرسل إلى الحملة تستحثهم على سرعة السير ، فعجلوا بإرســال فارس منهم برسالة إلى الصميل، وكان مضمون الرسالة بيتان من الشعر هما [1]:

ألا أبشــر بالسَّــلامــة يا جــدارُ   أتـــاك الغــوثُ وانقطــع الحصـــارُ
أتتــكَ بنــاتُ أعــوجَ مُلْــجَمَــاتٌ   عليهـــا الأكرمـــون وهـــم نـــــزارُ

والبيــتان الســابقان يحمــلان معاني كثيرة ،فهما يصفان قوة حماس القيسية، وشجاعتها، وعزمها على إنقاذ قائدهم وفارسهم، وفك حصاره ،وكذلك لا يخلوا هذان البيتان من افتخار القيسية بما جمعت معها من القبائل،وتوجههم جميعاً لشيخ القيسية، الصميل بن حاتم.

وممـــا حفـظ كذلك من كتابة تلك الفترة جزء من رسالة الوالي يوسف بن عبد الرحمـــن الفهري، إلى عبد الرحمن الداخل عندما وصلته أخبار دخول عبد الرحمن الأندلس، وكان محرر تلك الرسالة هو خالد بن يزيد، كاتب يوسف الفهري ورسوله إلى عبد الرحمن، حين أراد أن يتألفه ويتفادى خطره[2].

الخاتمة

نســتخلص مــن الدراسة التي تناولت ولاية الأندلس في عهد يوسف بن عبد الرحمن الفهري (129-138هـ/747-756م)، عدداً من الحقائق أهمها:

1-أن مصـــطلح الأندلس ارتبط تاريخياً في العهود الإسلامية،وأن العرب لم يعرفوا تسمية الأندلس قبل هذه العهود.

2-كانت الأندلس قبيل دخول المسلمين إليها تحت الحكم القوطي المستبد،وكان حاكم

---

(1)أنظر الدراسة:ص67.

(2)أنظر الدراسة: ص91.

القوط عندئذٍ هو "لذريق"،وحاكم سبته هو "يليان"، ووجدت عناصر معارضة للحكـــم القوطي بسبب سوء الأحوال الاقتصادية ،وتسلط الكنيسة الكاثوليكية على اليهود . وانقسام المجتمع القوطي إلى عدة طبقات.

3-كان فتح الأندلس استجابة لدواعي الدين الإسلامي الحنيف الذي حثّ على الجهاد فـــي ســـبيل الله،وكذلـــك يعتـــبر هذا الفتح امتداداً طبيعياً لحركة الفتوحات الإســـلامية في الجهة الغربية، بعد أن أرسيت قواعد الإسلام على يد موسى بـــن نصـــير ،وخاصـــة فـــي طنجة التي كان طارق بن زياد قائداً لحاميتها الإســـلامية ،والتـــي كانت مؤهلة لفتح الأندلس بسبب قربها من مضيق جبل طـــارق.وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك أسباب أخرى ساعدت المسلمين علـــى فـــتـــح الأندلس إلى حد ما،منها:تفكك المجتمع القوطي، ودعوة يليان المســـلمين إلـــى دخول الأندلس للانتقام من لذريق لاعتداء الأخير على ابنة يليان.

4-دخول عناصر عربية وبربرية مع قادة الفتح الإسلامي للأندلس وهما:طارق بن زياد،وموســـى بـــن نصير،اللذان تمكنا من فتح كافة المناطق الأندلسية عدا المـــنطقة الواقعة في أقصى الشمال الغربي،لأن الخليفة طلب من قادة الفتح العودة لدمشق،ولأن أهل تلك المنطقة طلبوا الصلح من موسى فصالحهم.

5-تعرف الفترة الأولى للحكم الإسلامي في الأندلس بعصر الولاة(95-138هـ/714-756م)،وهي فترة لم يشهدها الاستقرار بسبب الهجمات الخارجية التي شنها ولاة الأندلـــس علـــى جنوب فرنسا،وتميزت هذه الفترة بالفتن الداخلية التي قامـــت بين العرب والبربر،وكذلك بين العرب أنفسهم من قيسية ويمنية .وقد تعاقب على حكم تلك الفترة ما يزيد عن عشرين والياً على مدى نحو أربعين سنة.

6-يعتبر يوسف بن عبد الرحمن الفهري آخر ولاة الأندلس(129-138هـ/747-756م)،وكـــان شريفاً جليلاً،حازماً عاقلاً، كارهاً للفتنة والبغضاء والشحناء،وجباناً لا يـــنازع أحداً. وبينت الدراسة أن للصميل بن حاتم جهود كبيرة في اختيار يوســـف الفهـــري لولاية الأندلس فمنها:نسب يوسف الفهري إلى قبيلة فهر

القرشية،وإلى القائد عقبة بن نافع "فاتح المغرب"،ولتقدمه في السن.وأوضحت الدراسة أن مساعدة الصميل بن حاتم ليوسف الفهري لم تكن تخلو من أغراض هي:لأن يوسف الفهري والصميل يُعدان من القيسية، ولأن يوسف الفهري رجلٌ ضعيف ،مما يسمح للصميل بحكم الأندلس.

7- أكدت الدراسة أن الأوضاع السياسية خلال الفترة الواقعة ما بين(129-138هـ/ 747-756م)لم تكن مستقرة، حيث شهدت هذه الفترة قيام العديد من المواجهات العسكرية بين القيسية واليمنية، كموقعة شقندة 130هـ/747م، التي أعقبها قيام مجموعة من الثورات اليمنية،كثورة عبد الرحمن بن علقمة "عامل أربونة"،وثورة عروة بن الوليد في باجة،وثورة عمرو بن يزيد الأزرق في اشبيلية،ومن ثم أتت المعارضة الخطيرة من قبل زعماء قريش بقيادة عامر بن أبي عدي العبدري والزهري اللذان تمكنا من محاصرة الصميل في سرقسطة.

8-حاول يوسف الفهري التصدي للقوات النصرانية في الشمال"مملكة اشتوريس"،فقد أرسل سليمان بن شهاب والحصين بن الدجن لحماية الحدود الشمالية،وأرسل ابنه عبد الرحمن إلى نواحي جبال البرت لإقرار أمر الإسلام ،ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل، ويرجع ذلك إلى وجود الاضطرابات والخلافات بين صفوف المسلمين، والصراع بين القيسية واليمنية.

9-كانت الأندلس خلال فترة الدراسة تتبع الخلافة الأموية اسمياً وليس رسمياً، بسبب ما تعانيه الدولة الاموية من انقسامات وخلافات داخلية حيث انشغل الخليفة مروان بن محمد بالقضاء على هذه المشاكل وتثبيت الأمر لنفسه طوال الفترة ما بين (129-132هـ/747-750م). وأكدت الدراسة أن الأندلس لم تتبع الخلافة العباسية خلال الفترة ما بين (132-138هـ/750-756م)، وذلك بسبب انشغال الخليفة أبو العباس السفاح بملاحقة الأمويين بعد موقعة الزاب(132هـ/750م)،وكذلك انشغال الخليفة أبو جعفر المنصور في تثبيت أمر الخلافة والقضاء على الفئات المعارضة لهذه الدولة الجديدة.

10-كانـــت نهاية عصر الولاة في الأندلس قد تمثلت بقدوم عبد الرحمن بن معاوية الأموي الذي فرّ من خطر العباسيين، ودخل الأندلس ،فانضمت إليه العناصر المعارضة لولاية يوسف الفهري وصاحبه الصميل بن حاتم، كاليمنية وموالي بنـــي أمـــية وبعض من البربر والقيسية، حتى تمكن عبد الرحمن من هزيمة يوسف الفهري وصاحبه الصميل بن حاتم في موقعة المصارة سنة 138هـ/ 756م.ومن ثم تأسيسه للدولة الأموية في الأندلس.

11-كـــان المجـــتمع الإسلامي في الأندلس يتألف من عدة عناصر إسلامية كالعرب والـــبربر والموالـــي والمســـالمة والمولدين،وعناصر غير إسلامية كاليهود والعجـــم أو المستعربين من النصارى،وبالنسبة للعلاقات بين المسلمين وأهل الـــبلاد فقد كانت جيدة،لأن العرب والبربر حينما نزلوا إلى البلاد لم يقصدوا أن يعيشـــوا مترفعيـــن ،بل استقروا مع أهل البلاد ،دون التدخل في حياتهم الخاصة وطريقة معيشتهم،وقد اختلط المسلمون مع أهل البلاد فأضطروا إلى الزواج من أهل البلاد، لأن المسلمين جاءوا إلى الأندلس دون نساء.

12-كـــان لدخـــول الخـــبرات البشـــرية الجديـــدة مـــع الفـــتوحات الإسلامية إلى الأندلس،بالإضافة إلى اعتدال مناخ الأندلس، وخصوبة التربة،وتوفر الموارد المائية التي تتمثل في مياه الأمطار والأنهار، والعيون، والآبار،أثرٌ كبيرٌ في التـــنوع الزراعـــي،الذي ســـاعد علـــى نشأة الصناعات الغذائية والنسيجية والعسكرية،ومن ثم ازدهار التجارة الداخلية والخارجية.

13-اهـــتم المســـلمون بالعلوم الإسلامية،فقد نقلوا علم القرآن ،والفقه،والقضاء إلى الأندلـــس، فانتشرت العلوم الإسلامية في الأندلس خلال فترة عصر الولاة، حيـــث كـــان المـــؤدب يعلم الصبيان القرآن وتفسيره وتحفيظه وقراءته في المســـجد.أمـــا بالنسبة للفقه فقد أكدت الدراسة أن مذهب الإمام الأوزاعي قد انتشـــر في الأندلس قبل مذهب الإمام مالك.كما وتعتبر العلوم الإسلامية من أهـــم عوامـــل ازدهار الحياة العلمية في الأندلس، وبالتالي فإن عصر الولاة بشـــكل عـــام يعتبر بداية لنشأة العلوم الجديدة المتنوعة التي نضجت ثمارها علـــى مراحل متعددة،ابتداءً من عصر الإمارة،وتميز منصب القاضي بأهمية

كبيرة بين صفوف المسلمين على السواء،فكـــان القاضي ملماً بأحكام القرآن الكـــريم والســـنة النـــبوية الشريفة، وهو الذي يحكم بين الناس بالعدل.أما بالنســـبة للحياة الأدبية فقد انتشر الشعر العربي في الأندلس،لأن العرب أمة الشـــعر مـــنذ الجاهلية،بالإضافة إلى جمال البيئة الأندلسية. وكانت الخطابة ضـــرورية تقتضـــيها ظـــروف الحرب والنزاع القبلي،وأما الكتابة فتتطلبها مناسبات رسمية وشخصية عديدة،كعهد يعطى وصلح يُبرم ورسالة توجّه.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

ابــن الآبــار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي(ت:658هــ/1260م)،1963م، **الحُلــة السيراء**، تحقيق حسن مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر،ط1، القاهرة.

ابــن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم(ت:630هــ/1232م)، 1979م/ 1982م، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، د.ط، بيروت.

ابــن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم(ت:630هــ/1232م)، 2000م، **اللــباب فــي تهذيــب الأنساب** ،تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

ابــن بصال، عبد الله بن إبراهيم (ت:ق5هــ/617م)، 1955م، **الفلاحة**، نشر وترجمه فوسي مياس بيكروسا، محمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان.

ابــن حــزم، أبــو محمد بن علي بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت:456هــ/1064م)، 1983م، **جمهــرة أنســاب العــرب**، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنه من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي،(ت:367هــ/977م)، 1938م **صورة الأرض**، ط 2،ليدن.

ابــن حــيان، أبــو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي(ت:469هــ/1077م)، 1983م، **المقتــبس في أخبار بلد الأندلس**، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة،د.ط، بيروت.

ابــن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله السلماني(ت:776هــ/1374م)، 1990م، **شرح رقــم الحلــل فــي نظم الدول**، قدمه وعلق عليه عدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة، د . ط، دمشق.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله السلماني(ت:776هــ/1374م)، 1977م، **الإحاطة فــي أخبار غرناطــة**، تحقيق محمد عبد الله عنــان، مكتبــة الخانجي، ط1 ،القاهرة

ابــن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله السلماني(ت:776هـ/1374م)، 1956م، **تاريخ أســـبانيا الاســـلامية أو أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق إ.ليفي بروفنسال، دار المكشوف، د.ط، بيروت.

ابــن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي(ت:808هـــ/1406م)، 1988م، **ديوان المبــتدأ والخـــبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظـــم**، تاريخ ابن خلدون، ضبطه خليل شحادة وراجعه سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت.

ابــن خلكـــان، أبـــو العباس شمس الدين أحمد (ت:681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر،د.ط،بيروت د.ت.

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى(685هـــ/-1286م)، **المُغرب في حُلى المغرب**، حققه وعلّق عليه شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، القاهرة د.ت.

ابــن صـــاعد، صـــاعد بــن أحمد بن صاعد التغلبي الأندلسي(ت:462هـ/1070م)، 1967م **طـــبقات الأمـــم**، وضع المقدمة محمد بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها.

ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد،(ت:695هـ/1296م)، 1983م، **البيان المغرب فـــي أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج، س كوران وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة،ط3، بيروت.

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بـــن يوسف الأزدي الحافظ (ت:403هـ/ 1013م)، 1966م، **تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط،.

ابــن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري(ت:276هـ/889م)، 1969م **الإمامة والسياســـة**، تـــاريخ الخلفـــاء، ط أخيرة، طبع ونشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

ابــن القوطـــية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي(ت:376هـ/986م)، 1989 م، **تـــاريخ افتـــتاح الأندلـــس**، تحقـــيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبنانـــي، ط2، بيروت.

ابــن كثــير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي(ت:774هـ/1372م)، **الــبداية والــنهاية**،تحقــيق محمــد بيومي وآخرون، مكتبة الإيمان، د .ط ، المنصورة، د.ت .

ابن ماجة، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت:275هـ/889م)، **سنن ابن ماجة**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط،د.ت.

ابــن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكــرم الأفريقي المصري(ت:711 هـ/1311م)، **لسان العرب** ،دار صادر ، د.ط، بيروت د.ت .

ابــن الــوردي، زين الدين عمر بن مظفّر(ت:749هـ/1348م)، 1999م، **تاريخ ابن الوردي**، المطبعة الحيدرية، ط2، النجف.

أبــو ديــاك، صالح محمد فياض،1988م، **الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفــتح الــى بدايــة عصــر المرابطيــن وملوك الطوائف**، دراسة سياسية وحضارية، مكتبة الكتاني، ط1، اربد.

أبــو الفــداء، عمــاد الدين إسماعيل بن محمد صاحب حماة،(ت:733هــ/1332م)، 1860م، **تقويــم الــبلدان**، اعتنى بتصحيحه: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، د ط، باريس.

الإدريســي، أبــو عبد الله الشريف محمد بن محمد بن عبد الله(ت:560هـ/1164م)، 1983م، **القارة الأفريقية وجزيرة الأندلس**، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، الجزائر.

الإدريســي، أبــو عبد الله الشريف محمد بن محمد بن عبد الله(ت:560هـ/1164م)، 1989م، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**،عالم الكتب، ط1 ،.

ارســلان، الأمــير شكيب، **تاريخ غزوات العرب في فرنسا و سويسرا و إيطاليا و جزائر البحر المتوسط**، دار الكتب العلمية، د. ط، بيروت د. ت.

ارســلان، الأمــير شكيب، 1936م، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ، نشــر محمد مهدي الجبالي،المكتبة التجارية الكبرى،المطبعة الرحمانية ، ط1 مصر.

الإشـبيلي، أحمـد بـن محمد بن حجاج،(ت: 467هـ/1075م)، 1982م، **المقنع في الفلاحة**، تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية، تدقيق وإشراف عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، د.ط.

الاصـطخري، ابـن إسـحاق، إبراهـيم بـن محمـد الفارسـي المعـروف بالكرخـي،(ت:النصـف الأول مـن القرن الرابع الهجري)، 1961م، **المسالك والممـالك**، تحقيق محمد جابر عبد العال، راجعه محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط.

أميـن ،أحمـد، 1969م، **ظهر الإسلام**، يبحث في الحياة العقلية في الأندلس من فتح العـرب إلى خروجهم منها، ط5، بيروت.

الأنصاري،فاضل،**الجغرافية الاجتماعية** ،د.ط، جامعة دمشق ،1978م.

باشـا، ضـيا، الأندلس الذاهبة، 1989م، **الفتوحات الإسلامية في افريقيا والأندلس، الدولـة الأمويـة في الأندلس**، تعريب عبد الرحمن ارشيدات، تحقيق صلاح ارشيدات، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ط1 ،عمان.

بالنثيا، آنخيل جنثالث، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الأسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط،القاهرة د.ت.

الـبالوي،مصطفى حميدي بن أحمد الكردي الدمشقي،(من مؤلفي القرن الرابع عشر الميلادي)، 2000م، **قلائد الذهب في معرفة انساب قبائل العرب**، تقديم وتعليق وشـرح كـامل سـلمان الجبوري، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ط1 ،بيـروت.

البطاينة، محمد ضيف الله، 1999م، **دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين**،دار الفرقان، ط1، عمان.

الـبكري، أبـي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت:487هـ/1094)، 1968م **جغرافـية الأندلس وأوروبا** من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة، ط1،.

البلاذري، أبو الحسن،(ت:279هـ/892م)، 1983م، **فتوح البلدان**، إشراف لجنة تحقيق التراث مكتبة الهلال، ط1 ،بيروت .

الترمانيني، عبد السلام، 1995م، **أحداث التاريخ الإسلامي**،خلاص للدراسات والنشر والتوزيع، ط3.
الجبالي، خالد حسن حمد، 1995م، **أثر الزواج المختلط ما بين العرب والأسبان من الفـتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة(92-422)**،رسالة ماجستير، إشراف محمدحتاملة،الجامعة الأردنية.
الجبوري، عبد الله محمد،1977م ،**فقه الإمام الأوزاعي**(أول تدوين لفقه الإمام)، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة الإرشاد، بغداد.
الجمل، محمود جلال الدين، **أوربا في مجرى التاريخ**، دراسة جغرافية،د. ط،د. ت.
الجـندي، أنـور، 1986م، **الإسـلام وحـركة التاريخ**،رؤية جديدة في فلسفة تاريخ الإسلام، دار الكتاب اللبناني، ط2،بيروت.
جودة،صادق،**تاريخ المغرب والأندلس**،جامعة القدس المفتوحة، ط1، عمان، 1997م.
الجيوسـي، سلمى خضر، 1998م، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 بيروت.
حـتاملة، محمد عبده،2000م، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، مطابع الدستور التجارية، د. ط،عمان.
حتاملة، محمد عبده، 1999م، **موسوعة الديار الأندلسية**، ط1، عمان.
حتـي، فليب وإدوارد جرجي وجبرائيل جبور، 1965م، **تاريخ العرب** (مطول)د.ن، ط 4.
الحجي، عبد الرحمن علي، 1976م، التاريخ الأندلسي، دار العلم، ط1، الرياض.
حسـن، إبراهـيم حسـن، 1964م، **تـاريخ الإسـلام السياسـي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية،ط7، القاهرة.
حسـين، كريم عجيل، **الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية(92-494هـ/711-1102م)**، 1975م، رسـالة ماجسـتير، إشراف الدكتور عبد الرحمن الحجي، جامعة بغداد.
حلاق، حسان،1986م،**العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، الأندلس، الدار الجامعية، بيروت.

الذهبـــي، شـــمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان،(ت:784هـ/1347م)، 1991م، **تـــاريخ الإســـلام ووفيات المشاهير والأعلام**(121-140هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي،ط2، بيروت.

الذهبـــي، شـــمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، (ت:784هـ/1347م)، 1982م، **ســـير أعـــلام النبلاء**، اشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط، تحقيق علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت،.

الـــرازي، محمـــد بن أبي بكر بن عبد القادر،(ت:666هـ/1268م)، **مختار الصحاح**، دار الجيل، بيروت، د.ط ، بيروت، د.ت.

الرفاعي، أنور، **الإنسان العربي والحضارة**، دار الفكر، د.ط، د.ت.

الرقـــيق، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم،(عاش في القرن الخامس الهجري)، 1990م **تـــاريخ إفريقية والغرب** ،تحقيق عبد الله العلي وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت.

ريـــنو، جوزيـــف(1795-1868م)، 1984م، **الفتوحات الإسلامية في فرنسا وايطاليا وســـو سيرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي**، تعريب إسماعيل العربي، دار الحداثة، ط1، الجزائر.

زبيـــب، نجيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تقديم أحمد بن مسودة، دار الأمين للثقافة والعلوم، ط1، بيروت 1995م.

الزبـــيدي، أبـــو عـــبد الله المصعب بن عبد الله، (ت:236هـ/850م)، 1953م، **نسب قريش**، نشر، تعليق، تصحيح إ.ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة، د.ط.

الزركلـــي، خـــير الدين، 1989م، **الأعلام**، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين،ط8 ، بيروت.

الزهـــري، أبـــو عـــبد الله محمد بن أبي بكر،(ت:565هـ/1170م)،**كتاب الجغرافية**، تحقيق محمد الحاج صادق،مكتبه الثقافة الدينية، د.ط، بور سعيد د.ت .

ســـالم، الســـيد عـــبد العزيز، 1971م، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، دراسة تاريخـــية عمرانـــية أثرية في العصر الإسلامي،دار النهضة العربية، د. ط، بيروت.

ســـالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس من الفتح العربي إلى سقوط الخلافة بقرطبة**، الناشرمؤسسة شباب الجامعة، د.ط،الإسكندرية،د.ت.

السامرائي، خليل إبراهيم، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد، ط1،بيروت2000م –السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد،(ت:562هـ/1167م)، 1999م، الأنساب، تقديم محمد احمد حلاق، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت.

الســيوطي، جـلال الدين عبد الرحمن،(ت:911هـ/1505م)، 1991م، **لب اللباب في تحريــر الأنساب**، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، إشراف احمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت:911هـ/1505م)، 1999 م، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق جمال محمود، دار الفكر للتراث، ط1، القاهرة.

الشطشـــاط، علي حسين، 2001م، **تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة**، دار قباء، د.ط، القاهرة.

شــلبي، أحمـــد، 1983م، **موســوعة الــتاريخ والحضارة الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، ط6، القاهرة.

صــقر، محمــد عبد الحميد عيسى، 1985م، **الفــتح الإسلامي للأندلس**، مكتبة سعيد رأفت، عين شمس، د.ط.

الضــبي، أحمــد بــن يحيى بن أحمد بن عميرة(ت:599هـ/1202م)، 1967م، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكتاب العرب، د.ط.

الطــبري، أبــو جعفــر محمـــد بن جرير،(ت:310هـ/922م)، 1988م، **تاريخ الأمم والملوك**، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت.

عــباس، إحسان، 1978م، **تاريخ الأدب الأندلسي**(عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة، ط5، بيروت.

عــبد، يوســف،، ويوســف فرحات، 2000م، **معجم الحضارة الأندلسية**، دار الفكر العربي، ط1، بيروت.

عبد العزيز، هشام فوزي، 1996م، يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي (92- 897 هـ/711-1492م)، **مجلة دراسات أندلسية**، مطبعة المغاربة للطباعة والنشر والإشهار، ع الخامس عشر، ص(95-98)، تونس.

عسل،محمد سامي، **أوروبا:** دراسة في جغرافية القارة الطبيعية والبشرية،مكتبة الأنجلوالمصرية،د.ط، د.ت .

العمايرة، محمد نايف،1999م، **مراحل سقوط الثغورالأندلسية بيد الأسبان**،ط1،عمان.

العمري، ابن فضل الله، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى(ت:749هـ/1348 م)، 1924م، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق أحمد زكي، مطبعة دار الكتب المصرية، د. ط، القاهرة.

العملة، حياة أحمد محمود، **التنافس بين فئات المجتمع على الحكم الأندلسي(92-283/هـ711-852 م)**، 2001م، رسالة ماجستير، إشراف محمد حتاملة، الجامعة الأردنية،.

عنان، محمد عبد الله، 1970م، **تراجم إسلامية شرقية وأندلسية**، مكتبة الخانجي،ط2 ، القاهرة.

عنان، محمد عبد الله، 1988م، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبه الخانجي،ط3، مطبعة المدني، القاهرة.

فروخ، عمر، 1981م، **العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط من فتح المغرب إلى نهاية عصر الولاة**، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت.

فيلالي، عبد العزيز، 1999م، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودويلات المغرب**، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط2 / القاهرة.

فيلالي، عبد العزيز، 1991م، **المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس**، دار المعارف للطباعة والنشر، د . ط، تونس.

القاسمي، جاسم بن محمد، 2000 م، **تاريخ الحضارة العربية في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، د. ط،الإسكندرية.

القرطبـــي، أبـــو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت:463هـ/1071م)، 1995م، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق وتعليق علي محمد معوض وعـــادل أحمـــد عبد الوجود، قدمه محمد عبد المنعم البري وجمعه طاهـــر النجار، دار الكتب العلميـــة، ط1، بيروت.

القزوينـــي، زكـــريا بـــن محمد بن محمود،(ت:682هـ/1283م)، **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، د.ط، بيروت د.ت.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي،(ت:821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**،المؤسسة المصرية العامة، د ، ط، القاهرة د.ت.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت:821هـ/1418م)، 1997م، **مآثر الأنافة في معالم الخلافة** ، تعليق وتقديم شوقي أبو خليل ،دار الفكر ،ط2 ،دمشق.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي،(ت:821هـ/1418م)، 1980م، **نهاية الأرب في معـــرفة انســـاب العرب** ، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتب الإسلامية،ط2 ،بيروت.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي،(ت:821هـ/1418م)، 1982م، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت.

كحالـــة، عمر رضا، 1991م،**معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، مؤسسة الرسالة، ط6، بيروت.

الكلبـــي، أبـــو المـــنذر هشام بن محمد السائب.(ت:204هـ/819م)، 1986م، **جمهرة النسب**، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، ط1 ، بيروت.

كونســـتيل، أوليفيا ريمي،2002 م، **التجارة والتجار في الأندلس**، تعريب فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان،ط1،.

مجهول(عاش في القرن الرابع الهجري)، 1994م، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم**، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط1.

محمود، حسن احمد، ومنى حسن محمود،1999م، **تاريخ المغرب والأندلس في الفتح العربي في سقوط الخلافة**، دار الفكر العربي،ط1، القاهرة.

محمـــود، منى حسن،1986م، **المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة**، دار الفكر العربي، د.ط، القاهرة.

محمـــود، نافع، 1990م، **اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري**، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد.

المــراكش، محـــي الدين بن محمد بن عبد الواحد،(ت:647هـ/1249م)، **المعجب في تلخـيص أخـبار المغرب من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين**، تحقـيق محمــد ســعيد العريان، إشراف محمد توفيق عويضة، الجمهورية العربية المتحدة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، د.ت.

المــزروع، وفــاء عبد الله سليمان، 2003م، **جهاد المسلمين خلف جبال البرت من القرن الأول إلى الخامس الهجري**، مكتبة دار القاهرة، ط1،القاهرة.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي،(ت:354هـ/965م)، 1981م، **التنبيه والإشراف**، إشراف لجنة تحقيق التراث، منشورات دار ومكتبة الهلال، د.ط، بيروت.

مصـــطفى،عدنان صـــالح، 1987، **في الشعر الأندلسي**، نشر وتوزيع دار الثقافة،ط1، الدوحة.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني،(ت:1041هـــ/1631م)، 1988م، **نفح الطيــب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، د.ط، بيروت.

الملاح،حسنين محمد،1993م، **الإمام الأوزاعي محدثاً حافظاً**، المكتبة العصرية، د.ط، بيروت.

مؤنـــس، حســين، 1985م، **فجــر الأندلــس**(711- 756 م)،الدار السعودية، للنشر والتوزيع، ط2،جدة.

مؤنـــس، حسين، 1980م، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار مطابع المستقبل، ط1، القاهرة.

نعنعـــي، عـــبد المجـــيد، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس** -تاريخ سياسي – دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د. ط، بيروت د. ت .

الـــنووي، أبي بكر زكريا بن يحيى بن شرف النووي الدمشقي(ت:676هـ/1278م)، 1986**رياض الصالحين**، مؤسسة الرسالة، ط10، بيروت.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (733هـ/1333م)، 1983م، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق حسين نصار وعبد العزيز الأهواني، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، القاهرة.

هياجنة، محمد، 1989م، **الوضع الزراعي بالأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين**، رسالة ماجستير، إشراف محمد حتاملة، الجامعة الأردنية.

هـــيكل، أحمد،1982م، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، دار المعارف، د.ط، القاهرة.

الوائلـــي، بد الحكيم، 2001م، **موسوعة شعراء الأندلس**، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، عمان.

اليسوعي، لويس معلوف، **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**، المطبعة الكاثوليكية، ط 18بيروت د.ت.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب الكاتب العباسي(ت:284هـ/897م)، **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر،د. ط ، بيروت د.ت.

ثانياً:المراجع الأجنبية:

IMAMUDDIN, S,M. **POLITICAL HISTORY OF MUSLIM SPAIN** published by: s.m,pakistan 1969 .

IMAMUDDIN, S,M. **ECONOMIC HISTORY OF SPAIN** Published by:Asiatic society of pakistan, printted by a.k Ahmad Ali Zeeco press dacca 1963.

الملحق(أ)

جدول يمثل ولاة الأندلس

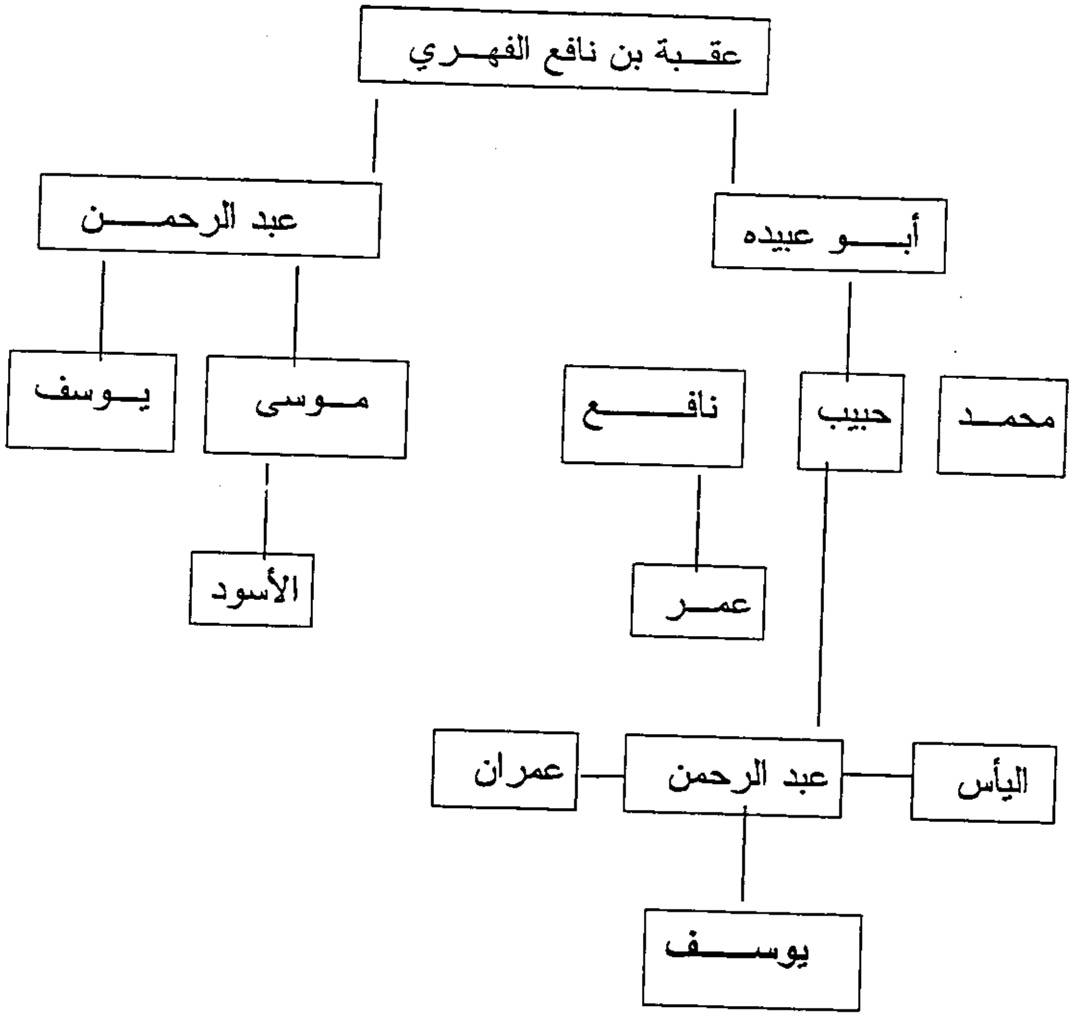
95-138هـ/97-756م

اسم الوالي	فترة حكمه: هجرية	فترة حكمه:ميلادية
1.عبد العزيز بن موسى بن نصير	97-95	715-713
2.أيوب بن حبيب اللخمي	97	716
3.الحر بن عبد الرحمن الثقفي	100-97	719-716
4.السمح بن مالك الخولاني	102-100	721-719
5.عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي	103– 102	721
6.عنبسة بن سحيم الكلبي	107-103	726-722
7.عذرة بن عبد الله الفهري	107	726
8.يحيى بن سلمة العاملي الكلبي	110-107	728-726
9.حذيفة بن الأحوص الأشجعي	111-110	729-728
10.عثمان بن أبي نسعة الخثعمي	110	728
11.الهيثم بن عبيد الكناني أو الكلابي	111	730-729
12.عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي	114-112	732-730
13.عبد الملك بن قطن الفهري	116-114	734-732
14.عقبة بن الحجاج السلولي	121-116أو 123	741-734

15.عبد الملك بن قطن الفهري	123	741
16.بلج بن بشر القشيري	124-123	742-741
17.ثعلبة بن سلامة العاملي	125-124	743-742
18.أبو الخطار-الحسام بن ضرار الكلبي	127-125	745-743
19.ثوابة بن سلامة الجذامي	129-127	746-745
20.عبد الرحمن بن كثير اللخمي	129	746
21.يوسف بن عبد الرحمن الفهري	138-129	756-747

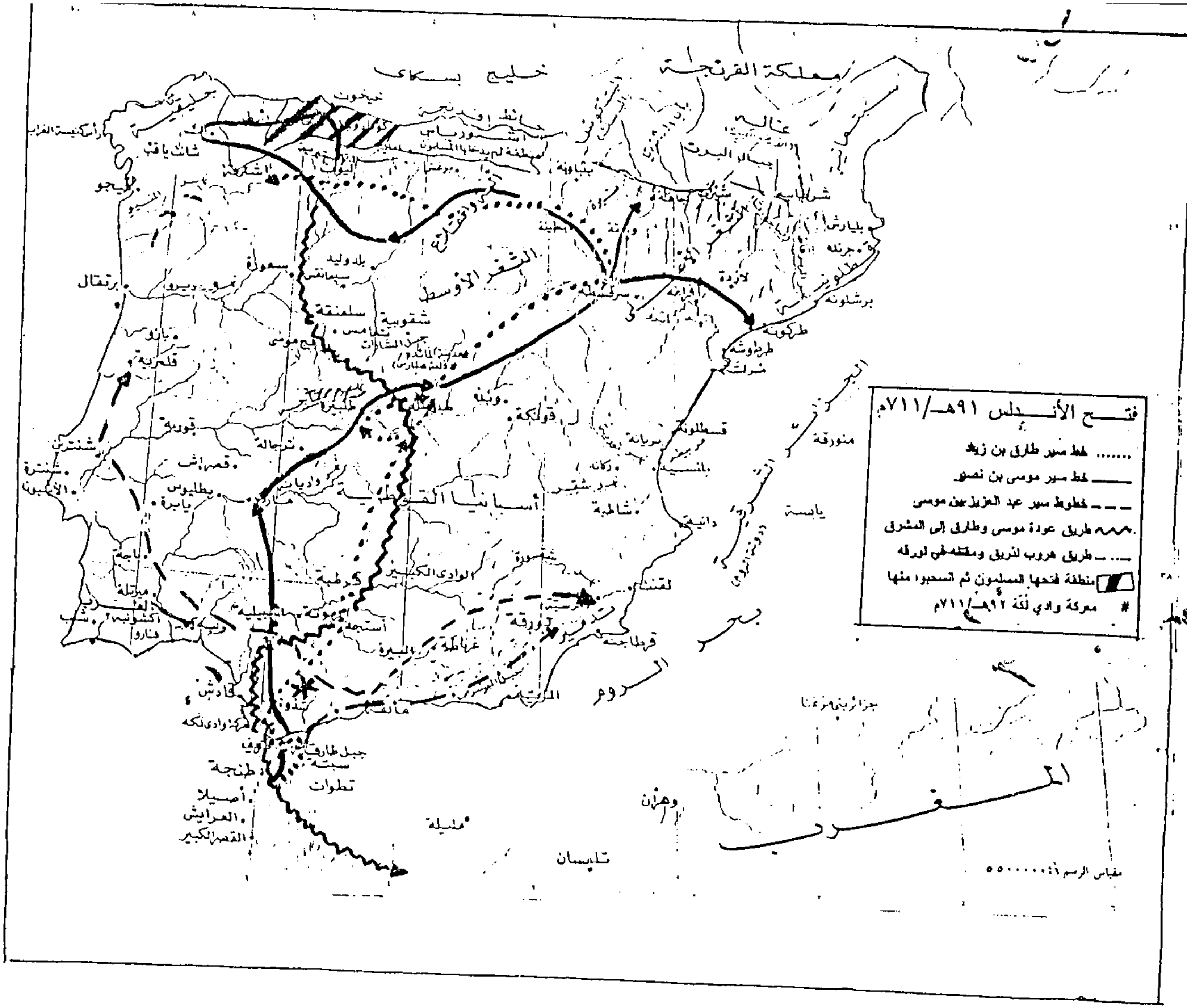
الملحق (ب)

جدول يمثل نسب يوسف الفهري

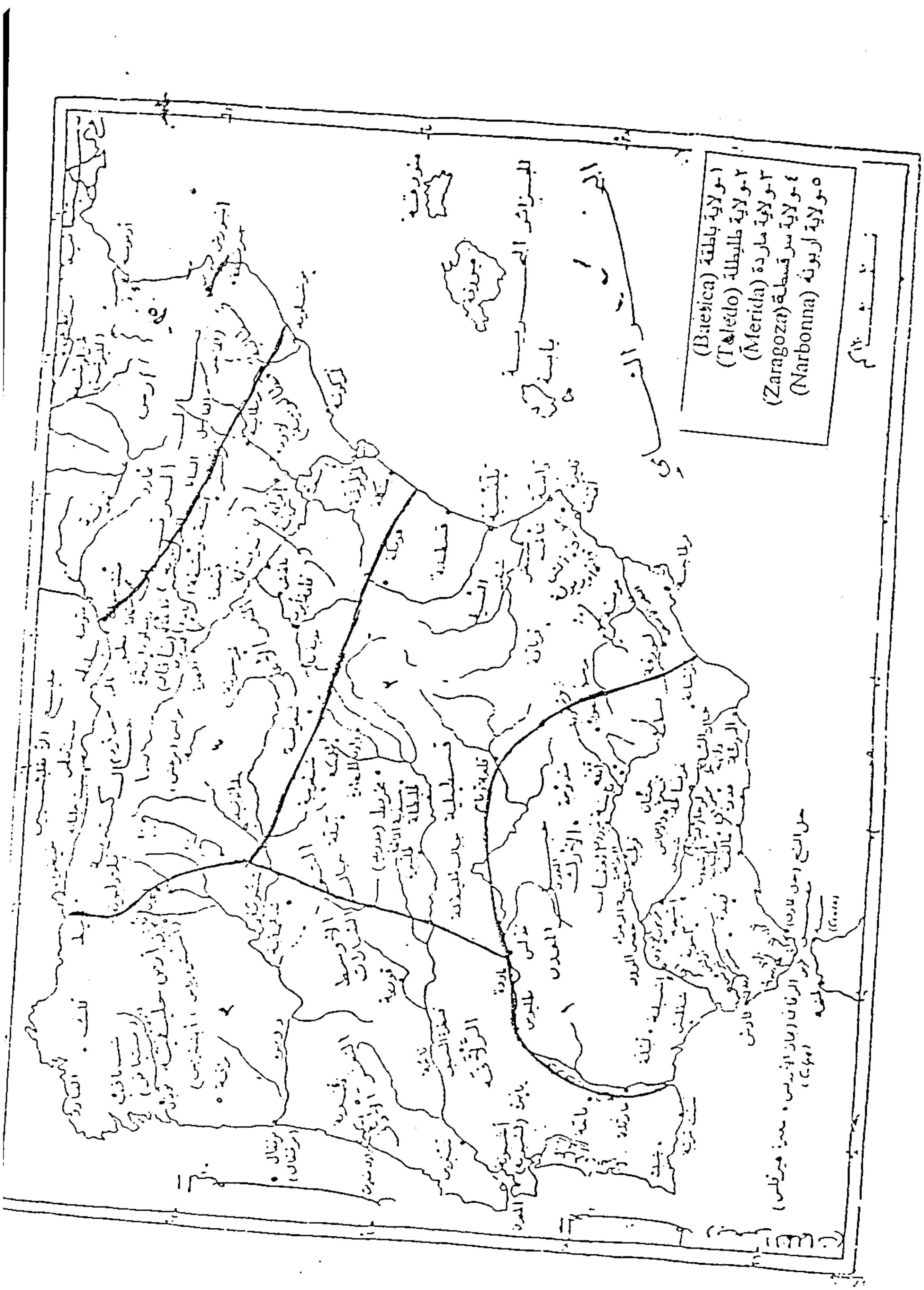

عقـبة بن نافع الفهـري
عبد الرحمـــن
أبـــو عبيده
يــوسف
مــوسى
نافـــــع
حبيب
محمـــد
الأسود
عمـــر
عمران
عبد الرحمن
اليأس
يوســـف

ملحق(ج)
التقسيمات الإدارية
في عهد يوسف الفهري

1-ولاية باطقة (Baetica)القديمة:	قرطبة، قرمونة، إستجة، إشبيلية، شذونة، لبلة، مالقة، البيرة، وجيان.
2-ولاية طليطلة(Toledo):	طليطلة، مرسية، لورقة، أوريولة، شاطبة، دانية، لقنت، بلنسية، وادي الحجارة، وقونقة.
3-ولاية ماردة (Merida):	ماردة، باجة، لشبونة، أسترقة، سمورة، شلمنقة.
4-ولاية سرقسطة (Zaragoza):	سرقسطة، طركونة، برشلونة، أرقلة، لاردة، طرطوشة،ووشقة.
5-ولاية أربونة (Narbonna):	أربونة،قرقشونة، أجدة، بزيية، وماجلونة.


فتــح الأنــدلس ٩١هـ/٧١١م
خط سير طارق بن زياد
خط سير موسى بن نصير
خطوط سير عبد العزيز بن موسى
طريق عودة موسى وطارق إلى المشرق
طريق هروب لذريق ومقتله في لورقه
منطقة فتحها المسلمون ثم انسحبوا منها
معركة وادي لكة ٩٢هـ/٧١١م
خليج بسكاي
مملكة الفرنجة
الثغر الأوسط
أسبانيا القوطية
بحر الروم
المغرب
مقياس الرسم ١: ٥٥٠٠٠٠٠

ملحق(هـ)
خريطة التقسيمات الإدارية في الأندلس
في عهد يوسف الفهري


١-ولاية باطقة (Baetica)
٢-ولاية طليطلة (Toledo)
٣-ولاية ماردة (Merida)
٤-ولاية سرقسطة (Zaragoza)
٥-ولاية اربونة (Narbonna)